جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا
كلية الدراسات العليا
كلية اللغات – قسم اللغة العربية

التـيَّارات النَّـقدية المشرِقية وأثرها في تـَكْوينِ الاتجَاهَات النَّقْديةِ الأنْدَلُسيةِ

The Criticism currents Easterner and its Impact in the Formation of Monetary Trends in Andalusian

بحث" مقدم"لنيل درجة الدكتوارة في اللُّغة العربية
تخصص الأدب والنَّـقْد

مقدم البحث:
آدم محمد أحمد الحاج الزاكي

إشراف الدكتور:
محمد داؤد محمد داؤد

٢٠١٥م

الاستهلال

قال تعالي :

﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ{١٠٣} وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{١٠٤} ﴾.

صدق الله العظيم

سورة ال عمران: الآية (١٠٣-١٠٤)

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الاستهلال	أ
فهرست الموضوعات	ب
الإهداء	ح
الشكر والعرفان	خ
المُقدِّمة	١
مشكلة البحث	٢
أهمية الموضوع	٣
أهداف البحث	٣
أسئلة البحث	٤
أسباب اختيار الموضوع	٤
منهج البحث	٥
الدراسات السابقة	٥
هيكل البحث	٦
ـ مهيد	٨
الفصلُ الأَوَّل **نَشْاةُ النَّقْد الأَد بي في المَشْرق وتطوره**	
المَبحثُ الأَوَّل : مفهوم النَّقْد	١٦
وَّلاً : معنى النَّقْد في اللغة	١٦
ثانياً: معنى النَّقْد في الاصطلاح	١٦
المُبْحَثُ الثَّاني: النَّقْد في العَصر الجاهليِّ	٢٠
المَبْحَثُ الثَّالثُ: النَّقْد في صدر الإسلام والعصر الأُموي	٢٧
أَوَّلاً : النَّقْد في صّدْر الإسلام	٣٢
ثانياً : النَّقْد في العصر الأُموي	٣٢
المَبْحَثُ الرابع: النَّقْد في العصر العباسي	٣٦

الفصلُ الثَّاني التيـَّارات النَّقْدية في المَشْرق واتجاهاتها	
المَبْحَثُ الأوَّل: اتجاهات النَّقْد في العصر الجاهلي	٣٩
أوَّلاً : الاتجاه النَّقْدي الذاتى	٤٠
ثانياً : الاتجاه النَّقْدى الغيري	٤١
ثالثاً : الاتجاه العام	٤٢
المَبْحَثُ الثاني : الاتجاهات النَّقْدية في صدر الإسلام والعصر الأُموي	٤٣
الاتجاه الأوَّل: الاهتمام بالقديم والموازنة بينه وبين الحديث	٤٤
الاتجاه الثاني : نقد الشُّعَراء المحدثين	٤٧
الإتجاه الثالث : المقولات النظرية	٥٠
المَبْحَثُ الثَّالثُ: الاتجاهات النَّقْدية في العصر العباسي	٥٣
الفَصْلُ الثَّالثُ **النَّوق الأَدبي الأَنْدلُسيِّ وعوامل تكوينه**	
المَبْحَثُ الأَوَّلُ : المؤثرات المحلية على النَّوق الأَدبي الأَنْدلُسيِّ	٥٨
ولاً : مفهوم الذوق	٥٨
ثانيا : أَثُر الحُكَّام مِنْ أُمراء وخُلفاء على الذوق الأَندلسّي	٦٠
ثالثاً : أثُر عُلماء اللُّغة والمُؤدبين	٦٨
المَبْحَثُ الثَّاني: المؤثراتُ المَشْرقيَّةُ على النَّوق الأَدبي الأَنْدلُسيِّ	٧١
أوَّلاً : ثر أبي تَمَّام وأبي علي القالي	٧١
أثر أبي تمام	٧١
أثُر أبي عليَّ القالي على النَّوق الأَدبي الأَنْدلُسيِّ	٧٣
ثانياً :أثُر المتنبي وأبي العلاء المعري	٧٦
أثُر المتنبي	٧٦
أثر أبي العلاء المعري	٧٩

المَبْحَثُ لثَّالثُ: الاتجاهات الشِّعْوية في الأَدب الأَنْدلُسيِّ	٨٣
أَوَّلاً : الاتجاه المحافظ	٨٣
نماذج من الشِّعْر الأَندلسيّ المحافظ	٨٧
ثانياً : الاتجاه المُحدث	٨٨
ثالثاً : الاتجاه المحافظ الجديد	٩٠
المَبْحَثُ الرَّابع : أَصَالةُ الشِّعْر الأَنْدلُسيِّ منْ خلال شِعْر الطَّبيعة	٩١
ولاً : مفهوم شعر الطبيعة	٩٤
ثانياً : شعرُ الطَّبيعةِ في الأَدب الأَنْدلُسي وعواملُ ازدهارِه	٩٨
ثالثاً خصائصُ وسماتُ شعر الطبيعة في الأَنْدلُس	١٠٣
إبعاً : نماذج من الوصف في شعر الطبيعة	١٠٥
الفَصلُ الرَّابع **نشأةُ النَّقْد الأَدبي في الأَنْدلُس وتطوره**	
المبحثُ الأَوَّل: نشأةُ النَّقْد الأَدبي في الأَنْدلُس	١١٢
المَبْحثُ الثَّاني: أَثَر المذاهب النَّقْدية المَشْرقية على تكوين النَّقْد الأَنْدلسيّ	١٢٠
المَبْحثُ الثَّالثُ: عواملُ تطور النَّقْد الأَنْدلُسيِّ	١٢٥
وَّلاً : المؤدبون	١٢٥
ثانياً : دور مدرسة القالي في تطوير حركة النَّقْد الأَندلسيّ	١٣٤
ثالثاً : دور مجالس الخلفاء في تطور حركة النَّقْد بالأَندلس	١٤١
الفَصْلُ الخَّامسُ **التيارات والاتجاهات النَّقَدية في الأَنْدلُس**	
المَبْحثُ الأَوَّلُ: اتجاه النَّقد المنْهجي في الدِّفاع عن أَدب الأَنْدلُس	١٤٩
اتجاه النقد المنهجي في الدفاع عن أدب الأَنْدلُس	١٥١
المَبْحَثُ الثَّانُي: اتجاه النَّقْد الخُلْقي ((الشِّعْر والدِّيْن))	١٥٨
المَبْحَثُ الثَّالثُ : الموازنات الأدبية في الأَنْدلُس	١٦٤

الموازنة بين الأدباء	١٦٤
الخاتمة	١٧٤
المستخلص	١٧٥
Abstract	١٧٧
فهرس الآيات القرآنية	١٧٩
فهرس الاحاديث النبوية	١٨٠
فهرس الأُبياتُ الشِّعْرية	١٨١
المصادر والمراجع	١٩٣

إهـــــــــــداء

إلى مَنْ أحق النَّاسِ بِحسْنِ صحابَتَى

والدي العزيز محمد أحمد الزاكي متعه اللّه بالصحة

والعافية وأمد اللّه في عمره

إلى روح والدتي / حواء لها الرحمة والمغفرة

إلى رفيقة الدرب الطويل (منال)

إلى أبنائي محمد ، إسراء ، دعاء وفقهم اللّه وسدد

خطاهم

إلى أهلي وعشيرتي الكرام

إلى أهل الأنْدَلُس فهم أحق بالإهداء من قبل ومن بعد

شكر وعرفان

الحمد لله الذي به المبتدأ والختام ، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى خير الأنام وبعد :

بعد أنْ يسر الله لي كتابة هذه الرسالة ، أداءً مني لبعض الواجب وعرفانا مني بالفضل لأهله ، فإنَّ شكري وثنائي إلى الله ورسوله الذى رسم لنا نهجاً قويماً لنسير على هديه، ثم شكري كلّه إلى والدىَّ اللّذين احسنا تربيتى والشكر كذلك إلى من كانوا عوناً لى عبر السير فى هذا الطريق الشاق، وأعني بهم أسرتي الصغيرة. ثم أهلى وعشيرتي.

أما من كان الشكر أقلَّ ما يمكن أنْ يُقدَّم له فهو أستاذي الجليل الدكتور محمد داود محمد داود ، الذي ما أن أسند إليه الإشراف على هذا البحث حتي تلقاني بالرعاية والنصح والإرشاد حتي أستوى البحث على سوقه ، نسأل الله أنْ يجزيه خير الجزاء وأنْ يجعل ما بذله من جهد في قراءة البحث وتقويمه في ميزان حسناته وشكري وامتناني موصول إلى كل من ذلل لنا الصعاب ومهد لنا طريق العلم بجهده ، ووقته وعلمه ، ثم خالص شكري وتقديري للأخ عوض الكريم أبوبكر موسى آدم على ما بذله من جهد فى طباعة البحث وصبره عليه ، وكذلك شكري الى الأخت ندى أحمد فرج الله بمدرسة كلية التربية جامعة الخرطوم على مشاركتها فى الطباعة فلهم مني جميعاً أجزل الشكر وعظيم الامتنان.

الباحث

المُقدِّمةُ:

الحمدُلله رَبِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا ونبينا محمد خاتم الأنبياء والمُرسلين وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد :

فإنَّ المتأمل في تاريخ الأَدب العربي، ونقده فى فتراته المتعاقبة يجدُ ما كان سائداً من ظاهرة التأثير والتأثر بين أقاليم العالم الإسلامي المتقاربة منها والمتباعدة، وذلك أمر طبيعي اقتضته سنة الإجماع البشري ، وأَنْ كان ذلك الأمُر مسلما فيتأكد لنا مع الحالة الأُندلُسية فى علاقتها مع المَشْرِق، فالمتتبع لتطور الحركة العلمية بالأُندلُس يدركُ أَنَّ هناك علاقة من نوعٍ خاصٍ بين الأُندلُس والمَشْرِق، وإنَّ تأثر أهل الأُندلُس أو تعلقهم بالمَشْرِق أمر" لا خلاف فيه، ولا أظنني فى حاجة إلى إيراد أدلة لإثبات ذلك، ولكن ا لمُخْتلف فيه حول هذه العلاقة هو مدى هذا التأثر والعوامل الداعية لذلك، فالأُندلُس لم يعش بمعزل عن المشرق في مختلف أحواله السِّياسية وأنماطه الاجتماعية منذ فترة تأسيس الإمارة إلى أَنْ أفل الحكم الإسلامي في دولة الأُندلُس، وقد ترك ذلك صدًى واضحاً في حياة الأدب وحركة النَّقْد في مختلف المراحل، من غير أَنْ يأتي ذلك على تفتح المواهب، وإبداع الملكات في التجديد والنزوع إلى الاستقلال والتفرد .

أستطيع أَنْ أقول إِنَّ الأدب الأُندلُسي ليس أدباً مستقلاً بذاته ، فهو يمثل خلية حيوية نشطة في كيان الأدب العربي، نشأت وارتفعت ونضجت في ظل التأثيرات التي أصابت هذا الكيان ، فهو بذلك يشكل مرحلة من مراحل تاريخ الأدب العربي، وليس أدباً موازياً له وعند تناول الأدب الأُندلُسي ونقده بالدراسة يحتم علينا استصحاب كل المؤثرات التي أصابته عبر مراحل تكوينه وتأثره بالأدب المشرقي.

بالنظر إلى القرنين الثالث والرابع الهجرين وبصفة خاصة نجد أَنَّحركةً نقديةً واسعةً شملت أقاليم متعددة من العالم الإسلامي شرقاً وغرباً ، وحظيت هذه الأقاليم – عدا الأُندلُس– بدراسات تحليلية ضافية لإظهار الآثار الفردية للنقاد ، دون النظر إلى ما يكون للبيئة في الجنس، ولا للزمان والمكان من أحكام في تشكيل سمات الإنتاج الفني بخصائص معين، ولا شك في أَنَّ مجرد العرض والاستقراء واستنباط الأحكام يشكل دراسة مستقلة ذات مغزى واضح وعمل متكامل ، كما أَنَّ عرض ذلك بالتفصيل على الآثار المشرقية بمقابلة جزئية دقيقة واستصدار أَحكام مقارنة يكون عملاً متكاملاً آخر ، وسيكون بَحْثُنا في هذا المقام مداره العرض والاستنباط للاتجاهات النقدية الأُندلُسية التي جاءت نتيجة لتأثير التيارات والاتجاهات النقدية

المشرقية ، وتأتي هذه الدراسة في مجال النَّقْد الأدبي والدراسات الأَنْدلُسية بما استقصت من آراء وفصلت من اتجاهات فنية وقضايا نقدية، بما كشفت عن قيمة النقد الأدبي في الأَنْدلُس خلال حقبة من الزمن عن طريق موازنات جزئية وكلية وعقد صلات تأثريه وتأثيرية.

إنَّ هذه الدراسة تنطلق من التسليم بوجود تأثير للتيارات والاتجاهات النقدية التى كانت بـ المَشْرِق على اتجاهات النَّقْد بالأَنْدلُس، فقد سعيتُ ما استطعتُ إلى إبراز حجم هذا التأثر وتطوره من زمن لآخر فى تاريخ الأدب الأَنْدلُسي، ونقف فيما يلي على مشكة البحث، وأهميته، وأهدافه، وأسئلته، وأسباب اختياره، وحدوده ومنهجه ثم الدراسات السابقة وهيكل البحث:

١) مشكلة البحث :

تتمثل مشكلة البحث في أنَّ الأدب الأَنْدلُسي بشكل عام قد أَصبح محلاً للخلاف بين كثير من المهتمين بالدراسات الأَنْدلُسية ، فبينما يرى بعضهم أنه امتداد" طبيعي" للأدب العربي المشرقي ، لا يختلف عنه إلا من حيث المكان، وأنَّ السِّمات والخصائص التي امتاز به ناتجةُ من أثر البيئة المحلية ، وطبيعة الأَنْدلُس ، كما لأدب أيَّ إقليم آخر سماته وخصائصه الخاصة ، وليس في ذلك أفضلية لأدب على آخر ولا دليل على تقليد أدب لأخر، يذهب الفريق الأخر إلى أنَّ الأدب الأَنْدلُسي مستقل" تماماً عن الأدب المشرقي زماماً ومكاناً ، وليس بينهما إلا رابط اللُّغة والدين ، ولكنه مقلد للأدب المشرقي سائر على خطاه وضع على ذات القوالب الفنية للأدب المشرقي ، فالبحث يسعى لتحديد مدى استقلالية الأدب الأَنْدلُسي وأَصالته أَو تبعيته للأدب المشرقي من خلال عرض التيارات والاتجاهات الأدبية النقدية التي سادت في المشرق، والتيارات والاتجاهات الأدبية والنقدية التي وجدت في الأَنْدلُس لابراز شخصية الأدب الأَنْدلُسي ، وقد نظرنا لذلك من خلال شعر الطبيعة .

٢) أهمية البحث:

تأتي أهمية موضوع البحث في إطار الاهتمام بالنَّقْد الأدبي والدراسات الأَنْدَلُسية للكشف عن قيمة النقد الأدبي في الأَنْدَلُس من خلال عرض الاتجاهات النقدية التي سادت هذا الإقليم ، فالتيارات النقدية التي وفدت من المشرق نقلت معها القوالب الأدبية والاتجاهات النقدية التي صاحبت مسيرة الأدب العربي عبر تاريخه الطويل .

إِنَّ الأدب الأَنْدَلُسي قد لقي كثيراً من الإهمال من قبل الدارسين في عالمنا العربي ، مع وفرة وجودة ما كتبوا عن أدب المشرق ، منذ جاهليته إلى عصره الحديث ومن بعده في جزيرة العرب إلى أَقاليمه المختلفة، وفي العراق ، والشام ومصو الشيء الذي يُ كسب الموضوع أهمية ومزية خاصة ويشكل إضافة في مجال الأدب والنقد الأَنْدَلُسي الذي يعد بدوره أحد مكونات الأدب العربي العام.

٣) أهداف البحث :

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي :

١-الوقوف على نَشْاة النَّقْد الأدبي في بلاد الأَنْدَلُس وتحديد العوامل التي ساعدت على تطوره للتوصل من خلاله إلى التيارات النقدية التي أثرت في اتجاهات النَّقْد بالأَنْدَلُس.

٢-الإحاطة بالاتجاهات النقدية في الأدب الأَنْدَلُسي.

٣-التَّعرف على الذوق الأدبي الأَنْدَلُسي وعوامل قوته وتطوره وتحديد مساره .

٤- بيان أثر التيارات النقدية على الاتجاهات النقدية في الأدب الأَنْدَلُسي.

٥-معرفة أبرز الشخصيات النقدية في الأدب الأَنْدَلُسي والوسائل والطرق التي أتبعها في الدفاع عن أدب الأَنْدَلُس.

٤) أسئلة البحث:

١-هل كانت هنالك تيارات واتجاهات نقدية معروفة بالأَنْدَلُس قبل التأثيرات المشرقية على الأدب الأَنْدَلُسي؟

٢- ما هي الأغراض الشعرية التي برزت من خلالها شخصية الأدب الأَنْدَلُسي؟

٣-ما هي أكثر المؤثرات الداخلية والخارجية تأثيرات في تكوين اتجاهات أدبية ونقدية بالأُندلُس؟

٤- ما هي أكثر الشخصيات المشرقية أثراً على الذوق الأدبي الأُندلُسي؟

٥-ما هي الوسائل التي اتخذها نقاد الأُندلُس في الدفاع عن الأدب الأُندلُسي ؟

٥) أسباب اختيار البحث:

وعلى كثرة الدراسات الأُندلُسية، قديمها وحديثها لم أقف على دراسة قامت على تحديد مدى تأثيرات التَيَّارات والاتجاهات النقدية المَشْرِقية على أدب ونقد الأُندلُس بشكل مباشر ، وإنْ كانت هنالك بعض الحالات التي تحدثت عن علاقة أدب الأُندلُس بالمَشْرِق، فكان ذلك سببا فى اختيار الموضوع وجعله موضوعاً للبحث ، أي السعي إلى إبراز أثَر التَيَّارات والاتجاهات الأدبية والنَّقدية المشرقية على اتجاهات النَّقْد في الأُندلُس ثم كانت الرغبة الأكيدة فى المشاركة في ميدان الدراسات الأُندلُسية سبباً آخراً في اختيار الموضوع ، فضلاً عن الشعور بقلة الدراسات والأبحاث في الأدب الأُندلُسي مقارنة بما حظي به المَشْرِق من كثرةٍ في الدراسات،عليه فإنَّ الرغبة في المشاركة في ميدان البحث في الدراسات الأدبية والنقدية يعتبر سبباً أولاً لاختيار الموضوع ، إضافة إلى قلة الأبحاث في مجال النَّقْد الأدبي بصورة عامة ، والنَّقْد الأُندلُسي بصورة أخص ، كما أنه في تقديري لما كانت منطقة الأُندلُس تشكل حلقة وصل بين العالم العربي وغرب أوربا فإنَّ إلقاء الضوء على أدب المنطقة يكشف الكثير من علاقات التأثير والتأثر، وذلك للوقوف على اتجاهات النَّقْد الأُندلُسي من خلال تيارات النَّقْد المشرقية.

٦) حدود البحثِ:

الحدود الزمانية : تبدأ من العصر الأول وحتى العصر الرابع الهجري، أما الحدود المكانية: فتتمثل في حدود دولة الأُندلُس الإسلامية في الفترة من الفتح إلى سقوط الخلافة الأُموية.

٧) مَنْهج البحثِ :

اعتمدتُ في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي ، التاريخي ، تدرجت فيه من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي ، أقدم بعض الآراء النقدية التي أثرت في كل مرحلة وأورد الأدلة التي استندت عليها مع ذكر بعض الشواهد الشعرية التي تمثل محلاً لتطبيق النقد ، ومناقشتها في ضوء المبادئ والمقاييس النقدية الَمشْرِقية باعتباره المعيار الأدق والأصلح لإصدار الأحكام، والدلالة على أوجه الشبه أو المفارقة وإصدار أحكام موازنة بالإتباع أو التفرد ، وقد اقتضى ذلك التزاماً بالنصوص النقدية وإيراد الكثير منها بالنص لإدراك الصلات الوثيقة بينها، ثم أقوم بالتعليق عليها لربط السابق باللاحق لبيا ن الأثر الَمشْرِقي في الأْندلُس.

٨) الدراسات السابقة :

وفي إطار الدراسات السابقة لم أكن أوَّل من تناول النَّقْد والأدب الأْندلُسى فالذين كتبوا فى هذا المجال كثر" ، وقد تناول كلٌّ واحدٍ موضوع الدراسات الأْندلُسية من زاوية ولكن على كثرة هذه الدراسات لم أقف على دراسة محددة تناولت التَيَّارات والاتجاهات الأْندلُسية الناتجة عن الأثر الَمشْرِقى، وحصر الاتجاهات الأْندلُسية الجديدة فى صعيد واحدٍ الشيء الذي دفعني إلى هذه الدراسة وحفزني عليها ، أما الدراسات السابقة التى وقفتُ عليها تدور فى هذا الفصل منها :

- اتجاهات النَّقدِ الأدبي في الأْنَدلُس في القرنين السَّادس والسَّابع الهجريين بحث" مقدم" لنيل درجة الدكتوراة تقديم الطالبة: أُميمة إبراهيم أحمد الحاردلو إشراف البروفيسور عز الدين الأمين جامعة الخرطوم سنة ٢٠٠٨م.
- المنهج النَّقدي عند حازم القرطاجني بحث" مقدم" لنيل درجة الدكتوراة في الأدب تقديم: أحمد تاور أحمد، إشراف البروفيسور إبراهيم أحمد الحاردلو جامعة الخرطوم سنة٢٠٠٦م.
- تيارات النَّقْد الأدبي فى الأْندلُس رسالة دكتورة ، تقديم مصطفى عبد الرحيم رسالة دكتورة ١٩٨٤م .

- اتجاهات النَّقْد فى القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، تقديم منصور عبد الرحمن كلية دار العلوم القاهرة ١٩٦٩م .
- النَّقْد عند اللغويين فى القرن الثاني الهجري رسالة ماجستير ، تقديم أحمد محمد رسالة ، جامعة القاهرة ١٩٧٢ م
- وعلى الرغم من قلة الدراسات الأُندلُسية في هذا المجال – بفضل الله وعونه – لم تقف في طريقي من الصعوبات ما تستحق الذكر، فالمادة" متوفرة " في المصادر والمراجع القديمة" منها والحديثة " ، خاصةً كتب التراث النقدي التي أصلت للقضايا النقدية ، ثم كان لتوجيه أُستاذي " المشرف" وإرشاده دور كبير في كمال الرؤية ووضوح الطريق .

هكذا سار البحث نحو غاياته وتحقيق أهدافه المنشودة.

٩) هيكل البحث :

وقد أشتمل البحث على الفصول والمباحث الاتية :

الفصل الأَوَّل: نشأةُ النَّقْد الأدبي فى المَشْرِق وتطوره ، واحتوى الفصل على ثلاثة مباحث، الأَوَّل عن مفهوم النقد وفيه تطرقت إلى معنى النَّقْد فى اللُّغة وفي اصلاح النقاد، والمَبْحث الثَّاني عن النَّقْد في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، والمَبْحث الثالث عن النَّقْد فى العصرين الأموي والعباسى، أما **الفصل الثانى:** وعنوانه التيارات والاتجاهات النقدية بالمَشْرِق واشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأَوَّل اتجاهات النقد فى العصر الجاهلى، والثانى اتجاهات النَّقْد في صدر الإسلام، والثالث تناول الاتجاهات النقدية فى العصر الأموي والعباسي، وجاء **الفصل الثالث:** تحت عنوان الذوق الأدبى الأُندلُسي وعوامل تكوينه، وتضمن المباحث الاتية:

المبحث الأَوَّل: المؤثرات المحلية على الأدب الأندلسي وفيه :

أولاُ : مفهوم الذوق

ثانياً : أثر الحكام من أمراء وخلفاء على الذوق الأُندلُسي.

ثالثاً : أثر علماء اللغة والمودبين على الذوق الأُندلُسي.

المبحث الثاني :المؤثرات المشرقية على الأدب الأندلسي وفيه:

أولاً : أَثر أبي تمام وأبي علي القالي .

ثانياً : أَثر المتنبي وأبي العلاء المعري.

المبحث الثالث : الاتجاهات الشعرية التي نشأت في الأَندلُس.

المبحث الرابع : أصالة الشعر الأندلسي من خلال شعر الطبيعة

والفصل الرابع: عنوانه نشاة النَّقْد الأدبي في الأَندلُس وتطوره واشتمل على المباحث الآتية : الأَوَّل نشأة النَّقْد في الأَندلُس والثاني أثر المذاهب النقدية ا لَمشْرِقية على تكوين النَّقْد في الأَندلُس ، والثالث عوامل تطور النَّقْد الأدبي في الأَندلُس ، ثم **الفصل الخامس:** التيارات والاتجاهات النقدية في الأَندلُس : يتكون من ثلاثة مباحث الأَوَّل اتجاهات النقد المنهجي في الدفاع عن أدب الأَندلُس والَمبْحث الثاني اتجاه النَّقْد الخلقي " الشعر والدين " والثالث الموازنات الأدبية في الأَندلُس.

أسال الله أَنْ يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأَنْ ينفع به ، وأَنْ يوفقنا لمرضاته أَنَّه سميع مجيب ، ولله وحده الكمال وهو نعم العون ونعم النصير.

الباحث

تَمهيد:

يـُقْصدُ ببلاد الأَنَدلُس شبه الجزيرة التي تقع في الرَّكن الجنوبي الغربي من قارة أوربا ، وتشمل دولتي أسبانيا والبرتقال ، يحيط بها المياه من كل الجهات عدا الشمال الشرقي، حُيث تحدها جبال البرانس التي يسميها العرب(بالبرتات) ، وهي جبال ذات ممرات تفصل بينها وبين فرنسا، فيحدها من الشرق البحر الأبيض المتوسط ، ومن الغرب والشمال الغربي المحيط الأطلسي، ومن الجنوب مزيج" من مياه البحر الأبيض والمحيط الأطلسي حيث مضيف جبل طارق ملتقى البحر بالمحيط ، وهو الحد الفاصل بين شمال أفريقيا وجنوب أسبانيا ، وقد أُطلِقَ عليه هذا الاسم بعد أَنْ

عبره طارق بن زياد من المغرب إلى الأَنْدَلُس فاتحاً لها ، وكان العرب يسمونه قبل ذلك ببحر الزقاق.

يذكر المؤرخون أنَّ العرب المسلمين هم أَوَّل من أطلقوا اسم الأَنْدَلُس على هذا الإقليم عند فتحهم له في سنة ٩٢ هـ الموافق ٧١١م بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير بتوجيه من الدولة الأموية التي كان مقاليد الحكم بيدها في المشرق ، وظل اسم الأَنْدَلُس منذ ذلك الوقت مرتبطاً بالدولة الإسلامية وحدها مهما كان امتدادها يتسع باتساعها، ويضيق بانحسارها، ولم يذهب بنهاية دولة الإسلام في الأَنْدَلُس، بل ظلَّ مستعملاً للمعنى القديم كلَّما ذكرت الأَنْدَلُس أو نُكِر علم" من أعلامها أو فن" من فنونها أو أثر" من آثارها أو أي شيءٍ له صلة بها.

أما سبب انتشار هذا الاسم والمحافظة عليه لزمن طويل حتى رسخ في الأذهان بعد الفتح الإسلامي، هو أنَّ مؤرخيهم وجغرافيهم، وسائر علمائهم وأدبائهم كانوا يستعملونه ويفضلونه عندما يقصدون شبه الجزيرة الإيبرية ، فشاع استعماله في المؤلفات العربية الأَنْدَلُسية والمغربية والمشرقية، وفي الوثائق والتواريخ ، والرحلات وكتب الجغرافيا وغيرها، وعندما خرج العرب المسلمون من الأَنْدَلُس بقي الاسم يُطلق على تلك الجزيرة ولم يخرج معهم، ولكن أصابه شئ" من التطور في اللفظ والمعنى، فمن حيث اللفظ أصبح في اللغة الإسبانية " أندليثا "بدلاً من أَنْدَلُس ومن حيثُ المعنى فقد انحسر على الجزء الجنوبي من الجزيرة فقط بعد أنْ كان يشمل كل الجزيرة ، والأقاليم التي يشملها اسم أندليثيا الأن أسبانيا هي : المرية، غرناطة ، مالقا، جيان، قرطبة، إشبيلية ، قاوس وأونبه.

لمعرفة الأصل الذي أخذَ منه المسلمون اسم الأَنْدَلُس، نقفُ على بعض الآراء والتعليلات التي أوردها المؤرخون في عصور مختلفة حول تسمية شبة الجزيرة الإيبرية بهذا الاسم فقد نقل المقرِّي: ((أَنَّ تلك البلاد سميت بأَنْدَلُس بن طوبان بن يافث بن نوح لأنه نزلها ، كما أنَّ أخاه سبت بن يافث نزل العُدوة المقابلة وإليه تنسب سبته))[1] ، ولكن أحمد هيكل يشكك في ما أورده المقري نقلاً عن ابن سعيد ، ويقول:

---

[1] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب :ج١، ص٢٢٧، تحقيق إحسان عباس، ط دار صادر بيروت ، (د.ت) .

((أنَّ في رأي ابن سعيد تعليل أسطوري أبعد ما يكون من الحقيقة)) [٢] ، ويقول الرَّازي: ((أوَّل من سكن الأَنْدَلُس بعد الطوفان ، قوم" يعرفون بالأَنْدَلُش وبهم سمي البلد ثم عُرِّب)) [٣]، ويقول محمد رضوان الداية: ((واسم الأَنْدَلُس له صلة باسم قبائل الوندال التي سكنت البلاد بعد الرومان ، وغير الاسم من وندلس ، واتخذ اسماً عربياً ، فقيل الأَنْدَلُس أو بلاد الأَنْدَلُس)) [٤] ويقول جودت الركابي:((سمى العرب جميع البلدان الإسبانية التي فتحوها باسم الأَنْدَلُس، ويمكن تقريبها من اسم جماعات الفنداليين الذين هاجموا أسبانيا ومروا بها مهاجرين إلى أفريقيا الشمالية في مبدأ القرن الخامس الميلادي سمى باسمهم وقيل له فندلس، حتى جاء المسلمون فجعلوها شاملاً لجميع البلدان التي احتلوها بعد أن حرفوه وجعلوه أَنْدَلُس)) [٥].

إذا تتبعنا الأثَر التاريخي للاسم من خلال الأقوام الذين سكنوا المنطقة ، نجد أنَّها عُرفت في أقدم عصورها باسم إيبريا ، نسبة إلى الإيبريين الذين كانوا أقدم من سكن هذا الإقليم ، ثم نزل الفينيقيون على الشاطئ الإيبري وأطلقوا عليه اسم (شاطيء الأرانب) ويُقال في تعليل ذلك أنَّ الفينيقيين قد صادفوا عند نزولهم على الشاطيء الإيبري كثيراً من الأرانب ، ثم أعقب الرومانُ الفينيقين في حكم الإقليم وعرفت شبه الجزيرة في عهدهم باسم إسبانيا ، واختلف المؤرخون في الأصل الذي أخذ منه الرومان اسم إسبانيا فبعضهم يقول: إنَّهم استبطوا ذلك من التعبير الفينيقي الذي يعني شاطيء الأرانب، ويرى بعضهم الآخر، أنَّ الاسم مأخوذ من اسم ملكهم (إشبان بن طيطش) وباسمه سميت الأَنْدَلُس إسبانيا وفي ذلك يقول أحمد هيكل : ((الصحيح أنَّ الكلمة أطلقها الرومان على تلك البلاد ، ولكن لا أَخذاً من اسم ملكهم إشبان الذي لا يعرف التاريخ عنه شيئاً لكن أخذاً من عبارةٍ فينيقيةٍ معروفةٍ كان الفينيقيون قد أطلقوها على الشاطئ الإيبري حيث نزلوا به))[١].هكذا استقر اسم إسبانيا

---

[٢] المصدر السابق : ص٢٢٩.

[٣] الروض المعطار في خبر الأخطار: ج٢ ، ص٣٢-٣٥.

[٤] الأدب الأَنْدَلُسي: ص١٧، ط٧ ، دار الفكر دمشق ٢٠٠٠ م.

[٥] في الأدب الأَنْدَلُسي : ص٩ ، ط٧ ، دار المعارف القاهرة ٢٠٠٨م .

[١] الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة : ص١٦ .

على شبه الجزيرية الإيبرية في عهد الرومان سواءًكان أخذاً من العبارة الفينقية شاطئ الأرانب أو نسبه إلى ملكهم أشبان .

كان الجزء الجنوبي من إسبانيا يسمى باسم "بتيكا " في العهد الروماني وفي أواخر القرن الخامس الميلادي أغارت بعض القبائل الأوربية الشمالية التي تعرف بقبائل " وندلس" على ممتلكات الرومان في إسبانيا حتى وصلوا إلى أقصى الجنوب حيث إقليم بتيكا وسموه باسم (قندليسيا) نسبة إليهم ، ويذهبُ أكثُر الباحثين في الدراسات الأَنْدَلُسية إلى أنَّ أرجح الآراء في سبب التسمية ،أَنه لما جاء المسلمون فيما بعد وعرفوا ما كان من أمر الـ (وندلس) بتلك البلاد سموها بلاد الأَنْدَلُس وكأنهم اضافوا تلك البلاد إلى هؤلاء الذين حكومها من قبل واشتهر أمره بها.

فتح الأَنْدَلُس:

قال المقري: أعلم أنه لما قضى الله سبحانه بتحقيق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((زويت لي مشارق الأرض ومغاربها ، وسيبلغ مُلكُ أمتي ما زوي لي منها " وقع الخلاف بين لذريق ملك القوط وبين ملك سبته الذي على مجاز الزقاق، فكان ما يُذْكر من فتح الأَنْدَلُس على يد طارق بن زياد وطريف ومولاهما الأمير موسى بن نصير)) . [٢]

وقد جاء أخبار الفتح بروايات مختلفة منها ما ذكر الحجازي وابن حيان وغيرهما أنَّ أوَّل من دخل جزيرة الأَنْدَلُس من المسلمين برسم الجهاد طريق البربري مولى موسى بن نصير الذي تنسب إليه جزيرة طريف التي على المجازة، غزاها بمعونة صاحب سبته يليان النصراني ، لحقده على لذريق صاحب الأَنْدَلُس وكان في مئة فارس وأربعمئة راجل جاز البحر في أربعة مراكب، في شهر رمضان سنة إحدي وتسعين ، وانصرف بغنيمة جليلة فعقد موسى بن نصير صاحب المغرب لمولاه طارق بن زيادة على الأَنْدَلُس ، ووجهه مع يليان صاحب سبته وقال لسان الدين بن الخطيب : ((وحديث الفتح وما منَّ الله له على الإسلام من المنح وأَخبار ما أفاء الله من الخير على موسى بن نصير، وكتب من جهاد لطارق بن زياد ،

---

[٢] أخرجه مسلم رقم (٢٨٨٩) ٤ / ٢٢١٥ ، وأبو داود رقم (٤٢٥٢) ٤/٩٧

مملكو قصاص وأوراق ، وحديث أوال وإشراف وإرعاد وإبراق، وعظم امتشاش ، وآله معلقة في دكان قشاش)) [١] .

وقال ابن بشكوال ((إنه طارق بن عمرو ، فتح جزيرة الأُنَدَلُس ودوخها وإليه ينسب جبل طارق الذي يعرفه العامة بجبل الفتح ، في قبلة الجزيرة الخضراء ورحل مع سيده بعد فتح الأُنَدَلُس إلى الشام وانقطع خبره)) [٢] ، وكذلك: من تاريخ ابن حيان : لما حرض يليان النصراني صاحب سبته، للأمر الذي وقع بينه وبين صاحب الأُنَدَلُس، موسى بن نصير على غزو الأُنَدَلُس جهز لها مولاه طارقاً المذكور في سبعة آلاف من المسلمين، جلهم من بربر، في أربع سفن ، وحط بجبل طارق المنسوب إليه يوم السبت في شعبان سنة اثنين وتسعين ولم تزل المراكب تعود حتى توافي جميع أصابة عنده بالجبل .

قال المقري: ((استعمل أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير مولى عمه عبد العزيز بن مروان، ويقال : بل هو بكري، وذلك أنَّ أبا نصيراً اصله من علوج اصابهم خالد بن الوليد ، في عين التمرة، فأدعوا أنَّهم رهن وأنهم من بكر بن وائل ، فصار نصير وصيفاً لعبد العزيز بن مروان ، فأعتقه ، وقيل : إنه لُخميَّ، وعقد له على أفريقي وما خلفها في سنة ثمانٍ وثمانين)) [٣] .

وقال ابن الفرضي: ((موسى بن نصير صاحب فتح الأُنَدَلُس لخمي يُكنى أبا عبد الرحمن ، ويُروى عن تميم الداري ، وروي عنه يزيد بن مسروق، وقيل : ((غزا موسى بن نصير في المحرم سنة ثلاث وتسعين ، فأتي طنجة ثم عبر إلى الأُنَدَلُس فأدخلها ، ولا يأتي على مدينة إلا فتحها ونزل أهلها على حكمه ، ثم سار إلى قرطبة ، ثم قفل عن الأُنَدَلُس سنة أربع وتسعين ، فأتي إفريقيا وسار عنها سنة خمس وتسعين إلى الشام يؤمَّ الوليد بن عبد الملك يجرَّ الدنيا بما احتمله من عتائم الأُنَدَلُس من الأموال والأمتعة يحملها على العجل والظهر ، ومعه ثلاثون ألف رأس من السبي فلم يلبث أنْ هلك الوليد بن عبد الملك ، وولي سليمان فنكب موسى نكباً أداه إلى المتربة ، فهلك في نكبته تلك البوادي القرى سنة سبع وتسعين.

---

[١] أعمال الاعدام : تحقيق ليفي بروفنسان بيروت ١٩٥٩م .

[٢] الصلة : تحقيق السيد عزت العطار ، مكعة السعادة ١٩٥٩م.

[٣] نفح الطيب :ج١،ص٢٩٣.

بعد أنَّ استقر الأمر لموسى بشمال أفريقيا بدأ يتطلع في شوق إلى تلك البلاد الواقعة على الضفة الأخرى من المضيق ، فأرسل جيشاً كبيراً بقيادة البربري طارق بن زياد لفتح الأَنْدَلُس قوامه سبعة ألف مقاتل معظمهم من البربر.

عبر جيش طارق مضيق الزقاق الذي سمي فيما بعد باسمه، ونزل جنوب شبه الجزيرة في المكان الذي سمي بجبل طارق ، وكان هذا العبور على سفن حاكم سبته كما كان يرافقه أُدلاُءمن قِبل هذا الحكام ، هزم طارق بعد نزوله على الشاطيء الإسباني كلَّ الحاميات التي تعرضت له ، وكان وقته ملك القوط شمال شبه الجزيرة يُخصع بعض الثائرين عليه ، وعند سماعه بنبأ طارق وجيشه أسرع بالعودة إلى طليطلة العاصمة واستعد بجيش كبير للقاء الفاتح المسلم وكان عدد جيشه على رواية ابن خلدون أربعين ألف حينما بلغ جيش طارق بعدَ مدِّه بخمسةِ ألف بربري من المغرب أثني عشر ألفاً ، وفي سهول شريش قرب مدينة قادس وعند وادي لكّا التقى الجيشان في معركة كبيرة انتهت بانتصار المسلمين في رمضان ٩٢هـ ، وتشتت جيش القوط رغم تفوقه العددي ، وبعد هذه المعركة الرئيسية الحاسمة أرسل طارق بعض محاربيه لفتح قرطبة وغرناطة ومالقا وغيرها من المدن والأقاليم ، ثم إتجه بأكبر الجيش إلى العاصمة القوطية طليطلة فدخلها وأسس دولة المسلمين في الأَنْدَلُس على أنقاض دولة القوط .

وفي العام التالي : (٩٣هـ-٧١٢م) عبر موسى بن نصير إلى الأَنْدَلُس بجيش جديد ، ونزل في مكان آخر يُعرفُ الآن بالجزيرة الخضراء ، وسار في طريق غير الذي سلكه طارق ، أخضع من خلاله كثيراً من المدن والأقاليم لم تكن قد خضعت بعد مثل شزونا وإشبيلية إلى أنَّ وصل إلى طليطلة ويُقال أنَّ موسى أظهر عدم الرضى عن موالاه طارق لتوغله في البلاد توغلاً كان من الممكن أنْ يكون سبباً في هزيمة المسلمين ولآمه في ذلك كثيراً ، ويقول بعض المؤرخين بل أنَّه قيده وضربه وكاد يقتله ، ولهم في تصرف موسى إزاء طارق تفسيرات" بعضُها يتهم موسى بالغيرة على طارق أو الحقد عليه ، على أي حال بعد هدوء تلك العاصفة بين القائدين سارا بالجيش الإسلامية مخضعين كثيراً من أقاليم حوض نهر إبرة مثل إقليم سرقسطة ،

ثم تقاسما إخضاع بعض الأقاليم الشمالية مثل سوريا وليون وبعض حصون استورياس وجليقة .

بينما هما في قمة انتصاراتهم ، استدعى الخليفة الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير إلى دمشق على أنْ يكون في صحبته طارق ، فأوقف الزحف شمالاً وعاد على الجنوب ، وأصلح من شئون الأَنْدَلُس ما استطاع ، ونصب ابنه عبد العزيز على البلاد واتجه مع طارق إلى دمشق في سنة (٩٥هـ- ٧١٤م)إمتثالاً لأمر الخليفة ، هكذا دخل المسلمون شبه الجزيرة الإيبرية، وأسسوا فيها دولة إسلامية كبرى امتدت لثمانية قرون عُرفتْ بدولة الأَنْدَلُس ، يقسم فيها الحكم إلى عصور وهي :

١-**عصر الولاة** : يبدأ بالفتح الإسلامي سنة (٩٣هـ-٧١٢م) وينتهي بقيام دولة بني أُمية في الأَنْدَلُس على يد عبد الرحمن الداخل سنة (١٣٨هـ- ٧٥٥م) وقد سُمي هذا العصر عصر الولاة ؛ لكون الأَنْدَلُس كانت تحكم فيه بواسطة والٍ يعينه خليفة دمشق وأحياناً يعينه حاكم شمال أفريقيا.

٢-**العصر الأُموي**: الذي يبدأ بقيام دولة بني أُمية في الأَنْدَلُس على يد عبد الرحمن الداخل وينتهي بإنتهاء مُلك بني أُمية هنالك بعد سلسلة من الخلفاء العاجزين ، واختيار زعماء قرطبة لنوع من الحكم الجمهوري سنة (٤٢٢هـ-١٠٣١م).

٣- **عصر ملوك الطوائف**: ويبدأ بسقوط الدولة الأموية وقيام عدة ممالك مستقلة ، تقسمت الأَنْدَلُس معها إلى طوائف على كلِّ طائفة ملك ويستمر حتى استيلاء المرابطين على الأَنْدَلُس بقيادة يوسف بن تاشفين سنة (٤٩٣هـ-١٠٩١م).

٤-**عصر المرابطين** : ويبدأ باستيلاء ابن تاشفين وجيوشه الأفريقية على الأَنْدَلُس ، وينتهي بحلول الموحدين محلهم في حكم إسبانيا المسلمة في سنة(٥٤١هـ-١١٤٦م).

٥-**عصر الموحدين** : ويبدأ بحكم هؤلاء الأفريقيين للأَنْدَلُس ، وينتهي بسقوط دولتهم وسيطرة المسيحيين الإسبان على أغلب الأَقاليم التي كانت تحت حكم

المسلمين ، وانحصار الدولة الإسلامية الأُنَدلُسية في رقعة صغيرة في الجزء الجنوبي في مملكة غرناطة وذلك في سنة (٦٦٨هـ -١٢٦٩م).

٦-**العصر الغرناطي** : ويبدأ بتأسيس مملكة غرناطة على يد ابن الأحمر وينتهي بتسليم هذه المدينة الإسلامية إلى الأسبان سنة (٨٩٨هـ - ١٤٩٢م).

وأشار الدكتور أحمد هيكل [1] إلى أنَّ بعض الباحثين يُولِّد من تلك العصور عصرين آخرين ، فيجعل فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين عصراً يسميه عصر الطوائف الثاني وكذلك يجعل فترة ما بين عصر الموحدين والعصر الغرناطي عصراً آخر ويسميه عصر الطوائف الثالث نسبة لوجود عصر أوَّل يسمى عصر ملوك الطوائف هو الذي جاء على أعقاب سقوط الحكم الأُموي في الأُنَدلُس، كما أنَّ بعضهم يضم الفترات الأَوَّلى من الدولة الأموية وهي التي أعقبت الفتح الإسلامي وحتى خلافه عبد الرحمن الناصر وهي فترة الولاة ، ويسمى كلّ ذلك عصر الإمارة ، ويقصد به كل ما قبل الخلافة أو عصر الإمارتين ويعني بذلك إمارة غير الأمويين ثم إمارة الأمويين، نقف من خلال تلك العصور على تطور حركة الأدب والنقد والمؤثرات عليها فقط لا غير.

الفصلُ الأَوَّل

---

[1] الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة : ص٢٨ .

نَشاةُ النَّقدِ الأَدَبي في المَشرِق وتطوره

المَبحثُ الأَوَّل : مفهـــــــــــــــــــــــــوم النَّقد
المُبْحَثُ الثَّاني: النَّقد في العَـــــــــــــــصر الجاهليِّ
المَبْحَثُ الثَّالثُ: النَّقد في صدر الإسلام والعصر الأُموي
المَبْحَثُ الرابع : النَّقد في العـــــــــــــــصر العباسي

الفصلُ الأَوَّلُ

نَشْاةُ النَّقْدِ الأَدبي في المَشْرِق وتطوره

المَبْحثُ الأَوَّلُ

مفهوم النَّقْد

أَوَّلاً : معنى النَّقْدفي اللُّغة :

وردت كلمة " نقد " في المعاجم اللُّغوية بمعانٍ مختلفة، تدور كلها – فيما علمت– حول تمييز الجَّيد من الرَّديء ، وإخراج الزائف من الأصلي، فمن ذلك قول إبراهيم أنيس وآخرين:((نقد الشيء نقداً : نقره ليختبره،وأ ليميز جيَّده من رديئه يُقال: نقد الطائر الفخَّ ونقدتُ رأسه بإصبعي، ونقد الدَّراهم والدَّنانير وغيرهما نقداً . وتنقادً: ميز جيَّدها من رديئها، ويقال نقد النثر، ونقد الشِّعر: أظهر ما فيهما من عيب أو حسن ، وفلان ينقد النَّاس يعيبهم ويغتابهم ونقْدتُ الحيةُفلاناً : لدغته ونقد فلان الشئَ

ببصره نقوداً لختلس النظر نحوه حتى لا يُ فطنُ له،ونقد فلاناً الدَّراهم نقداً وتنقاداً : أعطاه إيَّاها ، ونقد فلاناً الثمن وله الثمن : أَعطاه إيَّاه نُقداً مُعَجَّلاً .

ونقد الشئ نُقداً : وقع فيه الفسادُ يُ قالُ : نقد الضِّرْس أو القرنُ تآكل وتكسرَّ ونقد الحافرُ: تقشَّر وأُنقد الشَّجر: أورق وناقده ناقشه في الأمر)) [١] ثم يقول: ((والناقدُ الفني: كاتب عمله تمييز العمل الفني جيِّده من رديئه، وصحيحه من زيفه ، وجمعه نقادُ ونقدة")) [٢].

وكذلك قال شوقي ضيف وآخرون ((نقد الشيء نقداً ليختبره، أو ليميَّز جيّده من رديئه ويقال نقد الدَّراهم والدَّنانير وغيرهما نقداً ، وتنقادًا : ميز جيِّدها من رديئها، ونقد النثر، ونقد الشِّعر: أظهر ما فيهما من عَيْبٍ أو حُسْنٍ))[٣] وأورد ابن منظور في مادة " نقد": ((نقدته الحيةُ إذا لدغته ونقدتُ رأسه بأصبعي إذا ضربته))[١] وقال الزمخشري: ((نقد الكلام: وهو من نقد الشِّعر ونقاده ، وانتقد الشِّعر على قائله))[٢] واستعملت بمعنى العيب والانتقاص كما في حديث أبي الدرداء: ((إنْ نقدت النَّاس نقدوك ، أي : إنْ عبتهم قابلوك بمثله))[٣] ويقول الرازي في مادة " نقد " نقده الدَّراهم ، ونقد له الدَّراهم أي أعطاه إياها وانتقدها ، ونقد الدَّراهم وأنتقدها أخرج منها الزيف وبابها " ضَرَب" ودِرهم" نقد" أي وازن" جيّد" وناقده ناقشه في الأمر)) [٤].

وكذلك جاءت كلمة" نقد " في الشِّعر لتدل على المعاني السابقة : ((تمييز الجيَّد من الرديء وإخراج الزائف من الأصل)) كما في قول الشاعر[٥] :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرةٍ *** نفي الدراهم تنقاد الصيارف

---

[١] المعجم الوسيط : مادة " النقد"ج٢، ص٩٨٤ ، إشراف حسن على عطيه ، محمد شوقي أمين ، ط٢ ، القاهرة ١٩٧٢م .

[٢] المصدر السابق : ج٢ ص٩٨٥

[٣] المعجم الوجيز : ص٦٢٩، مجمع اللغة العربية ط١ ، ٢٠٠٣م

[١] لسان العرب: مادة " النقد" ج٥ ، ص١٢٠، تحقيق يوسف خياط ط دار لسان العرب بيروت (د.ت)

[٢] أساس البلاغة : ط ١ الهيئة العامة للكتب القاهرة

[٣] النهاية في غريب الحديث والأثر: ص١٠٤، تحقيق محمود محمد الطانجي،(د.ط) المكتبة الإسلامية (د.ت)

[٤] مختار الصحاح : ص٦٧٥، ط١ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٩م

[٥] النقد الأدبي قديماً وحديثا: ص٤، ٢٠٠٦م

ومنه قول الآخر [٦]:

إِنَّ نقد الدينار إلَّا على الصيرفي *** صعب" فكيف نقد الكلام

وكذلك قول أحدهم [٧]

رُبَّ شعر نقدته مثلما ينقد *** رأس الصرافي الدينار

هكذا نجد أن كلمة " نقد " – على اختلاف المصادر التي وردت فيها – تدل على تمييز الجيِّد من الرديء وإخراج الزائف من الأصل.

ثانياً: معنى النَّقْد في الاصطلاح:

يكاد أنْ يتفق الأُدَباُء العرب على أَنَّ المقصود بكلمة " نقد " هو : فن دراسة النصوص وتمييز الأساليب جيّده من رديئه وكشف أصالة الأديب أو عدم أصالته . يقول ابن سلام الجُمحي: ((للشعر صناعة" وثقافة" يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثَقفُه الأُذُن ومنها ما تثَقفُه اليد ، ومنها ما تَثقفُه اللِّسانُ. ومن ذلك اللؤلو والمرجان لا يُعرفُ بصفةٍ ولا وزنٍ دون المعاينة ممَّن يبصره ، ومن ذلك الجْهبزة بالدينار والدِّرهم ، ولا تعرف جودتُها بلونٍ ولامسٍّ ولا طرازٍ ولا اسمٍ ولا صفةٍ ، ويعرف الناقد عند المعاينة فيعرفُ بعرجها وزائفها ، ومنها البصير بغريب النَّحل، والتبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلاف بلاده مع تشابه لونه ومسَّه وزرعه ، حتى يُضاف كل صنفٍ إلى بلده الذي خرج منه)) [١].

ويقول محمد أحمد العزب : ((النَّقْد: تحليل الأعمال الفنية، وتحديد قيمتها الجمالية والفنية، والغائية من خلال تذوق تشترك في تشكيله موضعية العقل، وانفعالية الوجدان، أي أنَّ النَّقْد عملية مركبة تنطوي على عناصر من التحليل والتقييم والكشف عن جوانب الكمال والنقص في العمل الفني ، وتحديد مستوياتها فيه)) [٢].

ويقول ابن رشيق : ((قد يُميز الشِّعْر من لا يقوله كالبزاز يميز من الثياب ما لم ينسجه ، والصيرافي يخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضربه، حتى أنه ليعرف مقدار ما فيه من

---

[٦] المصدر السابق : ص٦

[٧] المصدر السابق نفسه : ص٦

[١] طبقات فحول الشعراء : ص ٥٨ ، تحقيق وشرح ، محمود شاكر ،(د.ط) مطبعة القاهرة (د.ت)

[٢] عن اللغة والأدب والنقد رؤية تاريخية ورؤية فنية: ص٢٥٧ ط١ ، دار المعارف ١٩٨٠م

الغش فينقص قيمته)) [٣] ويقول محمد مندور: ((النَّقْد هو فن دراسة النصوص وتمييز الأساليب)) [٤] ويقول عبد العزيز عتيق: ((....ويكشف أصالة الأديب أو عدم أصالته ، ويميز بين جيّده ورديئه ، وسواءً كان النَّقْد علماً أو فناً فإنه ليس قائماً بذاته، وإنما هو متصل" بالأَدب ، ويستمدُ منه صوره ويسيرُ في ظله ويرصد خطاه واتجاهاته)) [٥] ويقول محمد مندور : ((النَّقْد الأَدبي في أدق معانيه هو فن دراسة الأساليب وتمييزها على أنْ نفهم لفظه الأسلوب بمعناها الواسع وهو منحى الكتاب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والإحساس على السواء)) [٦] ويقول أحمد الشايب ((استعملت اللغُة العربية لفظ " النَّقْد " لمعاني مختلفة ، منها تمييز الجيَّد من الرديء ، والثاني بمعنى العيب والانتقاص)) . ثم استعمل الأُدباءُ العرب كلمة النَّقْد بالاستعمالين لنقد الكلام شعره ونثره على السواء. وبدأ ظهور ذلك في القرن الثالث على وجه التقريب ، إذ يقول البحتري عن أبي العباس ثعلب : ما رأيته ناقداً للشِّعر ولا مميزاً للألفاظ ، ورد عليه آخر فقال: أما نقده وتمييزه فهذه صناعة أخرى ، ولكنه أعرفُ النَّاس بإعرابه وغريبه.

وسارالنُقَّاد العرب في نقدهم على كل من الاستعمالين : استعملوه في القديم وفي الحديث على معنى التحليل والشرح والتمييز والحكم ، فالنَّقْد عندهم دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة ، ثم الحكم عليها ببيان قميتها ودرجتها وكذلك استعملوه بمعنى العيب والمؤاخذة والتخطي فألف المرزباني كتابه:((الموشح في مآخذ العلماء على الشُّعَراء)) ويريد بالعلماء النُقَّاد[١].

ثم يقول: ((ولا يزال النَّقْد مستعملاً بهذا المعنى حتى اليوم عند بعضالنُقَّاد المعاصرين، ويقابله التقريظ وهو المدح والإعجاب، وذلك يكون للتحسين والتزيين))[٢].

---

[٣] العمدة في صناعة الشعرونقده :ج١، ص١١٧، تحقيق محمد بدر الدين السجستاني ط١، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٠٧م

[٤] الميزان الجديد: ص١٧٢ ، مطبعة نهضة مصر ، الفجالة القاهرة ، (د.ت)

[٥] في النقد الأدبي : ص ٦٣٠(د.ط) دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٢م

[٦] في الأدب والنقد : ص٦

[١] أصول النقد الأدبي : ص١١٤

[٢] المصدر السابق : ص١١٥

ويقول محمد غنيمي هلال: ((أنَّ النَّقْد الأَدبي لم يعد مقصوراً على تمييز الجّيد من الرديء أو البحث عن الأصالة والزيف في الأعمال الأَدبية – بل تجاوز ذلك إلى تفسير العمل الأَدبي وتحليله وتقويمه . يضافُ إلى ذلك توجيه الناقد له)) [٣].

وبالنظر إلى ما قاله الأُدَباء وغيرهم عن المقصود الاصطلاحي لكلمة "نقد" وبالتركيز على كلام ابن سلام وابن رشيق يتضح لنا مفهوم النَّقْد والناقد عند العرب، فالناقد هو الذي يستطيع أن يميز بين الجّيد والرديء من القول.

ويعتمد في هذا التمييز على الخبرة وأنْ يكون ثاقب النظر، سريع الخاطر، ذا ثقافة أدبية وعلمية، متمرساً بالأَدب، عارفاً باطواره وتاريخه، وصلاته بالفنون الآخرى مع حسن الفهم والتعمق إلى أبعد غاية حتى يتيسر له الأنصاف والحكم الصحيح .

ويقول أحمد أمين: (إنَّ كلمة نقد في مفهومها الدقيق تعني الحكم ، وهو مفهوم نلحظه في كل استعمالات الكلمة حتى في أشدها عموماً)) [١].

ويقول محمد عبد المنعم خفاجي: ((إنَّ أَوَّل أثر نقدي علمي مشهور في الأَدب العربي هو كتاب " نقد الشِّعر " لقدامه بن جعفر وهو يُعدُ أَوَّل من استخدم كلمة "نقد " بمعناها الاصطلاحي ، تقويم وتقييم النص الأَدبي الإبداعي وإظهار ما فيه من عيوب ومحاسن وما يتعلق بذلك ، ويعتبر كتابه أصلاً لكثير من الدراسات النَّقْدية العربية)) [٢]. فالنَّقْد في مفهومه قديماً وحديثاً يدور حول معنى الفحص والموازنة والتمييز والحكم، غرضه التقدير الصحيح لأي أثر فني وبيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة إلى سواه.

---

[٣] النقد الأدبي الحديث : ص١٧٣

[١] النقد الأدبي : ص١٧٣

[٢] نقد الشعر :ص١٣٠ ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، (د.ط) دار الكتب العلمية بيروت (د.ت)

الَمبْحَثُ الثاَّني

النَّقْد في الَعصرِ الجاهليِّ

بدأ النَّقْد منذ أنْ استمع الإنسان إلى الأَدب شعراً ونثراً باحكام عامة مقتضبة، موجزة لا تحملُ تعليلاً ، مشبعاً بالملاحظات الفردية التَّوقية المجردة عن تقديم الأسباب والحيثيات عن الحكم النَّقْدي الصادر تجاه النص الشِّعري ؛ ذلك لأنَّ الجاهليين لم يكونوا في حاجةٍ إلى إبداء أي اسباب لاحكامهم النَّقْدية التي كانوا يصدرونها على النص الشِّعري المبدع ، وإنما هي ملاحظات تصدر منهم سواء كان ذلك في اللفظ أم المعنى أم الأسلوب أم المبنى أم الموضوع كله . دون أنْ يكون هنالك حاجةً إلى تبرير هذه الأحكام إلا إذا دعتهم إلى ذلك بعض المواقف التي تحتاج إلى ذكر الأسباب التى أملت على الناقد إصدار الحكم على النص المبدع.

قال إحسان عباس: ((نشأ النَّقْد في العصر الجاهلي مرتجلاً ، وكان هيناً يسيُر ملائماً لروح العصر وللشعر العربي نفسه ، عربي النشاة كالشِّعر، لم يتأثر بمؤثرات أجنبية ، ولم يقم إلا على الذَّوق العربي السليم)) [1] .

---

[1] تاريخ النقد الأدبي عند العرب : نقد الشعر من القرن الثاني حتى الثامن الهجري ، ص١٤٠، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان الأردن ط٣ ، ١٩٨٦م .

ويقول طه أحمد إبراهيم:((في أواخر العصر الجاهلي كثرت أسواقُ العرب التي يجتمع فيها النَّاس من قبائل عدة ، وكثرت المجالس الأَدبية التي يتذاكرون فيها الشِّعْر، وكثرت تلاقي الشُّعَراء بأقنية الملوك في الحيره، وغسان فجعل بعضهم ينقُد بعضاً وهذه الأحاديث والأحكام والمآخذ هي التي شكلت نواة النَّقْد العربي الأَوَّل)) [٢].

ويقول محمد أحمد العزب :((بدأ النَّقْد الأَدبي في الجاهلية نقداً ساذجاً تلقائياً يلقي الأحكام الذَّوقية العامة التي تناولت اللفظ والمعنى الجزئي من وجهة انفعالية تأثرية لا تستند في أَحكامها إلى قواعد مقررة أو فلسفات عامة تميز اتجاهاً عن اتجاه . وكانت الأسواق ولقاءات الشُّعَراء بجماهيرهم هو المجال الذي تتحرك" فيه الظاهرة النَّقْدية التي حمل الشُّعَراء أنفسهم رآيتها الأُوَّلى فنقد بعضهم بعضاً واستدرك بعضهم على بعضٍ ، وتشكل من خلاله اتجاهات نقد ذاتي ونقد غيري))[١] .

كذلك قال إحسان عباس: ((قضى النَّقْدالعربي مدةً طويلةً من الزمن ، وهو يدور في مجال الانطباعية الخاصة، والأحكام الجزئية التي تعتمد على المفاضلة بين بيت وبيت، أو تمييز البيت المفرد، أو ارسال حكماً عاماً في الترجيح بين شاعرٍ وشاعر، إلى أنْ أصبح درس الشِّعْر في أواخر القرن الثاني الهجري جزءاً من جهد علماء اللغة والنحو، فتبلورت لديهم قواعد أَوَّلية في النَّقْد بعضها ضمني وبعضها صريح ولكنها كانت في أكثرها ميراث القرون السابقة))[٢].

نقف فيما يلي على بعض الظواهر النَّقْدية التي أثرت عن العصر الجاهلي للاستدلال على وجود نوع من النَّقْد في ذلك العصر، وتتمثل هذه الظواهر في الموازنة بين الشُّعَراء وتفضيل أَحدهم على الأخر، والأخطاء التي تتصل بالصياغة الفنية للقصيدة ، وإدراك الخطأ المتصل بصحة المعنى من حيث المطابقة للواقع الحسي، وكذلك من الظواهر التي حملت طابع نقدي في العصر الجاهلي، وصف بعض الشُّعَراء بصفاتٍ عامة تظهر مكانتها بين غيرها ،إضافة إلى وجود اتجاهات

---

[٢] تاريخ النقد الأدبي عن العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع : ص١٨ ، ط١ دار النهضة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٥م.

[١] عن اللغة والأدب والنقد رؤية تاريخية ورؤية فنية: ص٢٦٠ ، ط١ ، دار المعارف ١٩٨٠م

[٢] تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ص ١٦٦

شعرية متجانسة أقرب ما تكون إلى المدارس الفنية ، ما يؤكد وجود وعي وإدراك الطريقة الشّعوية، وتفضيل طريقة على أخرى وتمييز شعرائها بخصائصهم الفنية، ووصف لامية حسان بن ثابت بأنها البتارة، ووصف قصيدة سويد بن أبي كاهل اليشكري بأنها اليتيمة ، ووصف بعض القصائد بالمعلقات.

فمن الموازنات التي كانت تعقد بين الشُّعَراء ما تناقله الرواة وأورده إحسان عباس ، وكذلك عبد الفتاح عثمان بأنه احتكم أربعةُ من شعراء بني تميم إلى ربيعة بن حزار الأسدي أيهم أشعر؟ وهم الزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، والمخبل السعدي ، وعبده بن الطيب ، وهم يعتزون بجودة أشعارهم – بدليل قولهم:((لو أن قوماً طاروا لجودة أشعارهم لطرنا)) فقال للزبرقان : أما أنت – فشعرك كلحم أسخن لا هو نضج فيؤكل ولا ترك نيئاً فينتفع به ، وأما أنت يا عمرو : ((فإنَّ شعرك كبرود جبر يتلالأ فيهما البصر ، فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر، وأما أنت يا مخبل فإنَّ شعرك قصر عن شعرهم وأرتفع عن شعر غيرهم، وأما أنت يا عبده فإنَّ شعرك كمزارة أُحِكم خرزها ، فلم تقطر ولا تمطر)). وإذا نظرنا إلى هذه الأحكام النَّقْدية التي أَصدرها ربيعة تجاه هؤلاء الشُّعَراء نجده قد إعتمد على التفضيل الذَّوقي في أغلبه ، مستمداً من البيئة معياراً لحكمه النَّقْدي على النصوص الشّعوية، دون أنْ يفصح عن المسوغات لهذا الحكم على جملة أشعار هؤلاء، وعلى الرغم من عدم إفصاحه بشئ من ذلك، لكننا نلحظ أنه قد ركز على اللفظ وإجادة المعنى، وقوة السبك وحسن الأداة، ونصاعة التعبير عن الهدف المراد والمعنى المبتغى، وهي ذات المحاور التي أصبحت فيما بعد قضايا موضوعية للنقد، وكذلك من النماذج التي تدل على أنَّ النَّقْد قد قام على الموازنات بين الشُّعَراء وتفضيل شاعرٍ على آخر دون تعليل أو استناد إلى مقاييس نقدية ، النص الذي ذاعت شهرته عن النابغة الذبياني ، إذ تقول الرواه إنَّ النابغة كان يُعد حكماً ناقداً للشعر و الشُّعَراء ومفاضلاً بينهم لما له من شهره وتمكن من قول الشّعْر وامتلاك ناصيته مما جعل الجاهليون يعترفون له بالتميز في هذا الشان ويرضونه حكماً بينهم ، فكانت تضرب له قبة" حمراء من أدم بسوق عكاظ يصدر فيها أحكاماً نقديةً على الشعر فقد أورد في هذا الشأن المرزباني[1]، وكذلك ابن رشيق [2] بأنه وفد عليه الأعشى (ميمون بن قيس)المكني بابي

---

[1] الموشح : ص١٠٧–١٠٨ تحقيق على محمد البخاري ، ط١ ، نهضة مصر (د.ت)

[2] العمدة : ج١ ، ص ٩٦ ، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد ، ط٢ ، دار الجبل (د.ت)

البصير وحسان بن ثابت الأنصاري شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم والخنساء ، وطلبوا منه الحكم على قصائدهم فأنشده الأعشى قصيدته التي مطلعها:

ما بكاء الكبير بالأطلال *** وسؤالي وما ترد سؤالي[٣].

وأنشده حسان قصيدته التي مطلعها :

ألم تسال الرَّبع الجديد لتلكما *** بمدفع اشراخ فبرقه اظلما [٤].

إلى أن قال :

لنا الجفناتُ الغُر يلمعن بالضحى *** وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرقٍ *** فأكرم بنا خالاً واكرم بنا ابنما [١].

فقال له النابغة : أنت شاعر ولكنك أقللت جفائل وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن أنجبت .

ثم أنشدته الخنساء قصيدتها التي ترثي فيها أخاها صخر التي مطلعها :

قذي بعينك أم بالعين عوار" *** أم أقفرت مذ خلت من أَهلها الدَّارُ

وإِنَّ صخراً لتاتم الهداة ُبه *** كأنَّه عـلم" في رأسه نار" [٢]

فقال لها والله لولا أَن أبا البصير (ويقصد الأعشى) ، أنشدني قبلكِ لقلتُ إنكِ أَشْعرُ الجنِ والأنسِ.

أيضاً بالوقوف على هذه الوثيقة النَّقْدية لم نجد معياراً موضوعياً للنقد وأنَّ صيغة التفضيل جاءت دون تعليل أو سند يـُقاس عليه النَّقْد فالنابغة لم يقدم تسويفاً فنياً مقنعاً لتقديم الأعشى على الخنساء وحسان واكتفى فقط بعبارة ((لولا أنَّ أبا البصير أنشدني قبلك)) وهذا الكلام مجمل لا َيصلُح مادة للمحاكة وإصدار حكم الأفضلية . كما أَنَّ طابع الحماسة واضح" قد غلب على الشاعر حتي أصبح يتحدث عن شعراء الجن ، والملاحظ أيضا أنَّ الحُكَم هنا قام على تفضيل الشاعر ولم يكن

---

[٣] ديوان الأعشى الأكبر : ص٧٥ ، شرح محمد حسين وتعليقه ، د.ط المطبعة النموذجية مصر

[٤] ديوان حسان بن ثابت :ص١١٣ ط دار المعارف القاهرة ١٩٨٩م

[١] ديوان حسان بن ثابت: ص١١٧

[٢] ديوان الخنساء : دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٢م

على تفضيل الشِّعْر كما في النص السابق ،ثم نموذجاً آخراً من الموازنات التي قام عليها النَّقْد في العصر الجاهلي ما نقله ابن سلام الجمحي [٣] والمزرباني [٤] وكذلك أحمد أمين عن حكومة أم جندب زوجة امرىء القيس التي اختارها علقمة بن عبده لتكون حكماً بينه وبين زوجها ، فقد ذكر ابن سلام [٥]، أنه تنازع امرؤ القيس وعلقمة بن عبده أيهما أشعر ، ورضيا بأم جندب زوجة امرىء القيس حكماً بينمهما، فقالت :((قولا شِعْراً تصفان فيه فرسيكما على قافيةٍ واحدةٍ ، وروي واحدٍ، فقال عُلقمه قصيدته التي مطلعها :

ذهبت من الهجران من غير مذهبِ *** ولم يكُ حقاً كل هذا التجنب [١]

وظل يصف فرسه إلى أن قال :

فادركهن ثانياً من عنانه *** يمر كمر النائج المتحلب

ثم قال امرؤ القيس :

خليلي مُرَّ أبي علي أم جندب*** نقضي لبانات الفؤاد المعذب

إلى أن قال:

فللزجر الهوب وللساق درة *** وللسوط منه وقع أخرج معقب [٢]

واستطرد كلٌ منهما في وصف ناقته ، وفرسه ، فلما فرغا ، فضلت علقمة على امرئ القيس ، وقالت له : إنَّ علقمة أشعر منك – وفرسه أجود من فرسك لأنك زجرت فرسك ، وحركت ساقيك ، وضربت بالسوط ، تعني قوله:

فللزجر ألهوبَ وللساق درة *** وللسوط منه وقع أخرج معقب [٣]

إذا أعدنا النظر في هذه الرِّواية ، فإنها دون شك تمثل تطوراً واضحاً في مجال الموازنات النَّقْدية بين الشُّعَراء، وأنَّ النَّقْد آخذ" في التقدم ، فأم جندب لم تكتف

---

[٣] طبقات فحول الشعراء : ص٢٤، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدينة (د.ت)

[٤] الموشح : ص٢٠٢

[٥] طبقات فحول الشعراء: ص٢٦

[١] ديوان امري القيس :ص١١٥ ، شرح الأعلم الشنتمري ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم دار المعارف ١٩٧٩م

[٢] ديوان علقمة شرح الأعلم الشنتمري : تحقيق ابن أبي شنب الجزائر ١٩٠٦م

[٣] ديوان امرىء القيس: ص١١٧

بسماع القصيدة فحسب ، بل اشترطت توحيد القصيدتين في الموضوع وكذلك القافية والّروي ، كما أنَّها لم تقتصر على الحكم العام ، وإِنَّما اختارت بيتاً لكل منهما ونقدته نقداً موضوعياً يتصل بالمعاني الجزئية.

وكذلك من الظواهر النَّقْدية في المراحل الأَوَّلى من تكوين النَّقْد القائم على ملاحظة الخطأ في الصياغة الفنية أو المعنى الذي يعبر عنه الشاعر، ومن أمثلة ذلك ما أورده ابن سلَّام الجمحي عن النابغة في قوله: ((لم يقَو من هذه الطبقة يقصد الطبقة الأُوَّلى من الشُّعَراء الجاهليين ، ولا من أشباههم إلا النابغة في بيتين من قوله :

أمن آل ميه رائح" أو مقتدي *** عجلان ذا زادٍ وغير مزودِ [٤]

زعم البوارُح أنَّ رحلتنا غداً *** وبذاك خبرنا الغرابُ الأسودُ

وقوله في موضع آخر :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه *** فتناولـته واتقينا باليد

بمخضبٍ رخصٍ كأن بنانه *** عنم يكاد من اللطافة يعقد [١].

قام ابن سلام: ((فقدم المدينة ، فعيب ذلك عليه ، فلم يأْبه لهما حتى أسمعوه إياه في غناءٍ .. فقالوا للجارية ، إذا صرت إلى القافية فرتلي ، فلما قالت " الغداف الأسود " و"يعقد ، وباليعد" ، علم وانتبه فلم يعد فيه وقال : قدمتُ الحجاز وفي شعري ضعة" ورحلت عنها وأنا أشعر النَّاس)) [٢].

ومن أمثلة الظاهرة النَّقْدية المتصلة بإدراك الخطأ المتصل بصحة المعنى من المطابقة للواقع الحسي ما أورده أحمد أمين [٣] وقصى حسين [٤] وابن قتيبة [٥] عن نقد طرفة بن العبد لخاله المتلمس عندما قال:

وقد أتناسى الهم عندإِ حضاره *** بناجٍ عليه الصيعرية مكدم [٦]

---

[٤] ديوان النابغة الذبياني: ص٦٠ ، ط دار الكتاب العربي بيروت

[١] ديوان النابغة الذبياني: ص٨٢

[٢] طبقات فحول الشعراء : ص٦٧-٦٨

[٣] النقد الأدبي : ص٤٥٠

[٤] النقد الأدبي ومدارسه عند العرب : ص١٢

[٥] الشعر والشعراء : ج٦ ص١٤٥

فقال طرفةُ: ((استنوق الجمل ؛ لأنَّ الصيعرية سمة تكون في عنق الناقة وليس في عنق البعير ، فهذا واضح" من قبل النَّقْد الفطري الذي لا يقوم على بينة أو علة واضحة وفي رواية أخرى كما أورد المرزباني أنَّ هذا البيت هو للمسيب بن علس ، وهو الذي أنشده أمام طرفة فرد عليه بقوله: ((استنوق الجمل)) ومهما اتفقت الروايات أو اختلفت فإنَّ الأمر متعلق" بملاحظة الخطأ في المعنى والدلالة وهو ضرب" من النَّقْد في تلك الفترة المبكرة وعند المنشأ ويندرج تحت هذا النوع ما أنكره النابغة على حسان بن ثابت عند استخدامه لفظ " جفنات" في قوله:

لنا الجفنات" الغر يلمعن بالضحى *** وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق *** فاكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما [1]

فقال له النابغةُ : ((أنت شاعر" ولكنك أقللت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك)) ، يعني أنه قال (أي حسان) : ((ولدنا بني العنقاء وبني محرق وأحسبُ أنَّ النابغة قد عاب على حسان ذلك لاستخدامه لفظي " الجفنات وأسيافنا " وهي من ألفاظ القلة ، ولأنَّ المقام مقام فخر كان الأجود أنْ يستخدم الفاظ كثرة وهي (جفان) في الموضعين ، ومن الظواهر التي حملت طابع نقدي معين في العصر الجاهلي وصف بعض الشُّعَراء بصفات عامة تظهر مكانتها بين غيرها كما ورد في وصف عمرو بن الحارث الغساني لامية حسان بن ثبات بأنها البتارة ، ووصفت قصيدة سويد بن أبي كاهل بأنها اليتيمة ووصفت بعض القصائد بالمعلقات)) [2].

كل هذه الملاحظات تصلح أدلةً لبيان أنَّ النَّقْد الأَدبي في بدايات نشأته في العصر الجاهلي كان يقوم على الانطباعات الذاتية ويتحكم فيه عامل الذَّوق ، والإحساس ، فقد نجد شخصين أو أكثر يتفقون على موقف نقدي معين ، دون أنْ تكون هنالك معيار نقدي يعتمدون عليه ،استمر الأمر على هذا النهج إلى أنْ تبلور مقاييس النَّقْد في القرن الأَوَّل الهجري .

---

[٦] العمدة في محاسن الشعر وادابه: ج٢ ، ص٢٣٧

[1] النقد الأدبي قديما وحديثاً : ص١٣

[2] العمدة : ج١ ، ص ٩٦، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط٣ دار الجيل بيروت

المَبْحَثُ الثَّالث

النَّقْد في صّدْرِ الإسلام والعصر الأُموي

أولاً : النَّقْد في صّدْرِ الإسلام:

كان أَوَّل حكم نقدي في صدر الإسلام يقوم على الانطباع الشخصي والإحساس الذاتي على بلاغة التعبير القرأني هو قول الوليد بن المغيرة الذي ذاعت شهرته: ((والله إِنَّ له لحلاوة ، وإِنَّ عليه لطلاوة ، وإِنَّ أعلاه لمثمر، وإِنَّ أسفله لمغدق، وإِنَّه يعلو ولا يُعلى عليه)). [١]

يقول عبد الفتاح عثمان: ((إِنَّ هذه المقولة النَّقْدية تعتبر امتداداً لطابع النَّقْد الجاهلي الذي يُعبر عن الاستحسان أو الاستهجان ببيان أثر الكلام في النفس ووقعه على الوجدان ، وتقوم على إطلاق الحكم العام دون تعليل أو تحليل)). [٢]

وكان موقف القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم من الشِّعْر موقفاً متوازناً مع طبيعة الدين الجديد وتعاليمه من ناحية ، ومع أهمية الشِّعْر وتأثيره في حياة العرب من ناحية أخري.ولذلك لم يرفضا الشِّعْر على إطلاقه ، ولم يقبلاه على علاته ، وإنما قبلا منه ما يتفق مع مبادئ الإسلام ورفضا منه ما يخرُج عن هذه المبادئ كالفحش في الغزل بانتهاك حرمات المحارم، وسب الأعراض، ووصف مجالس الخمر والسخرية من تعاليم الدين الجديد. وقد وضح الزمخشري[٣] موقف القرآن من الشِّعْر، حين تعرض لتفسير قوله تعالى((وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ{٢٢٤} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ{٢٢٥} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ{٢٢٦} إِلَّا الَّذِينَ

---

[١] النقد الأدبي القديم أصوله ومناهجه وقضاياه : ص٣٢(د. ت) ، (د. ن) .

[٢] النقد الأدبي القديم أصوله ومناهجه وقضاياه : ص٣٢(د. ت) ، (د. ن) .

[٣] تفسير الكشاف:ج٨، ص١٨٨، ط دار المصحف .

آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ{٢٢٧})) [٤] وقيل الغاوون هم الرواة، وقيل الشياطين ، وقيل هم شعراء قريش ، عبد الله بن الزِبَعْري بن قيس ، وهبيرة بن أبي الصلت ، إذ قالوا نحن نقول مثل قول محمد – يقصدون القرآن – وكانوا يهجونه ويقول يوسف أبو هلالة مبيناً موقف الشُعَراء من الإسلام: ((أنه قد حدثت الهزَّة الكبرى والانتفاضة العظمى بمجئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة الإسلامية، فشغل العرب جميعاً بهذا الذي حدث – ووقف النَّاس نتيجة ذلك ثلاثة أصناف ، صنف" عارض وعاند وهم شعراء قريش ، وصنف" آمن وجاهد، وصنف" انتظر وتربص))[١].وهو الذي ذكره ابن سلام في قوله: ((فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب)) [٢].

أما موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشِّعر وإعجابه به ، وتذوقه وسماعه من الشُعَراء، نجده من خلال روايات عديدة منها حديث السيدة عائشة رضى الله عنها : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اهجوا قريشاً فإنه أشّد عليها من رشقٍ بالنبل ، فأرسل إلى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم ، فلم يرض ، فأرسل إلى كعب بن مالك ، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت ، فلما دخل عليه قال حسان : قد آن لكم أنْ ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذبنه ، ثم أدلع لسانه ، فجعل يحركه، فقال والذي بعثك بالحق لأفرينَّهم بلساني فري الأديم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل ، فإنَّ أبابكر أعلم قريش بأنسابها ، وإنَّ لي فيهم نسباً حتى يخلص لي نسبي ، فأتاه حسان ، ثم رجع ، فقال : يا رسول الله ، قد لخص لي نسبك ، والذي بعثك بالحق لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ، قالت عائشة: فسمعت رسول الله يقول لحسان: إنَّ روح القدس لا يزال يؤيدك ، ما نافحت عن الله ورسوله، وقالَتْ : وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: ((هَجَاهُمْ حَسَّانٌ فَشَفَى وَاشْتَشْفَى))[٣].

---

[٤] سورة الشعراء الآيات من ٢٢٤-٢٢٧

[١] الشعر والدعوة في عصر النبوة : ص٢١، ط١ ، دار العاصمة ، الرياض ،١٤٠٨هـ

[٢] طبقات فحول الشعراء : ص٢٥

[٣] صحيح مسلم ، بشرح النووي :ج١٦، م٨ ، ص٤٩-٥٠ ، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض

وفي معركة حنين ، حين سأل رجل" من قيس البراء بقوله : أفررتم عن رسول الله يوم حنين ؟ فقال البراء : ولكن رسول الله لم يفر ،... ولقد رأيتُ رسول الله على بغلته البيضاء ، وإِنَّ أبا سفيان بن الحارث ، آخذ بلجامها وهو يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب [١] .

وعن جندب بن سفيان ، قال : دُمِيَتْ أصبع رسول الله في بعض المشاهد فقال : هل أنتِ إلا أصبع" دُميتِ – وفي سبيل الله ما لقيتِ[٢] .

وهو البيت الذي قاله عبدالله بن رواحه في مؤته بعد أنْ أخذ اللواء ، وعن عمر بن الشريد عن أبيه ، قال :أنشدتُ رسول الله مئة قافية من شعر أُمية بن أبي الصلت ، يقول بعد كل قافية ((هيه)) [٣].

وقال صلى الله عليه وسلم ((كاد أنْ يسلم)) وعن أنس رضي الله عنه أنَّ أصحاب رسول الله كانوا يقولون يوم الخندق، نحن الَّذين بايعوا محمداً – على الجهاد ما بقينا أبداً [٤]. والنبي يرد عليهم متمثلاً بهذا البيت: ((اللهم إِنَّ الخير خير الآخرة فأغفر للأنصار والمهاجرة)) [٥]

وعن أنس بن مالك يقول: ((أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، مره ببعض المدينة ، فإذا بجوارٍ يضربن ويتغنين ويقلن:

نحن جوارٍ من بين النجار*** يا حبذا محمداً منْ جار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، يعلُم الله أني أحبكن))[٦] ، وقد جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: ((إِنَّ من البيان سحراً وإِنَّ من الشِّعْر

---

[١] صحيح مسلم ، بشرح النووي : ص١٢١

[٢] المصدر السابق نفسه :ص١٥٥

[٣] سنن ابن ماجة:ج٢ ،ص٣٢٥ ، تحقيق محمد مصطفي الأعظمي ، ط١ شركة الطباعة العربية السعودية الرياض

[٤] صحيح مسلم بشرح النووي: ج١٢، ص١٧٢

[٥] صحيح بخاري :ج٤ ، ص٤١ ، مطبعة الشعب القاهرة

[٦] سنن ابن ماجة: ج١ ، ص٣٥٠

لحكما)) [٧]. وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، أَنَّ رسول الله قال : أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد ،أَلآ كل شيء ما خلا الله باطل))[٨].

وإذَا نظرنا إلى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بصورة عامة لنتبين مكانة الشِّعْر فنجده حافلاً بـ الشِّعْر و الشُّعَراء إذْ أنَّه كان امتداداً طبيعياً لتيار الشِّعْر الجاهلي الجارف ، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : ((قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وما في الأنصار بيت" إلا وهو يقول الشِّعْر)) [١] . ويقول ابن رشيق وليس من بني عبد المطلب رجالاً ونساءً من لم يقل الشِّعْر ، حاشا النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه كان شاعراً مغلقاً حسن الهدي [٢].

ونقل ابن عبد ربه عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه ما كنت أعلم أحداً من أصحاب رسول الله : أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة رضى الله عنها ، ورؤي أنَّها كانت تنشد قول لبيد .

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم*** وبقيتُ في خلفٍ كجلد الأجربِ

وقد رؤي عن كعب أنه سأل رسول الله قائلاً – يارسول الله ماذا ترى في الشِّعْر؟ فقال الرسول واهجو بـ الشِّعْر إنَّ المؤمن يجاهد بنفسه ، وماله والذي نفسي بيده كأنما تنضحوهم بالنَّبل [٣].

لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم وحده الذي يبدئ رأْيه ويبين موقفه من الشِّعْر في القرن الأَوَّل ، بل نجد الكثير من الخلفاء والصحابة نقاداً بفطرتهم وذوقهم، فأبوبكر الصديق [٤] يقول عن النابغة : هو أحسنهم شعراً وأعذبهم بحراً ، وأبعدهم قعراً ، ولعل عمر بن الخطاب في نقده زهير بن أبي سلمى كان مثالاً للنقد الايجابي

---

[٧] المصدر السابق :ج٢، ص٣٢٥ رقم الحديث (٣٨٠١)

[٨] المصدر السابق نفسه :ج٢،ص٣٢٥، رقم الحديث (٣٨٠٢)

[١] العقد الفريد :ج٣ ، ص٣٨٨ ،ص١٦٥

[٢] العمدة : ج١ ، ص ٣٦ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت

[٣] مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج٣، ص٤٦ ، المكتب الإسلامي بيروت

[٤] العمدة:ج١، ص٨٨

القائم على التغيير والتعليل حيث قال عنه : ((إنه كان لا يعاظل في الكلام ، وكان يتجنب وحشي الشِّعر ولم يمدح أحداً إلا بما فيه))[٥] .

وقال لوفد غطفان عن النابغة: ((إِنَّه أشعر شعرائهم وكان علي كرم الله وجه يقدم امرأَ القيس على سائر الشُّعَراء لأنه أحسنهم نادرةً وأسبقهم بادرةً ويقول سيدنا عمر : ((أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشِّعر يقدمها في حاجاته ، يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها قلب اللئيم)). [١]

بالوقوف على هذه المقولات النَّقْدية التي نقلت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يتبين مستوى النَّقْد الأَدبي واتجاهه في القرن الأَوَّل الهجري ، إنه لا زال يعتمد على الملاحظات الجزئية والانطباعات الفردية ويقوم على الذَّوق والإحساس الفطري ، حسب وقع القصيدة في النفس ، ولا يستند على تسبيب أو تعليل ، فهو دون شك امتداد للنقد الجاهلي وفي ذلك يقول أحمد أمين هكذا كان النَّقْد في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام لمحاً فطرياً ساذجاً يجري على نمط من التفضيل بين شاعر وشاعر أو بين بيت وبيت أو بين معنى ومعنى دون أنْ يرتقي من ذلك إلى لمح الظواهر العامة المشتركة أو الفارقة مما يصلح أساساً لتقنين مذهب أو تأصيل اتجاه ...)) [٢].

---

[٥] الموازنة بين الطائيين: ص ١١٤

[١] النقد الأدبي القديم أصوله ومناهجه وقضاياه : ص٣٢(د. ت) ، (د. ن) .

[٢] النقد الأدبي : ص٤١٩

ثانياً : النَّقْد في العصر الأُموي:

تبدو صورة النَّقْد في العصر الأُموي مختلفة في بعض ملامحها عن صورته في صدر الإسلام ، نظراً لتباين العصرين سياسياً واجتماعياً ، فتأثرت الحياة الأَدبية بذلك تأثراً واضحاً ، فقد شهد هذا العصر تغيير النظام السياسي للدولة الإسلامية من نظام الخلافة القائمة على الشورى واختيار الشعب خليفته بنفسه إلى نظام ملكي لا يعترف بالشورى ولا يعطي الشعب حرية اختيار من يحكمه ، وقد ترتب على هذا الإنقلاب السياسي تقويض الحاجز الذي وضعه بعض الخلفاء الراشدين مثل عمر بن الخطاب لمنع تسرب بعض العادات والتقاليد الجاهلية مثل الهجاء والغزل الفاحش وكل ما يتعارض وتعاليم الدين الحنيف ، فحدث نتيجة لذلك ما يمكن تسميته بالنكسة الجاهلية وترك ذلك أثراً كبيراً في الحياة الأَدبية كلها أقلها أَنْ اتاحت لتيار النشاط الأَدبي الجاهلي أَنْ يمضى في سبيله بعد أَنْ تهاوت السدود والحواجز التي كانت تقف أمامه إضافة إلى العوامل والسياسات الجديدة التي اتخذتها الدولة الجديدة لتمكن نفسها وتوطيد عرشها كإثارتها للعصبيات وإحيائها للدعوة الجاهلية كل ذلك زاد من قوة التَيَّار الأَدبي الجاهلي حتى صارت هذه الفترة من أخصب الفترات في تاريخ الأَدب العربي والشواهد على ذلك والأدلة كثيرة .

وبالنظر الدقيق في الحياة الأَدبية في هذا العصر نجدها قد ازدهرت بازدهار الشِّعْر، فظهرت في ذلك الحين المجالس النَّقْدية التي يعقدها الخلفاُء والأمراء، والشُّعَراء ، وبدأت طلائع النَّقْد المعلل (الذي يعتمد على التقاليد الجاهلية مثالاً لما يريد من شعر) في الظهور كقوة نقدية منظمة بعض الشيء فدار حول فحول الشُّعَراء ، وشعراء الغزل وشعراء الأحزاب السياسية المختلفة ، ووجد بجانب هذا النَّقْد الفني نقد آخر لغوي لينهض على أساس من الصلة بين الأَدب وأصول النحو واللغة والعروض – وكذلك في هذا العصر اتَّسع النَّقْد فشمل علاقة الشاعر بشعره وعلاقة البيئة بالإبداع والمبدع ، وقد ذكر أحمد الشايب أنَّ دائرة النَّقْد قد شملت إضافة إلى

ذلك علاقة النوعية العقائدية بالنوعية الفنية – فضلاً عن تصحيح النظر في الشِّعْر من حيث صحة الإسناد والرواية والأصل [١] .

وقد أَسهمت في العصر الأُموي بيئات ثلاث في ازدهار وتطور النَّقْد وهي بيئة الحجاز، والعراق، والشام وسوف أتناول هذه البيئات بشيء من التفصيل عند الحديث عن الاتجاهات النَّقْدية في موضع لاحق، فصورة النَّقْد في هذا العصر تتمثل في مآخذ النُّقَّاد والأُدَباء والشُّعَراء ومآخذ الشُّعَراء بعضهم على بعض وهذه المآخذ بصورها المختلفة دليل" علي اتساع مجال النقد في العصر وتطوره ، ومن النماذج التي نستدل بها على تطور النَّقْد في العصر الأُموي ما نُقل عن السيدة سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم من مواقف نقدية كثيرة ومتميزة من ذلك موقفها مع الشاعر عروة ابن أزينة إذ قالت له: ألست القائل :

إذا وجدتُ أوار الحب في كبدي *** اقبلتُ نحو سقاء الماء أبترُد [٢]

هبني بردتُ ببرد الماء ظاهرة *** فمن لحرِّ على الإحشاء يتقُد

فقال عروة نعم ، فقالت له : وأنت القائل :

قالت وأبثثتها سرى فبحت به *** قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي ؟ فقلت لها عظي هواك وما ألقى على بصري[٣]

فقال نعم ، فالتفتت إلى جوارٍ كنَّ بجوارها، وقالت : هنَّ حرائر إنْ كان خرج هذا من قلب سليم قط [٤] ونموذج نقدي آخر نورده دليلاً على تطور الشِّعْر في هذا العصر هو ما يروي أنَّ الفرزدق خرج حاجاً فلما قضى حجه عرج المدينة فدخل على سكينة بنت الحسين، فقالت: يا فرزدق من أشعر النَّاس؟ قال أنا، فقالت: كذبت ! أشعر منك من يقول :

بنفسي من تجنبه عزيز *** عليَّ من زيارته لمام[٥]

---

[١] أصول النقد الأدبي: ص١١٠-١١١.

[٢] ديوان عروة بن أزينة: ، ص٢٩ ، ط١ ، دار صادر بيروت

[٣] المصدر السابق : ص٣٣

[٤] ديوان جرير : ص٦٤١ ، شرح يوسف عبيد ط١ ، دار الجيل بيروت

[٥] المصدر السابق : ص٦٤٢

ومن أمسى وأصبح لا أراه *** ويطرقني إذا هجع النيام [١]

فقال : والله لئن أذنتِ لي لاسمعك أحسن منه ، فأمرت به فأخرج ، ثم عاد إليها في اليوم الثاني ، فقالت : يا فرزدق من أشعر النَّاس ؟ قال أنا . فقالت : كذبت ! أشعر منك من يقول :

لولا الحياُء لعـادني استعبار ***ولزرتُ قبرك والحبيب يـُزار

كانت إذا هجر الضجيج فراشـها *** كتم الحديث وعفت الأسرار

ولا يلبث الفـرقاء أنْ يتفرقوا *** ليل يكر عليـهم ونهار [٢]

فقال : والله لئن أذنتِ لي لاسمعك أحسن منه ، فأمرت به فأخرج ، ثم عاد إليها في اليوم الثالث ، فقالت : يا فرزدق من أشعر النَّاس ؟ قال أنا . فقالت : كذبت ! أشعر منك الذي يقول :

إنَّ العيون التي في طرفـها مرض *** قتلننا ثـم لم يحيين قتلانا [٣]

يصرعن عن ذا الـَّلب حتي لا حراك به *** وهن أضعف خلق الله أركانا[٤]

فقال يا بنت رسول الله إنَّلي عليك حقاً عظيماً .

يتبين لنا من هذه الوثيقة النَّقْدية أَنَّ السيدة سكينة تفضل شعر جرير على الفرزدق وتقدمه عليه بدليل أنَّ ما استشهدت به على أفضليته شعر الفرزدق كله من قول جرير ، بل صرحت بذلك في قولها أشعر منك الذي يقول كذا .

كذلك من المواقف المتميزة التي برزت في هذا العصر نقد علماء اللغة والنحو فانبروا ينتقدون الشُّعَراء على نمطهم وأسلوبهم ، فالشاعر إذا أخطأ لم يجر في شعره على منحى العرب في الإعراب كنقدهم النابغة الذبياني في قوله :

فبتُ كأني ساورتني ضئيلة *** من الرقش في أنيابها السم ناقع [٥]

---

[١] ديوان جرير: ص ٦٤١

[٢] المصدر السابق : ص٧٥٣

[٣] المصدر السابق نفسه : ص٧٥٣

[٤] المرجع السابق : ص٧٥٣

[٥] ديوان النابغة الذبياني : ص٥٤ شرح عباس عبد الساتر ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت لينان ١٩٨٤

فقالوا " كما ذكر أحمد أمين [1] ، الصواب أنْ تقول : السم ناقعاً بالنصب على الحال.

عليه أستطيع أن أقول أنَّ النَّقْد في العصر الأموي قد أخذ يسير إلى الأمام بخُطًى واسعة وأنَّه بلغ في هذا القرن الثاني الهجري مرحلة من التطور تناسب ما بلغه العرب من نضج ثقافي وأدبي ، وإنَّ الثقافة النَّقْدية أخذت تنمو بفضل جهود طبقتين الأَوَّلي طبقة الرواة وعلماء الأَدب من البصريين والكوفيين والبغداديين ، ثم طبقة الكتَّاب.

[1] النقد الإدبي : ص٣٩٨

المَبْحَثُ الرابع

النَّقْد في العصر العباسي

بتتبع مسيرة النَّقْد ورحلته عبر العصور الأَدبية يظهر لنا أَنَّه بدخول العصر العباسي في القرن الثالث أخذ النَّقْد يستقل بالبحث والتأليف على أيدي النُّقَّاد وعلماء الأَدب وغيرهم أمثال ابن سلام الجمحي والجاحظ وابن قتيبة الَّذين اسهموا اسهامات كبيرة في وضع أصول النَّقْد وقواعده ، وإبراز شخصيته المستقلة عن غيره من فروع الأَدب ، وتحول الذَّوق الفطري الذي كان معياراً للنقد إلى ذوق وثقافة علمية واسعة ويقول في ذلك محمد أحمد العزب: ((تحول النَّقْد في العصر العباسي إلى الواجهة الذَّوقية العلمية ،أي أنَّه بدأ يستند في أحكامه ومقاييسه الفنية إلى مجموعة من الأصول والقواعد المقررة ، كما بدأ يحاكم الظاهرة الإبداعية على ضوء انتمائها إلى القديم أو الحديث وعلى ضوء انحصارها في الموروث الثقافي أو انفتاحها على الوافد المستحدث ، ثم بدأت الحركة النَّقْدية نفسها تحاول أنْ تبحث لنفسها عن صيغة خاصة تواكب الظاهرة الإبداعية من جهة وتعمل على تعبيد الطريق أمام خلق جديد من جهة أخرى)) [1]، ويقول عبد الفتاح عثمان – وهو يتحدث عن النَّقْد في العصر العباسي ((لقد حقق النَّقْد الأَدبي في القرن الثالث انجازاً عظيماً على يد اللغويين والمتكلمين والأَباء الَّذين أسهموا بجهد واضح في وضع الأصول النظرية للعديد من قضايا النَّقْد وقدموا تصورات مهمة لكثير من الظواهر الأَدبية التي تناولوها بالتفسير والتعليل ،كما كان لهم السبق في تصنيف الشُّعَراء ، ورصد المسائل التي تتناول طبيعة الشِّعْر ولغته وبنائه الفني)) [2] ، غير أنَّ هذا الإنجاز الذي تم على أيدي علماء القرن الثالث قد سيطر عليه الطابع التأصيلي النظري ولم يهتموا كثيراً بالتحليل الفني للنصوص ودراسة المذاهب الفنية للشعراء دراسة تفصيلية فكان الاتجاه العلمي بنزعته الموضوعية على دراسة القضايا النَّقْدية هو الغالب .

---

[1] عن اللغة والأدب والنقد : ص٢٨٣ ط١ ، دار المعارف ١٩٨١م

[2] النقد الأدبي القديم : أصوله ، مناهجه ، قضاياه ص٦٤ (د.ط)،(د.ت)

نقف فيما يلي على رموزٍ من النُّقَّاد الَّذين أسهموا في وضع أصول النَّقْد وقواعده على اختلاف اتجاهاتهم العقائدية في القرنين الثالث والربع الهجري ونبين دور كل منهم فقد مثل المتكلمين في ذلك محمد بن سلام الجمحي (ت ١٣٩-٢٣١هـ)، وقد أثرى النَّقْد الأَدبي بكتابة الموسوم بطبقات فحول الشُّعَراء .

وقد أسهم ابن سلام في خدمة النَّقْد وتطوره من خلال كتابه بأن قام بجمع كل الآراء النَّقْدية للسابقين من الرواة واللغويين ، وصنفها ورتبها وفق منهج علمي دقيق وأضاف إليها، وقدَّم آراء نقدية جرئية جديدة تتصل بصناعة الشِّعْر ، ومكانه الناقد المتخصص ، وتحقيق النصوص وترتيب الشُّعَراء في الطبقات على فحولتهم الشِّعْر واتفاقهم الغرض والنشأة ، والمكان وارتباط الشِّعْر بالبيئة والأحداث ومنهم بشر بن المعتمر (ت٢١٠ هـ) وهو من أعلام المعتزلة ، ومن أهم إنجازاته النَّقْدية صحيفته التي وضع فيها أصول النَّقْد الأَدبي والبلاغة العربي ، وتعُد هذه الصحيفة أنضج محاولة للتأصيل والتنظير في بداية القرن الثالث الهجري، وكذلك من الَّذين أسهموا في تطور النَّقْد الأَدبي عبد الله بن قتيبة (ت ٢١٣-٢٧٦هـ) وهو من علماء الكلام على مذهب أهل السنة من أشهر مؤلفاته كتابه الشِّعْر و الشُّعَراء الذي أورد في مقدمته قضايا النَّقْد الأَدبي،كما قدم تصوراً نظرياً متماسكاً لبعض القضايا العامة المتصلة بـالنَّقْد و الشِّعْر و الشُّعَراء هذا بعض من الرموز الَّذين أسهموا في وضع دعائم النَّقْد.

ويقول عبد الفتاح عثمان :((بحلول القرن الرابع إزدهرت حركة النَّقْد الأَدبي ، فظهر نقاد متخصصون ، كانت لهم مناهجهم النَّقْدية المتميزة التي عبروا عنها في كتبهم وتناولوا فيها بالتحليل والتفسير والتعليل قضايا النَّقْد الأَدبي ، خاصة ما يتصل منها بفن الـ شِّعْر الذي استقطب اهتماهم فعالجوا كل ما يرتبط بتحديد الماهية والمهمة والأداة ، ومن ثم شهد العصر وضع التعريفات النظرية المنطقية للشعر ، وتفسير عملية الإبداع وتحديد خطوات الشاعر فيما يتصل ببناء القصيدة وبيان وظيفة الشِّعْر . بالإضافة إلى تفصيل وتعميق القضايا النَّقْدية التي ظهرت في القرن الثالث من

قضايا الطبع، الصنعة والتكلف واللفظ والمعنى، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال والإلهام والصنعة)) [1].

ومما ساعد على ازدهار حركة النَّقْد في هذا العصر ظهور شاعرين كبيرين قامت حولهما خصومة نقدية بين المؤيدين لهما والمعترضين على شعرهما وهما : أبو تمام والمتنبي .

عليه يمكن القول بأنَّه بنهاية القرن الرَّابع قد كمل البناء النَّقْدي عند العرب وتوطدت دعائمه وحددت قضاياه وإنَّ ما جاء بعد ذلك لم يضف جديداً بل مجرد إعادة إنتاج لما قيل في هذا العصر .

---

[1] النقد الأدبي القديم:أصوله ومناهجه وقضاياه : ص٦٧

الفصلُ الثّانى
التيـّـارات النّقدية في المَشْرق واتجاهـاتها

المَبْحَثُ الأوّل: اتجاهـــــــــــــــــاتُ النّقد في العصـر الجاهـلي

المَبْحَثُ الثانى : الاتجاهات النّقدية في صـــــــــدر الإِســـــــــلام

المَبْحَثُ الثّالثُ: الاتجــاهات النّقدية في العصــر الأُموي والعباسي

الفَصْلُ الثَّانِي
التَيَّاراتُ النَّقْديةِ في المَشْرِق واتجاهاتُها

المبحث الأوَّل
اتجاهاتُ النَّقْد في العصر الجاهلي

إنَّ اتجاهات النَّقْد الأدبي عند العرب جارت سنة الطبيعة الشِّعْرية فترقت من طور البساطه نتيجةً لما جدَّ عليها من عوامل الرقي الاجتماعي ، والفكري، وارتقاء الذوق العربي في الفن من مجرد الانفعال والاستحسان إلى مراتب التذوق المنتظم القائم على معرفة علل التأثر وأسبابه ، ثم بدأت الروافد المختلفة تمد هذاالتَيَّار العام وتزيد من قوته ،فكان من هذه الروافد نهضة جمع اللَّغة، ورواية الشِّعْر في القرن الثاني الهجري، واهتمامالنُقَّاد بنواحٍ موضوعية تقوم على اعتبارات من صحة اللغة، ومجاراة أساليبها التقليدية، إضافة إلى نهضة الدراسات القرانية ، وتفهم نواحي الإعجاز في القرآن .

وقد اتفق الكثير من الباحثين – على اختلاف آرائهم – بأنَّ اتجاهات النَّقْد العربي القديم بدأت في العصر الجاهلي والأُموي فطرياً تعتمد على الاحساس والذوق البسيط، والتلقي المباشر ، ثم أخذت في أوائل العصر العباسى ترتقي تحت ضغوط الترقي الاجتماعي، والتعقد الحضارى الذى فتح نوافذه لثقافات وفلسفات تركت في الذهنية العربية انطباعات عميقة ؛ وقد تعاونت بيئات ثقافية مختلفة في النهوض بقضية النَّقْد في هذه المرحلة، فاللغويون وضعوا الشُّعَراء في طبقات وفصائل، وأعاد الشُّعَراء أنفسهم النظر في أدواتهم الفنية، وعكس المتكلمون نماذج من التأثر بالفكر اليوناني المترجم من خلال حديثهم عن مقتضى الحال ، ونظرية البيان والبراعة في الخطابة، ثم نبعت ظاهرة الصراع بين القديم والجديد، بين الشُّعَراء وخصومهم ، وشاع في النَّقْد حس الموازنة والمفاضلة ، وتحسين جانب اللفظ أو

تحسين جانب المعنى، ونمت الدراسات القرآنية من خلال تأمل النص القرآني من الوجهة الفنية ، ثم وضع عبد القاهر الجرجاني نظريته في المعاني والبيان وبعدها انحسر التَيَّار. [1]

وإذا أردنا تحديد الاتجاهات النَّقْدية في العصر الجاهلي بشكل دقيق ربما لا يحالفنا التوفيق في ذلك ، لأننا أوردنا في موضع سابق عند حديثنا عن نشأة النَّقْد، مستنيرين ما اتفق عليه الباحثون الذين وقفتُ على أرائهم بأن النَّقْد الأدبي قد نشأ في العصر الجاهليِنقداً ساذجاً . على حد تعبير الكثير منهم – تلقائياً ، يلقي بالأحكام الذوقية العامة التى تتنأوَّل اللفظ والمعنى الجزئى من وجهة انفعالية تأثرية. لا تستند في احكامها إلى قواعد موضوعية مقررة أو فلسفات عامة تميز اتجاهاً عن اتجاهٍ .

وكان الشُّعَراء يعرضون أشعارهم على جماهيرهم من خلال الأسواق واللقاءات التى تجمع بينهم فكان ذلك مجالاً لتحريك الظواهر النَّقْدية على امتداد العصر الجاهلي وكذا صدر الإسلام ، وبرزت من خلال ذلك الاتجاهات النَّقْدية الأوَّلى في العصر الجاهلي والتى تتمثل في الآتى:

أوَّلاً : الاتجاه النَّقْدي الذاتي :

ويقصد به نقد الشاعر لنفسه ، وتهذيب قصيدته إذ يظل الشاعر يمارس ألواناً من المراجعات الفنية يعاود فيها تنقيح إنتاجه الشِّعْري ، وتسوية من الناحية الفنية شكلاً ومضموناً حتى يرتقي بشعره إلى مستوى الرضا والاستحسان والقبول العام عنده ، فالشاعر يعكف على نفسه زمناً طويلاً ليخرج شعره مبرءاً من كل عيب، وقد أطلقوا على بعض الإبداعات الشِّعْرية التى خضعت لهذه الظاهرة النَّقْدية مصطلح " الحوليات " مما يدل على طول الزمن في كتابة القصيدة ، حتى قالوا : ((خير الشِّعْر الحولى المنقح " وأشهر رواد هذه الطائفة من الشُّعَراء هو الشاعر زهير بن أبي سلمى ، الذي كان يستغرق في تهذيب قصيدته وإعادة النظر فيها سنة كاملة قبل أن

---

[1] النَّقْد المنهجي عند العرب : ص(٤٩. ٥٠).

النقد الأدبي الحديث : ص٦٩٠

النقد الأدبي :ص٣٠-٣١

عن اللغة والأدب والنقد : ص٢٩٢-٢٩٣

يخرج بها على الناس ، وكذلك يُروى أن الأعشى كان يجوب أحياء العرب وقبائلها ينشد الشِّعر ، مستعيناً بآلة موسيقية تسمى الصَّنج وكان يفعل ذلك احتفالاً بشعره ، ورغبةً في جلب المعجبين به فكان يحرص على تجويد شعره وتهذيبه ، ويزيد فيه وينقص منه حتى يصل إلى مبتغاه.

ثانياً : الاتجاه النَّقْدى الغيري :

وفيه يمارس الشُّعَراء ،الذين قَّاد ألواناً من الاستدراكات الفنية على أحد الشُّعَراء، كان يتراضى شاعران أو أكثر على حَكَمٍ بينهم ، ويمثل هذا الاتجاه ما كان تُضرب للنابغة خيمة أو قبة من الأدم في سوق عكاظ يعرض عليه الشُّعَراء ما انتجوه من الشِّعر ليصدر احكامه عليهم في الافضلية .

ومن ذلك ما عرضناه من نماذج عند الحديث عن الظواهر النَّقْدية عند نشأته، منها، سابقة تحاكم ، الأعشى وحسان، والخنساء لدي النابغة ففضل الأعشى على الخنساء، وأخذ على حسان بعض العبارات منها قوله: ((إنك لشاعر" لولا أنك قلّلت عدد جفانك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك)) [١] وشاهدٌ آخر يمثل هذا الاتجاهوهو ما يُروى عن تحاكم الشُّعَراء ، الزبرقان ، وعمرو بن الأهتم وعبده بن الطيب، والمخبل السعدى ، إلى ربيعة بن حزار الأسدي في الشِّعر [٢] وكذلك مجد هذا النموذج من النقد في حكومة بن جندب بن زوجها امرئ القيس وعلقمة[٣] .

ويبقى الحال كذلك إلى أن ظهر الإسلام ، فنهض الشِّعر وظهرت اتجاهات جديد تقوم على معايير شبه موضوعية واختصم الشُّعَراء حول هذا الدين الجديد بين داعٍ إليه منتصراً له ، وداعٍ عنه مناهضٍ له ، وهو ما سوف أتناوَّله عند الحديث الاتجاهات في صدر الإسلام .

ثالثاً: الاتجاه العام:

---

[١] الشعر والشعراء: ص .

[٢] تاريخ النَّقْد الأدبي عند العرب: ص١٣٥.

[٣] المصدر السابق: ص (٢١. ٢٢) .

الأدب الأدبي في العصر الجاهلي: ص١٨٤

ويُقصد به النَّقْد الذي يقدمه عامة الجماهير إلى الشاعر، فالمعروف عن العرب أنهم كانوا أهل البلاغة والفصاحة ، والبيان ، وكان لهم ذوق خاص واتجاه محدد في تقبل الشِّعْر وفق قوالب معينة تنجذب نحوها أكثر من غيرها ، فكان هذا الذوق الذي يتمتع به عامة الناس يشكل رقابة فنية على الشِّعْر مما أدى إلى تشكيل هذا الاتجاه النَّقْدى الذي يبحث فيه الشاعر عن كيفية ارضاء جمهوره ، فينشدُ وفق ما تحبه وتطلبه الجماهير ، فكان ذلك دافعاً إلى تهذيب الشِّعْر حتى يساير الذوق العام ، يقول شوقى ضيف : ((ولا نرتاب في أنَّ من كانوا يستمعون إلى الأعشى وهو يطوف بأحياء العرب وينشد شعره أنهم كان إذا رحل منهم يتحدثون عنه وعن شعره ، فيتعصب بعضهم له ، ويتعصب بعضهم عليه ، وكذلك كان شأنهم في الأسواق حين يستمعون إلى من ينشد الشُّعَراء ، فيظهر فريقٌ منهم إعجاباً ، ويظهر آخر سخرية واستخفافاً ، ولعل هذه تمثل أوَّلى صور التقدير الجماهيري للأدب وتقويمه وبروزها في العصر الجاهلي)) [1]

المَبْحَثُ الثَّاني

[1] تاريخ النَّقْد الأدبي عند العرب " نقد الشعر": ص ١١٤ .

الاتجاهات النَّقْديةُ في صدر الإِسلام والعصر الأُموي

عندما ظهر الإِسلام في شبه الجزيرة العربية ، أحدث تغييراتٍ كبيرة في الحياة الدينية ، والفكرية ، والأدبية ، وأدهش القرآن الكريم العرب ببلاغته وفصاحته ، إذ لم يكن هو بـ الشِّعر الذي عرفوه واحتفلوا به من قبل ، ولا هو بالنثر الذي ألفوه في خطبهم وأمثالهم وحكمهم ، فعجزوا عن مجاراته واعترفوا بذلك ، وكان أوَّل حكم نقدي في صدر الإِسلام يقوم على الانطباع الشخصي والاحساس الذاتى على بلاغة التعبير القرآنى هو مقولة الوليد بن بن المغيرة : ((والله إِنَّ له لحلاوة ،وإِنَّ عليه لطلاوة..)) [١] وإِنَّ هذه المقولة النَّقْدية تعتبر امتداداً لطابع النَّقْد الجاهلي الذي يعبر عن الاستحسان أو الاستهجان ببيان أثر الكلام في النفس ووقعه على الوجدان ذلك لأن الربع الأوَّل من العصر الأوَّل الهجري والذي يمثل صدر الإِسلام لم يزل التَيَّار الأدبي الذي كان في العصر الجاهلي يسير بذات الدفع وأنَّ اتجاهات النَّقْد التى كانت في العصر الجاهلي هى ذاتها تمارس ، ولكن ظهرت في هذا العصر حركة" نقدية جديدة استجابة لازدهار الشِّعر مرةً أخرى بعد أن إنتهى عصر الفحول من الشُّعَراء وذلك بامتناع لبيد عن قول الشِّعر كما أورد ابن سّلام ، بأنه قد سأل عمر لبيداً أنْ يقول شعراً فقال : ((أبدلني الله بـ الشِّعر سورة البقرة وسورة وآل عمران[٢] وقد ذكرت الروايات بأنَّ الخنساء التى شهد لها النابغة في العصر الجاهلي بأنها أشعر النَّاس بعد الأعشى، لم تقل بيتاً واحداً من الشِّعر بعد دخولها الإِسلام ، بل إنها لم ترث أبناءها الأربعة الذين استشهدوا في إحدى الغزوات ، وقالت عبارتها المشهورة : ((الحمد لله الذي شرفنى بموتهم في سبيل الله)) [٣] أما حسان فقد قصر إبداعه الشِّعْري على الدفاع عن الإِسلام وهجاء خصومه.

قال عبد الفتاح عثمان : ((لقد ظهر في هذا العصر جيل" جديد" من الشُّعَراء يمثلون جيل الصحوة الواعدة بحركة شعرية مزدهرة ، وكان لنشأتهم أثر" كبير" في ازدهار حركة النَّقْد وتحديد اتجاهاته، وبعث النشاط والحيوية بينالذ ُقَّاد ،

---

[١] طبقات فحول الشعراء : ص١٣٠ ، النَّقْد العربى القديم : ص٣٢ .

[٢] المصدر السابق : ص١٣٥

[٣] المصدر السابق نفسه : ص٤٠ .

خاصة وأن هؤلاء الشُّعَراء الذين نضجت مواهبهم الشِّعرية في نهاية القرن الأوَّل الهجري كانوا ينتمون إلى بلاد إسلامية مختلفة.

ويمثلون مذاهب شِّعرِية متباينة ، واتجاهات مختلفة ، منهم عمر بن أبي ربيعة في مكة ، والأحوص وعبد الله بن قيس الرقيات في المدينة وجميل بن مُعمر وكثير عزة ، وذو الرُّمة في البادية ، وجرير والفرزدق في العراق ، والأخطل في بلاد الجزيرة ، والكُميت في الكوفة ، والطرماح بن حكيم ، وعدي بن الرقاع في الشام، وغيرهم كثر" في الأمصار والأقاليم الإِسلامية .

هذه المجموعة من الشُّعَراء أسهموا في إحياء الشِّعر العربي من جديد وأعادوا له قوته ونضارته ، بعد أن استقرت دعائم الإِسلام كما يقول ا بن سّلام : ((.... فجاء الإِسلام ، فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشِّعر وروايته فلما كثر الإِسلام ، وجاءت الفتوح ، وأطمأنت العرب بالامصار راجعوا رواية الشِّعر)) [1] وفي غمرة الاهتمام برواية الشِّعر الجاهلي ، وتأمله ، وفهمه ، وتذوقه نشأت اتجاهات نقدية لأوَّل مرة في القرن الأوَّل الهجري منها الآتى:

الاتجاه الأوَّل: الاهتمام بالقديم والموازنة بينه وبين الحديث:

نتيجةً لازدهار الشِّعر من جديد بعد استقرار الإِسلام ، وفراغ الناس من الانشغال بالجهاد ، نشأت طوائف من العلماء بـ الشِّعر ، وأخذت كل طائفة تتعصب لشاعر قديم بعينه تستند إلى صفات فنية محددة تراه قد فاق الآخرين فيها ، من شعراء الجاهلية وهذا دليل على أن الشِّعر الجاهلي ما زال أصداءه عالقه بأذهان الناس وأنَّ أثره لم ينقطع تماماً بعد ظهور الإِسلام وهذا في تقديري أمر" طبيعي، وسنة من سنن التدرج الكوني ، خاصة وأَنَّ دراسة العصور الأدبية تتم بمعزل الحديث عن العصور السياسية على الرغم من أنَّ للعصور السياسية دور" في توجيه الحياة الأدبية التى منها الشِّعر والنَّقْد، لكن الحقب الأدبية قد تتداخل بين عصرين سياسين كالتداخل الذي نشهده بين العصر الجاهلي وعصر الإِسلام ونجد شعراء محسوبين هنا وهناك .

---

[1] طبقات فحول الشعراء : ص٢٥ .

فهناك من مال إلى امريء القيس وفضله على غيره حجته في ذلك أنَّه على الرغم من أنَّه قال ما قالته العرب لكنه سبق غيره في أشياَء ابتدعها، واستحسنه الشُّعَراء وساروا على طريقته ، كالبكاء في الديار، ورقة النسيب، وتشبيه النساء بالظباء والبيض ، وتشبيه الخيل بالعقبان والعصى، وقيد الأوابد[١].

فإِنَّ تفضيل امريء القيس يعود إلى ريادته في العديد من موضوعات الشِّعْر ، وأختراعه لصياغات فنيه مبتكرة ، فتقدمه يرجع لريادته وابتكاره في المعنى والصياغةوكان هناك من يفضل النابغة ويُحتج له بأنه كان أحسنهم ديباجة في الشِّعْر ، ولكثرهم رونقاً في الكلام ، وأجزلهم بيتاً ، وأن شعره ليس فيه تكلف [٢]. فتقديم النابغة عند َمنْ فضله يعود إلى أسلوبه الشِّعْري الذي يتسم بجمال النظم، وحسن التأليف، وجزاله البيت والسهولة في الأداء دون تكلف ، فإِنَّ قيمة النابغة تجده في صياغته الرصينة للمعنى الشِّعْري ، ومنهم من كان َيفضل زهيراً ويدفع رأيه بأن زهير هو الأفصح شعراً ، وأبعد الشُّعَراء عن السخف، وله القدرة على حشد الكثير من المعاني في قليل من العبارات، وأشدهم مبالغة في المدح، وأكثرهم أمثالاً في الشِّعْر[٣] فهو عند معجبيه متفوق على أقرانه بإتزانه، وبعده عن السخف والابتذال، وهناك من كان يفضل الأعشى ويقول هو أكثر الشُّعَراءمدحاً ، وهجاًءوفخراً ووصفاً ، فهو قد تفوق عن أقرانه إذ تجده في أي غرض من أغراض الشِّعْر[٤] وإذا نظرنا إلى هذه الآراء التى أدلوا بها تجدها تدل على وجود أذواق شعرية متباينة، وإِنَّ هذه الأذواق لا تكتفي بذكر الانطباع العام وإطلاق الأحكام من غير تعليل، وإنما تحلل، وتعلل لسبب تفضيل شاعر عن غيره وتذكر الخصائص المعنوية واللغوية التى تميزه عن أقرانه.وهناك موازنات أقامهاالنُّقَّاد في صدرالإِسلام بين عدد من شعراء الجاهلية منهم: طرفة، وعنترة، وامرؤ القيس، وزهير، وشاعر من شعراء الإِسلام وهو البحتري، فقد عابوا على طرفة قوله :

---

[١] طبقات فحول الشعراء : ص٢٥ .

[٢] المصدر السابق : ص٥٥ .

[٣] المصدر السابق نفسه : ص٥٦.

[٤] المصدر السابق نفسه : ص ٦٤.

أسد غيل فإذا شربوا *** وهبوا كل أمون وطمر [١]

فقالوا: إنَّما يهبون عند الآفة التى تدخل على عقولهم ، وفضلوا عليه قول عنترة بن شداد العبسي:

إذا شـربتُ فإننـي مستـهلك" *** مالي وعرضـي وافر" لم يكلم [٢]

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى *** وكما علمت شمائلي وتكرمي

فقالوا إنَّما الجيِّد بيتا عنترة هذان ، لأن جوده باقٍ ، وأنَّه لا يبلغ من الشراب ما يلثم عرضه ، ثم قالوا : هو حسن جميل ، إلاّ أنّه أتى به في بيتين، هلا قال كما قال امرؤ القيس :

سماحة ذا وبرذا ووفاء ذا *** ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر [٣]

وفضلوا على الجميع قول زهير :

أخي ثقةٌ لا تهلك الخمر ماله *** ولكنه قد يهلك المال نائله [٤]

فقالوا: هذا أحسن الكلام ، لأنه يريد أنه لا يشرب بماله الخمر، ولكنه يبذله للحمد، وقد ورد قول البحتري في هذا المجال لتضمنه معنى جديداً حين قال:

تكرمت من قبل الكؤوس عليهم *** فما استعن أنْ يحدثن فيكِ تكرما

فإذا وقفنا عند هذه الموازنة ، نجد أنَّ الجديد فيها هو الاهتمام بالتعليل، وتتبع المعنى عند أكثر من شاعر، كما قال بذلك عبد الفتاح عثمان[٥] ثم نجد نموذجاً آخراً من هذه الموازنات عندما فضلوا قول طرفة السابق على الرغم من نقدهم الشديد له، على قول حسان بن ثابت في نفس المعنى حين قال:

نوليها الملامة إنْ ألمنا *** إذا من كان مقت أو لحاء[١]

ونشربها فتتركها ملوكاً *** وأسداً ما ينهنهنا اللقاء

---

[١] ديوان طرفه : شرح الأعلم الشنمتري ، تحقيق مكس سلفسون ، بيروت ١٩٠٠م .

[٢] ديوان عنترة بن شداد :ط المكتب الإسلامي بيروت ،١٩٧٢م .

[٣] ديوان امريء القيس : ص ١٣١.

[٤] ديوان زهير بن سلمى : ص٧٦، ط٢ دار الكتب العلمية بيروت

[٥] النَّقْد الأدبي القديم : ص٤٨،أصوله ، مناهجه ، قضاياه

[١] ديوان حسان بن ثابت : دار المعارف القاهرة .

وسبب تقديم طرفة على حسان ، أنَّه جعل الشجاعة قبل الشرب، بينما حسان قال: نشرب فنتشجع ونهب كأنا ملوكاً إذا شربنا ، فلهذا كان قول طرفة أجود.

فهذه النماذج في تقديري تصلح أدلة لبيان اتجاهاً نقدياً جديداً وبروزه إلى السطح يقوم على أسانيد جديدة غير التي كان عليه النَّقْد في العصر الجاهلي .

الاتجاه الثاني : نقد الشُّعَراء المحدثين :

أتخذ هذا الاتجاه الذي تناوَل الشُّعَراء المحدثين ، الطابع نفسه الذى قوم به الشُّعَراء في العصر الجاهلي ، وهو أسلوب الموازنة ، والحكم العام ، والحكم الجزئي ولكن الذي نلحظ أنَّ الموازنات لم تهتم بالتعليل وإبراز السمات والخصائص التى نجدها في كل شاعر ، وإضافة إلى هذه الموازنات فقد تميز هذا الاتجاه بأنَّالنُّقَّاد قد اطلقوا على شعراء صدر الإسلام أحكاماً عامة يصفون بها الشِّعْر، وتحدد طبيعته بناءً على وقع الشِّعْر في النفس، ومدى قبولها له، وهي شبيهة بتلك الأحكام العامة التي كان يطلقهاالنُّقَّاد في العصر الجاهلي.

ومن أمثلة تلك الأحكام ما ذكره بن سلام الجمحي: ((أنَّه قد ورد على لسان أبي عمرو بن العلاء في شعر ذي الرُّمة حيث قال : ((إنما شعره نقط عروس يضمحل عن قليل ، وأبعار ظباءٍ لها . مشم في أوَّل شمها ثم تعود إلى أرواح البعر))[٢] وأنَّه يقصد بذلك أنَّ الشِّعْر عند ذي الرُّمة يكون رائعاً براقاً عند الوهلة الأوَّلى ، ولكنه لا يبقى على ذلك طويلاً بل يضعف ويتهافت بعد فهمه وتأمله ، إذ أنَّه لا يشتمل على العناصر الفنية الجيِّدة التى تضمن له الخلود والبقاء الفني. ومثل ذلك ما قاله الفرزدق في شعر النابغة الجعدي ، بأنَّ مثله مثل صاحب الخلقان يُرى عنده خز وثوب عصب وإلى جنبه سمك كساء أي أنَّ شعره متفاوت في مستواه الفني إذ تجد فيه الجيِّد والرديء معاً .

ومن الموازنات التي نوردها في هذا المقام لأُدِلُ بها على وجود اتجاه نقدي يقوم على نقد الشُّعَراء المحدثين، ويبين مذاهبهم الفنية ويقارن بين بعضهم بعضا، تلك الموازنة التى وردت بشأن كثير عزة ، وجميل بثينة ، فقد قال عنهمالنُّقَّاد كما نقله

---

[٢] طبقات فحول الشعراء : ص٥٥١ .

ابن سلام : ((كان لكُثير في النسيب نصيب" وافر"، وجميل مقدم عليه ، وعلى أصحاب النسيب جميعاً في النسيب ، وله في فنون الشِّعر ما ليس لجميل ، وأنَّه صادق الصبابة ، وكان كثير يتقول، ولم يكن عاشقاً ، وكان راوية لجميل))[١].

واضح من هذه الوثيقة النَّقْدية أنَّه لكل منهما خصائص فنية ينفرد بها فكثير يمتلك القدرة الشِّعْرية التى تعينه على التنوع في الصياغة الفنية ، وأنَّ جميل يمتاز بالصدق الشعوري الذي يجعل من شعره تعبيراً عن تجربته الذاتية ، واحساسه الشعوري الخاص، بينما كثير يتخيل التجربة ويعبر عنها من غير رصيد شعوري وما يؤيد تلك الوثيقة النَّقْدية ما نُقل عن الشاعر نصيب بأنَّه قال : ((جميل أصدقنا ، وكثير أبكانا على الظعن ، وابن أبي ربيعة أكذبنا)) [٢] ومن الروايات التى تتعلق بالموازنات لما نُسبت لابن أبي عتيق في الموازنة بين كثير، وعمر بن أبي ربيعة ، وابن قيس الرقيات ، حيث أنشد كُثير ابن أبي عتيق قوله :

ولست براضٍ من خليل بنائل *** قليل ولا راضٍ له بقليل [٣]

فقال له : هذا كلام مكافئ وليس بعاشق ، القرشيان أصدق منك ، ويقصد بالقرشيان : ابن أبي ربيعة ، وقيس ، فقال عمر :

فعدى تلُّلاً وإنَّ لم تنيلي *** إنما ينفع المحب الرجاء [٤]

وقال : ليت حظي كطرفة العين منها *** وكثير منها قليل منها [٥]

وقال ابن قيس :

رقي بعمرك لا تهجرينا *** وفينا النى ثم امطلينا

عدينا في غد ما شئت إنَّا *** نحب ولو مطلت الواعدينا

فإنا تنجزي عدتى وإما *** نعيش بما نؤمل منك حينا[١]

---

[١] الموشح : ص٩٠.

[٢] طبقات فحول الشعراء : ص٥٤٥.

[٣] الموشح : ص ٣٢١.

[٤] ديوان عمر بن أبي ربيعة: ص٣٦، تقديم الدكتور فايز محمد ط٣ ، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٩٨م

[٥] المصدر السابق: ص٤٥ .

[١] ديوان قيس :ط٣ دار صادر بيروت ١٩٧٦م .

ومثل هذه الموازنة عقدت كذلك بين الأخطل ، وجرير ، والفرزدق فكانوا يقولون: جريراً يغرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر ، فكان بعضهم يفضلون جريراً لكثرة الأغراض الشِّعرية، والفرزدق يمتاز بقوة التراكيب وفخامة التعبيرات والقدرة الفائقة على ربط أَجزاء القصيدة الواحدة .

وكذلك مثلما كانت الموازنات تعقد بين شاعرين أو أكثر ، فقد كانت تتم بين شاعرين في بيتين قيلا في غرض واحد، وقد ورد لذلك أنَّه سئل أحدالنُّقَّاد أي البيتين أجود ؟ قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا***وأندى العالمين بطون راح [٢]

أم قول الأخطل :

شمس العداوة حتى يُستفادُ لهم ***وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا [٣]

فقال: بيت جرير أحلى ، وأسير، وبيت الأخطل أجزل وأوزن[٤] ولم يتوقفالنُّقَّاد عند الموازنة بين أوَّلئك الشُّعَراء الثلاثة، بل أرجعوهم إلى أشباههم في العصر الجاهلي، فكان أبو عمر بن العلاء يشبه جريراً بالأعشى، والفرزدق بزهير، والأخطل بالنابغة.

الاتجاه الثالث : المقولات النظرية:

أما الاتجاه الثالث الذي اتخذه المشتغلون بالنَّقْد من علماء اللغة وغيرهم ، في هذه الفترة الباكرة من تاريخ النَّقْد في عصر صدر الإِسلام يتمثل في بعض المقولات النَّقْدية ، والنظريات التى أرست لبعض القضايا الشِّعْرية تلك التى عولجت في القرنين الثالث والرابع، وأصبحت مرتكزات أساسية للنقد فيما بعد .

---

[٢] ديوان جرير بن عطيه : ط٢، دار المعارف القاهرة .

[٣] ديوان الأخطل : ط٣ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٣م.

[٤] طبقات فحول الشعراء: ص .

ويمكن القول بأنَّ أهم تطور نقدى في عصر صدر الإِسلام هو ما تم على يد الأصمعي ، وابن أبي عتيق ، أما جهود الأصمعي فقد تمثل في مجالين الفصل بين الدين و الشِّعْر ، وتحديد مفهوم الفحولة الشِّعْرية ، حيث يقول الأصمعي في المسألة الأوَّلى وهى الفصل بين الدين و الشِّعْر :" وطريق الشِّعْر إذا أدخلته في باب الخير لآن ، الآ ترى أنَّ حسان بن ثابت كان علماً في الجاهلية والإِسلام ، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمزة ، وجعفر ورضوان الله عليهما ، وغيرهم لان شعره ، وطريق الشِّعْر هو طريق الفحول ؛ مثل امريء القيس ، وزهير ، والنابغة.

من صفات الديار ، والرحل ، والهجاء ، والمديح ، والتشبيب بالنساء ، وصفة الخمر والخيل والافتخار ، فإذا أدخلته في باب الخير لآن [1]

النُ قَّاد يعدون هذه المقولة أنَّها أطول وثيقة نقدية في هذه المرحلة من تاريخ النَّقْد بين ظهور الإِسلام وبداية التأليف المنهجي المنظم ، وتتمثل أهميتها في أنَّها تعالج موضوعاً حيوياً وهو العلاقة بين الدين و الشِّعْر ، ويستدل الأصمعي على هذه المقولة النظرية بموقف حسان بن ثابت الذي كان فحلاً من فحول الجاهلية عندما كانت حريته مطلقة في المدح والوصف ، والهجاء ، ولكن عندما قُصرت على الدفاع عن الدين الجديد ، ورثاء النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ضعف شِّعره فشتان بين حسان في الجاهلية ، وحسان في الإِسلام .

مع تقديرنا لرأي الأصمعي لكن أحسب أنَّه يحتاج إلى إعادة نظر وموقفاً آخراً في ذات الاتجاه نجده في قول أبي عمرو بن العلاء أستاذ الأصمعي حيث قال: ((ما أحد أحب إلىَّ شعراً من لبيد بن ربيعة لذكره الله عزو جل ، ولإسلامه، ولذكره الدين والخير ، ولكن شعره رحى بذر)) [1] والذي يظهر من هذه المقولة المتفرقة في مجال الشِّعْر بين المعنى الأخلاقي ، والصياغة الفنية الجيدة ، فهو إذاً يعجب بالمعاني الأخلاقية في شعر لبيد ، لكنه غير راضٍ عن طريقته في الصياغة

---

[1] طبقات فحول الشعراء : ص٩٠ .

[1] طبقات فحول الشعراء : ص (١١٩– ١٢٠).

اللغوية الفنية التى يُعبر بها عن هذه المعاني ، ومثل لذلك برحى البذر لعدم احتوائه على العناصر الفنية الأصلية والتي تحقق نضارة ا لشِّعر وتأثيره الدائم.

أما إذا عدنا إلى تحديد معنى الفحولة الشِّعرية عند الأصمعي فيتبين لنا من خلال تحليل ذلك النص الذي أورده المرزباني عن أبي حاتم قال : ((سألتُ الأصمعي عن عمرو بن كلثوم ، أفحل هو ؟ فقال : ليس بفحلٍ ، قلت فأبو زبيد ، قال : ليس بفحل ، قلتُ : فعروة بن الورد ؟ قال : شاعر كريم ، وليس بفحل ، قلتُ: فالحويدرة ؟ قال : لو كان له خمس قصائد مثل قصيدته . يقصد العينية – كان فحلاً .

قلت: فحاتم الطائي ؟ قالحاتم إنما يُعد فيمن يُكرم ، ولم يقل إنَّه فحل في شعره ، قلت : فمعفر بن حمار البارقي حليف بنى غير ؟ قال :لو أتم خمساً أو ستاً لكان فحلاً ، قلت : فكعب بن سعد الغنوى ؟ قال ليس من الفحول إلاّ في المرثية فإنه ليس في الدنيا مثلها ، قال : وسألنه عن خفاف ابن ندية ، وعنترة ، والزبرقان بن بدر ، فقال : هؤلاء أشعر الفرسان ، ومثلهم عباس بن برداس السلمي، ولم يقل إنَّهم فحول ، قلت له: فالأسود بن يعفر النهشلي ؟ قال : يشبه الفحول : قلت : فكعب بن زهير بن أبي سلمى ؟ قال : ليس بفحل ، قلتُ فزيد الخيل الطائي ؟ قال هو من الفرسان ، قلتُ : معمرو بن معدي يكرب ؟ قال : من الفرسان ، قلت فسليك بن سلكة ؟ قال : ليس من الفحول ولا من الفرسان ، قال وسلامة بن جندل لو كان زاد شيئاً لكان فحلاً)) [٢].

ثم يعرف الفحولة فيقول : ((أنْ يكون له ميزته على غيره كمزية الفحل على الحقاق)) [١] فالفحولة إذاً مربوطة بالشاعرية وتمثل قدرة الشاعر الفنية التى تمكنه من غزارة الإنتاج الشِّعرى وتنوعه ، بدليل قوله عن الحويدرة لو كان قال خمس قصائد مثل قصيدته العينية كان فحلاً، وعن المعفر البارقي لو أتم خمساً أو ستاً لكان فحلاً، وعن سلامة بن جندل، لوكان زاد شيئاً لكان فحلاً، ويحدد معيار الفحولة في قوله: ((لا يصير الشاعر فحلاً في الشِّعر حتى يروي أشعار العرب ، ويسمع

---

[٢] طبقات فحول الشعراء: ص٦٣.

[١] العمدة : ج١ ، ص ١٩٧ – ١٩٨.

الأخبار، ويعرف المعاني ، وتدور في مسامعه الألفاظ ، وأوَّل ذلك أنْ يعلم العروض؛ ليكون ميزاناً له على قوله؛ والنحو ؛ ليصلح به لسانه وليقيم به إعرابه؛ والنسيب وأيام الناس ؛ ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم أما جهود ابن أبي عتيق النَّقدي فقد تمثل في محأوَّلته لتفسير شعر عمر بن أبي ربيعة ، وتبين مذهبه في الشِّعر ومدى تأثيره في نفوس المتلقين له رداً على المفضل الذي حاول إخراج شعر ابن أبي ربيعة من دائرة الغزل)) [٢].

ونحن نعتقد أنَّ هذه الآراء النَّقْدية التى عرفناها عن الأصمعي وابن أبي عتيق، تمثل تطوراً بارزاً في مسيرة النَّقْد الأدبي ، فهى لا تكتفي بالاحكام العامة، أو النَّقْد الجزئي لبيت ، أو كلمة ، وإنَّما تتنأوَّل قضايا نظرية تتصل بوظيفة الشِّعر، والفحولة الشِّعرية وثقافة الشاعر، ومراعاة اللياقة والتناسب، وتأثير ا لشِّعر النفسى والأخلاقي ، وشكلت فيما بعد نقطة انطلاقة لنقاد القرن الثالث حين بدأت حركة التأليف ، فإذا كان عصر صدر الإسلام قد شهد بداية المقولات النظرية ، فإنَّ القرن الثالث والرابع سيشهد التأصيل الحقيقي لهذه المقولات ، وهو ما يتبين لنا في المبحث الثالث .

المَبْحَثُ الثَّالثُ

الاتجاهات النَّقْدية في العصر العباسي

يروي لنا التاريخ بأنَّه بعد أنْ حسم الأُمويون مسألة الخلافة لصالحهم ، قاموا بنقل عاصمة الدولة الإسلامية إلى دمشق، ومن هناك بدأ الاستقرار يدب في جسم الدولة في كلِّ مناحي الحياة ، وإذا ركزنا النظر في الأدب نجده قد أخذ يتجه في ثلاث اتجاهات ، شكل كل اتجاهمذهباً أدبياً مخالفاً وعلى ذلك كان النَّقْد، وهي

---

[٢] طبقات فحول الشعراء: ص٦٥.

الحجاز، والشام والعراق، وفي أحضان هذه الاتجاهات أخذت حركة النَّقْد تنمو وتنشط على يد العلماء و الشُّعَراء الذين أصبحوا يشكلون الجهاز الرقابي على الشُّعَراء في كل زمان ومكان، وكانت أبواب الخلفاء، والولاة ، والقادة مفتوحة دوماً أمام الشُّعَراء والأدباء ، تعُد دُورُهم أماكن لعرض الإنتاج الشِّعْري حيث يجالذ ُقَّاد مجالاً لعرض بضائعهم ، والجوائز تقدم لكل منهم بقدر شعره وبراعته فيه.

وعن اتجاه النَّقْد الأدبي في الحجاز يقول قصي حسين : ((إِنَّ صورة النَّقْد الأدبي في الحجاز إبانَّ العصر الأموي ، هى في الواقع امتداد طبيعي واتجاه نقدٍ سابق ، أي هى صورة للأحكام النَّقْدية غير المعللة ، التى تذكرنا بأحكام نقاد العصر الجاهلي وصدر الإسلام)) [١]، وبالوقوف على محاور النَّقْد الأدبي في الحجاز خلال هذا العصر ، نجده قد لقي اهتماماً بالغاً على جميع المستويات . وبين مختلف الطبقات ، فقد أسهم فيه الرجالُ والنساء و الشُّعَراء وغير الشُّعَراء كلٌّ على قدر ذوقه وفهمه ، وكان الدافع إلى ممارسة النَّقْد هو الإهتمام الشديد بشعر الغزال ، وبما يدور حوله من جدلٍ ونقاش في مجالس عامة الناس ومنتدياتهم . [٢]

ويصف أحمد أمين مدينتي الحجاز: مكة والمدينة واللتان تعدان من أكبر المراكز الأدبية بالإقليم وقتئذٍ بقوله: ((كان لمدينتي الحجاز شأن" علمي عظيم ، فأما مكة فلانها كانت منبع الإِسلام، وبها كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبها كانت الأحداث الأوَّلى من دعوة الإِسلام . أما المدينة، فلأنها هاجر إليها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه، وبها كان أكثر التشريع الإِسلامي ، ومثلما كان للحجاز شأن"في الحياة العلمية أيضاً كان له شأن آخر على مستوى الثروة والغنى)) [١].

لذلك فقد ساعدت المقومات المالية ، والعلمية المتوفرة على إيجاد بيئة صالحة للإنتاج الأدبي، وقد وصف طه حسين ذلك الحال والمال الذي آل إليه المجتمع الحجازي في عصر الدولة الأموية فقال : ((وما هى إلاّ أنْ تنشأ في الحجاز نفسه ، في مكة والمدينة والطائف طبقة من هذه الأرستقراطية الفارغة التى لا تعمل شيئاً ،

---

[١] النَّقْد الأدبي ومدارسه عند العرب : ص٦٠ ، ط١ ، دار ومكتبة الهلال بيروت ، ٢٠٠٨م .

[٢] المصدر السابق : ص٦١.

[١] فجر الإِسلام : ج١ ، ص١٧٢ ، دار الكتاب العربي ١٩٨٥م.

وإنما يعمل لها ما جلبت من الرقيق ، والتى تنفق وقتها في فنون اللهو والعبث والمجون)) [٢].

ونتج عن ذلك أنْ انتشرت دُور الغناء في مدن الحجاز ، وأقبل عليها العامة ، كما عقدت له المجالس الخاصة التى كان يؤمها الأشراف ، و الشُّعَراء والفقهاء ، وغيرهم، من ذوي المكانة والوجاهة ، ولم تكن هذه المجالس مقصورة على الغناء والفن، أو الرقص، وإنما أيضاً كانت مجالس للأدب إذ يهذّب فيها الشاعر ويُ نقح ويرقق إنتاجه الشِّعري ليتماشى مع الذوق الموسيقي العام[٣].

أدت هذه العوامل السابقة مجتمعة ، والاهتمام الزائد بظاهر شعر الغزل بصورة خاصة في عصر الدولة الأموية إلى إيجاد اتجاه نقدي جديد انفرد به العصر الأموي ، وكتاب الاغاني ينقل إلينا أخباراً نقدية كثيرة عن رجال الأدب و الشِّعر الذين كانت لهم لقاءات طويلة مع عمر بن أبي ربيعة الذي يمثل الرائد الفعلي لهذا الاتجاه ، من ذلك ما أورده أبو الفرج الأصفهاني بأنَّه قال: ((سليمان بن عبد الملك لعمر بن أبي ربيعة : ما يمنعك من مدحنا ؟ قال : لا أمدح الرجال ، وإنما أمدح النساء)) [٤].

وكذلك قول ابن جريج : ((ما دخل على العواتق في أحجالهن شئ" أضرَّ عليهن من شعر بن أبي ربيعة)) [١] ، وقول سمرة الرماني : ((إنى لأطوف بالبيت ، فإذا أنا بشيخ في الطواف ، فقيل لي: هذا عمر بن أبي ربيعة ، فقبضتُ على يده ، وقلت له : يا ابن أبي ربيعة ، فقال ما تشاء ؟ قلت : أَكُلُ ما قلته في شعرك فعلته؟ قال : ((إليك عني – قلت : أسألك بالله ، قال : نعم واستغفر الله)) . ويقول قصي حسين : ((إنَّ هذه الآراء النَّقْدية المروية عن عمر بن أبي ربيعة ، وشعره إنَّما تشكل أوَّلى بوادر النَّقْد التى أخضعت قصائده لها ..)) [٢]

---

[٢] الفتنة الكبرى : ص١٠٤ ، ط١مصر ، ١٩٨٥م .

[٣] المصدر السابق : ص١٠٤.

[٤] الأغاني : ج١ ، ص٧٥.

[١] النَّقْد الادبي ومدارسه : ص٦٤ .

[٢] النَّقْد الادبي ومدارسه : ص٦٤ .

في تقديري أَنَّ ما امتاز به إقليم الحجاز عن غيره من سائر أقاليم الدولة الأُموية من تقدم في مجال العلم ، وسعة في المال قد ساعدا على إنتاج نوع خاص من الشِّعْر تقوم على الرقة ، وذلك أمر" طبيعي، فالشِّعْر يعكس طبيعة الحياة التى يعيشها الشاعر وأَنَّ بروز أي ظاهرة شعرية جديدة دون شك يوفر بيئة خصبةً للنقد ، وأنَّ التطور الذى طرأ على الشِّعْر في إقليم الحجاز أنذاك، واتخاذه جانب الغزل قد استوقف انتباه نقاد الشِّعْر ودفعهم إلى الكشف عن خصائصه التعبيرية .

أما تيار النَّقْد واتجاهه في العراق فقد اختلف تماماً عن نقد الحجاز فقد شهد العصر الأُموي في العراق قيام سوقي المربد في البصرة، وسوق الكناسة في الكوفة، وقام هذان السوقان مقام سوق عكاظ في العصر الجاهلي فكان شعراء البلدتين ، ومن يفد عليها من البادية ، يعرضون إنتاجهم الشِّعْري في هذه الأسواق بين يدي الجمهور للحكم عليها ، فقويت الحركة الشِّعْرية وعُرف أصحابها بشعراء النقائض، وهى صورة متقدمة من صور الهجاء التى كانت في العصر الجاهلي وأخذ الهجاء في هذه المرحلة شكل مناظرات بين جرير، والفرزدق والأخطل، ويتبعهم كثير" من الشُّعَراء، وقد مثل الجمهور في هذه المسألة دور المراقب بتجمعهم حول الشُّعَراء ، وهم يصفقون كلما مرَّ بهم بيت" نافذ الطعنة ، ثم ينحاز فريق" إلى هذا وفريق إلى هذا ، وفريق" ثالث محايد يمثل دور الناقد الحصيف الذي يغار فقط على الشِّعْر وتقاليده العريقة ، وقد برز بين هؤلاء ما عرفوا بشعراء المثلث الأموي أو شعراء النقائط وهم : جرير ، والفرزدق والأخطل ، وشكل شعرهم مادةً وفيرة للنقد الأدبي في العراق ، إذ دار حولهم الخلاف والجدل في الأندية العامة والمجالس ، وحدث شبه اجماع بينالذُّقَّاد على أنّ شعراء المثلث الأموى هم أشعر العرب في عصرهم ، ولكنهم اختلفوا في تقديم أحدهم على الآخر. ولكن الأصفهاني يقول:((الفرزدق مقدم على الشُّعَراء الإِسلاميين هو وجرير والأخطل، ما يهمنا في هذا المقام ، ويخدم قضية البحث هو أنَّ وجود هؤلاء الفحول، الذين صرفوا اهتمام الناس وشغلوهم بإنتاجهم الشِّعْري من خلال مدرسة النقائض قد شكلوا اتجاهاً نقدياً وتياراً جديداً لم يكن معروف من قبل في تاريخ النَّقْد الأدبي، ودفع بحركته إلى الأمام، وقد احتفظت كتب التراث النَّقْدي بالكثير من المقولات النَّقْدية التى تؤيد صدارة هؤلاء الفحول

لمجال الأدب الذي بوجوده يوجد النَّقْد ، منها قول الاصفهاني أن الفرزدق كان يقول: ((إنى وإياه – جريراً – لنغرف من بحرٍ واحدٍ ، وتضطرب دلاؤه عند طول النهر))[1] .

ومن أخبار جرير النَّقْدية :يُروى أنّ ابنه عكرمة قال : يا أَبَة ، من أشعر الناس؟ فقال: الجاهلية تريد أم الإِسلام ؟ قلت : أخبرني عن الجاهلية ، قال : ((شاعر الجاهلية زهير ، قلت فالإِسلام ، قال نبعة الشِّعْر الفرزدق ، قلت : فالأخطل ، قال يجيد صفة الملوك ويصيب نعت الخمر ، قلت : فما تركت لنفسك، قال : دعني فاني بحرت الشِّعْر بحراً)) [2].

ومما ساعد على ازدهار حركة النَّقْد في البيئة العراقية في العصر الأُموي ظهور طائفة من النحاة واللغويين بجانب الشُّعَراء والأدباء والعلماء شكلوا وصاية نقدية على الشُّعَراء والشِّعْر ، أفضت جهودهم إلى تأسيس علم النحو واللغة اللذان اسهموا في استنباط قواعد عامة يسير عليها الأدباء والشُّعَراء ، ونادوا بالتمسك بها والمحافظة على تقاليدها العريقة الموروثة ، وقد رويت عن هؤلاء النحاة واللغويين أخبار نقدية كثيرة أهم ما فيها ، وقول عبد العزيز عتيق : ((أنَّ النَّقْد جاء مبرراً ومعللاً ، وموضوعياً ، وكان يخلو من روح التعصب والهوى ، ويقصد به صاحبه العلم والتوجيه ، وخدمة الشِّعْر من جميع نواحيه مع الاستعانة بالأصول المقررة في اللغة والنحو ، والعروض وهذا ما فتح الباب أمام العلماء ليبدأوا بتأسيس النَّقْد القائم على الأُسس العلمية بعد أنْ ظل لفترة طويلة حكراً على الأدباء والمتأدبين ، والشُّعَراء والرواة المتذوقين)) [1] .

---

[1] الأغانى: ج٧ ، ص٤٢ .

[2] النقد الأدبي القديم : ص٦٥

[1] النَّقْد الادبي عند العرب : ص٢٠٠ .

الفَصْلُ الثّالثُ
الذّوق الأَدَبي الأَنْدلُسيِّ وعوامل تكوينه

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : المؤثرات المحلية على الذـــوَّق الأَدَبي الأَندلُسيِّ
المَبْحَثُ الثّانِي: المؤثراتُ المَشْرقيّةُ على الذّوق الأَدَبي الأَنْدَلُسيِّ
المَبْحَثُ الثّالثُ: الاتجاهات الشِّـــــــعْريةُ في الأَدَبِ الأَندلُسيِّ
المَبْحَثُ الرَّابع : أصَالةُ الشِّعْر الأَنْدَلُسيِّ منْ خِلال شِّعْر الطَّبيعةِ

الفَصْلُ الثَّالثُ
الذّوق الأَدبي الأَنْدلُسيِّ وعوامل تكوينه
المَبْحَثُ الأَوَّلُ
المؤثرات المحلية على الذّوق الأَدبي الأَنْدلُسيِّ

أولاً : مفهوم الذوق

لعل كلمة التّوق أكثر الكلمات دوراناً على ألسنة نقاد الأَدب لشدة اتصالها بما يصدرون من أحكام ، ولأن التّوق فى رأي الكثيرين الفيصل فى وصف الأَدب وتذوقه سواء كانت نتيجة التذوق والتأثير ثابتة أم متغيرة بتغيّر الأوقات والبيئات.

ومن معاني التّوق التأثر، ورد فى المحيط [1]ذاقه ذوقاً وذوقاناً ومذاقاً ومذاقة اختبر طعمه ، وتذّوقه ذاقه مرة بعد مرة ، وفي المنجد: ((التّوق ملكة" تدُركُ بها الطعاُم ، والتّوقالطبع ُ يُقال هو حسن التّوق للشعر أي مطبوع عليه)) [2] ، ويقول ابن خلدون فى مقدمته بعد تفسير التّوق بأنّه حصول ملكة البلاغة للسان:((واستعير لهذه الملكة ، عندما ترسخ وتستقر اسُم التّوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان، وإنما هو موضوع لإدراك الطعام ، لكن لما كان محل هذه الملكة فى اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل" لإدراك الطعام استعير لها اسمه، وأيضاً فهو وجداني للسان كما أنَّ الطعوم محسوسه له فقيل له تّوق")) [3]

يقول أحمد الشايب مستنتجاً من تفسير ابن خلدون السابق : ((هذا يعني أنَّ التّوق في معناه الحسي الأَوَّل علاج الأشياء باللسان لتعرف طعمها ، ويتبع ذلك الدلالة على ثمرة التّوق من حلاوةٍ أو ملوحةٍ أو مرارةٍ أو حموضةٍ ثم النفور من الأشياء أو الاطمئنان إليها ، فهنا مقدمة" وحكم" وعمل" ، وانتقلت الكلمة بعد ذلك إلى علاج الأشياء بالنفس لتعرف خواصها الجميلة أو الذميمة كحسن الألوان وتناسبها، وجمال الألفاظ وبلاغتها وروعة الأنغام واتساقها، وعكس ذلك ، وبهذا دخلت دائرة الفنون الجميلة لتدل على هذه الملكة المكتسبة أو الموهبة التى تدرك ما فى الأثار الفنية من كمال وجمال أو نقص ودمامة ، وكانت فى الأَدبلتدرك حسن التعبير اللُّغوي أو قصورة فتمهد بذلك للحكم السديد والتفسير الواضح الصحيح)) [1].

---

[1] القاموس المحيط : ص٣٣٨ "مادة ذوق"

[2] المنجد : ص٢٤٨مجمع اللغة العربية،ط ،وزارة التربية والتعليم ٢٠٠٧م

[3] مقدمة ابن خلدون: مطبعة النقد ، تحقيق على عبد الواحد وافي القاهرة ١٩٦٠م

[1] أصول النقد الأدبي : ص ١١٩ ط٧ ، مكتبة النهضة المصرية١٩٦٤م

وكذلك يعرف الذَّوق بأّنه قوة"يُقدر بها الأثر الفني أو هو ذلك الاستعداد الفطرى المكتسب الذي نقدر به الجمال والأستمتاع به ومحاكاته بقدر ما نستطيع فى أعمالنا وأقوالنا وأفكارنا [٢].

ويقول أحمد ضيف : ((ولا يصح أنْ يُبْنى النَّقْد على الأذواق الخاصة لأَنَّ الذَّوق استحسان ما يحبه الإنسان ويميل إليه وهذا غير مايُراد من النَّقْد ، إذ النَّقْد الصحيح تحليل فكر شخصٍ آخر غير فكر القارئي نفسه ، واندماج الإنسان في نفس غيره ليفهمه بفكره ويدرك عقله بعقله، والذَّوق تحليل نفس القارئي وفكره لمناسبة ما يقرأ وبسبب ما يجده مما هو في نفسه فى كلام غيره إذ شعور القارئي بسروره ورضاه عما يقرأ، هو فى الحقيقة ناشىء من أنه وجد ما يحبه وما يميل إليه وذلك شيء من خواص نفسه وميولها الذاتيه فكأنه إنما وجد فيما يقرأ نفسه لا نفس الكاتب وأعجب بميوله وآرائه لا بميول الكاتب وآرائه وأنه وجد إنساناً آخر صور نفسه بالصورة التى هى عليها ووجد أفكاره يعبر عنها غيره فهو إذا فهم ذلك يفهم نفسه)) [٣].

فالذَّوق الأَدبى إذاًهو القوة التى يُقدُر بها الأَدب ، أي بيان قيمة نصوصه ودرجتها كما جاء ذلك فى تعريف النَّقْد ، فكأن الذَّوق هو وسيلة النَّقْد الأَدبي وأداته وهو خلاصة العوامل الفطرية والمكتسبة التى يقوم عليها نقد الأَدب .

ويقول أحمد الشايب : ((والمقرر أَنَّ الذَّوق فى أصله هبة " طبيعية " تولد مع الإنسان فيعبر عنها بصفاء الذهن وخصب القريحة وجمال الاستعداد ، ويظهر أثر ذلك فى ميل الناشيء الموهوب منذ الطفولة إلى كل جميل من الأَدب والفن ومحاولة تقليده ونجاحاً فى ذلك دون غيره ممن سلبوا هذا الاستعداد ، فهم عاجزون عن هذا التذوق عن فهم الجمال ومحاكاته ولكن لا يبلغ بهم الدرس إلى نبوغٍ وإِنْ صقل مواهبهم بعض الشيء)) [١] وعندي أَنَّ تاريخ الذَّوق يوازي تاريخ الأَدب والنَّقْد الأَدبي ، فهى كلها مظاهر فنية متلازمة ، وعن الذَّوق يصدر الأَدب وإليه مرد نقده،

---

[٢] فى علم النفس: ج٣ ص ٣٤٧

[٣] مقدمة لدراسة بلاغة الأدب : ص٩٢

[١] أصول النقد الأدبي: ص ١٢٠

وعلى حسب ما يكون ينشأ الأَدب وتقدر عناصره .وبالنظر إلى التَّوق الأَدبى الأُندلسّي نجد أَنَّ هناك عوامل متعددة قد اسهمت في تحديد مساره وبناء اتجاهاته ومع تباين قوة هذه العوامل ، إلا أَنَّها تلتقي جمعياً في صياغة التَّوق الأَدبي الأُندلسّي وصقله في تيار عكف على القديم ولم ينفر من الحديث، وقد ظل حال التَّوق الأَدبى علّى امتداد القرون الخمسة الأولى من تأسيس الإمارة الأُندلسية ، معادلة بين القديم والحديث، ومزاوجة بين المحافظة والتجديد)) [٢]. فيما يلي نقف بشيءٍ من التفصيل علي أهم العوامل والمؤثرات الرئيسية التي نجحت في تكوين التَّوق الأُندلسّي .

ثانيا :أَثُر الحُكَّامِ مِنْ أُمراء وخُلفاء على الذوق الأَنْدلسّي

يُعد الحكام أبرز المؤثرات التي اسهمت في تكوين التَّوق الأَدبي الأُندلسّي إذ مارس الحكام بذوقهم العربي الأصيل منذ تأسيس الإمارة وحتى بداية القرن الخامس الهجري وصاية على الأَدب، بأَنْ جعلوه يستمد أَنموذجه من أبعاد البيئة العربية وأَعماقها، ساعدتهم في ذلك مواهب أدبية نشأت وترعرعت في منابت الأساليب الأصلية [٣] ، كما ذكرذلك مصطفى عليان.

هذا القول يدل دلالةً واضحةً على أَنَّ تاثير الحكام على التَّوق الأَدبي والنَّقْدي في الأُندلس كان عظيما في الفترة الأَوَّلى من تاريخ الأُندلس،خاصة في عهد الخلافة إلى سقوط قرطبة، حيث أخذت الفتنُ تعصف بالدولة الأُندلسيِة مما أبعد الأَدب عن بلاط الحكام والأمراء وتسبب في كساد أدبي، ولا يعني ذلك نهاية الأَدب بل كان الأَدب موجوداً ولكن انفصل عن الرعاية الأميرية له فكان أمراء الدولة الأموية بـالأُندلس من أهم روافد الثقافة المَشْرِقية بل يمكن القول بأَنَّهم المؤسسون لها ، وفي مقدمتهم مؤسس الدولة عبد الرحمن الداخل الذي ُولد ونشأ في الشرق ، وهو شاعر" مجيد" وناثر" بليغ" ، قال عنه ابن حيان : ((بليغاً مفوهاً وشاعراً محسناً)) [١] وكما ورد وصفه: ((من البلاغة بالمكان العالي الذي يرتد عنه أكثر بني مروان حسيراً))

---

[٢] تيارات النقد الأدبي في الأندلس: ص١٠، ط١٩٨٤م

[٣] تيارات النقد الأدبي فى الأندلس: ط١ ، موسسة الرسالة بيروت .١٩٨٤م

[١] المقبس : تحقيق ملتشور انطونيا ١٩٣٧م

وكان شعره صادق يصور فيه حنينه إلى وطنه الذي فارقه معبراً عن شعوره بالتقريب والنوى عن الأهل والوطن ، نجد ذلك واضحاً في الأبيات التي يتحدث فيها عن نخلة رآها بالرّصافة يقول فيها :

تبدت لنا وسط الرَّصافة نخلة *** تناءت بأرض الغرب عن وطن النخل
فقلتُ شبيهي في التغرب والنوى *** وطول التنائي عن بنيَّ وعن أهلي
نشأتِ بأرضٍ أنتِ فيها غريبة" *** فمثلكِ في الأقصاء والمنتأى مثلى[٢]

وكذلك نجد له نموذجاً آخراً في قصيدةٍ أُخرى يصف فيها انقسامه بين الأُندلس و المَشْرِق إذ يقول :

أيها الرَّاكبُ المُيـَمم أرضي *** أقرِ مِنْ بَعْضِي السَّلاَم لِـ بَعْضي
إنَّ جسْمي كما علِمْتَ بأرضٍ *** وفـؤادي ومالـكيه بأُرْض
قدَّرَ البَيْنُ بَيْتنا فافْتـرقْنا *** وطوى البـُعْدُ عن جُفوني غـمْضي
قد قضى اللَّـهُ بالفراق علَـيْنا *** فعسَى باجتماعنا سـوْفَ يَقْضي[٣]

وإذا تتبعنا مسيرة حكام الدولة الأُندلسية نجدُ أَنَّ عبد الرحمن الداخل والمقلب بصقر قريش قد تمكن خلال فترة حكمه التى امتدت من (١٣٨هـ إلى ١٧٢هـ) الموافق للفترة من(٧٥٥م إلى ٧٨٨م) والتى تقارب ثلاثة وثلاثين عاماً أنْ يبني دولةً قويةً فى الأُندلس نافست بلاد المَشْرِق فى كل مناحي الحياة فارتقت الأُندلس فى مجال السياسة والعمران والعلم والأَدب ووضع اللبنات الأُولى لدولة شهدت فيما بعد نهضة علمية واسعة ، خاصة فى عهد الناصر وابنه الحكم المستنصر فى الفترة مابين (٣٠٠هـ – ٣٦٦هـ) كان من مظاهر الحياة الثقافية فى عهدها كما قال أحمد هيكل : ((اتضاح الشخصية العلمية للأندلس، وساعد على ذلك الوحدة والاستقرار والأمن والرخاء والتحضر والرقي ، كل ذلك من شأنه أنْ يدفع إلى حياةٍ ثقافيةٍ ناهضةٍ ،ويساعد على ظهور مستوى علمي رفيع)) [١].

---

[٢] نفح الطيب: ج٢ ، ص٦٧

[٣] البيان المغرب: ج٢ ، ص٨٩

[١] الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة : ص٧٥

ويُعد عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ – ٣٥٠هـ) العصر الذهبى لهذه الدولة ، فهو أَوَّل من لُقب بأمير المؤمنين فى الأَندلس، يقول ابن عذارى : ((والناصر هو أَوَّل من تسمى بأمير المؤمنين ، وتلقب بأحد الألقاب السلطانية وهو (الناصر) ، ثم تسمى منهم من كان بعده بأمير المؤمنين وآثر اللقب السلطاني، وذلك حين هاجت الخلافة العباسية وضعفت ، فصارت إمرة المؤمنين واثقة بمنصبه وكلمة باقية فى عقبه)) [٢]

حيث بلغت الدولة الأَندلسية فى عهده قمة حضارتها ، وبلغت من المكانة السياسية والعلمية مَكّنْها أنْ تقف على قدم المساواة مع المَشْرِق وغدت قرطبة حاضرة الخلافة الإسلامية فى الأَندلس ، كما وصفها الحجازي فقال : ((وكانت قرطبة فى الدولة المروانية قبة الإسلام ومجتمع علماء الأنام والأعلام ، وبها استقر سرير الخلافة المروانية ، وفيها تمخضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية، وإليها كانت الرحلة فى رواية الشِّعْر و الشُّعَراء ، وكانت مركز الكرماء ومعدن العلماء، وهي من بلاد الأَندلس بمنزلة الرأس من الجسد والزور من الأسد)) [٣].

وضمت مجالس الناصر الصفوة من أهل العلم والأَدب ، وكانت المناقشات التى تدور فيها المعين الذي تستقي منه الحركات الأَدبية والنَّقْديه موضوعاتها.

خلف عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر ابنه الحكم الثاني والذي امتدت فترة خلافته من (٣٥٠هـ – ٣٦٦هـ) الموافق (٩٦١م – ٩٧٦م) وكانت سيرته امتداداً لسيرة أبيه من حيث محبته للعلماء والحرص على اقتناء الكتب ، فقد كان مغرماً بجمع الكتب، يقول فى ذلك الحميدي : ((كان الحكم جامعاً للعلوم، مكرماً لأهلها ، جمع من الكتب المختلفة ما لم يجمعه أحد " من الملوك قبله ، وذلك بإرساله لها فى الأقطار ، واشترائه لها بأغلى الأسعار)) [١]

وكذلك يقول المَقرِّي : ((كان الحكم يبعث فى الأقطار رجالاً من التَّجار ويرسل إليهم الأموال لشرائها حتى جلب منها إلى الأَندلس ما لم يعهده وبعث فى

---

[٢] الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة : ص٧٥

[٣] تيارات النقد الأدبي في الأندلس: ص١٦٢

[١] جذوة المقتبس: ط٤ ، تحقيق لجنة إحياء التراث دار الكتاب العربي ،القاهرة ، ١٩٦٧

كتاب الأغاني إلى مصنفه أبي الفرج الأصفهاني وأرسل إليه فيه بألف دينار من الذهب العين ، فبعث إليه بنسخةٍ منه قبل أنْ يخرجه إلى العراق)) [٢]

وامتلكت الأُندلس فى عهده مكتبةً ضخمةً تضم أربعمئة ألف مجلد، يقول المَقرِّي: ((وقلما يوجد كتاب من خزائنه إلا وله فيه قراءة أو نظر فى أي فن كان، ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ، ويأتى من بعد ذلك بغرائب لاتكاد توجد إلا عنده لعنايته بهذا الشأن)) [٣].

ولعل من أهم الأعمال التي قام بها الحكم المستنصر لإحداث ثورة علمية وأدبية فى الأُندلس توجيهه الأُدَباء والعلماء للتأليف والتوثيق للتاريخ الأُندلسى، معبراً بذلك عن روح وطنيةٍ أندلسيةٍ أصيلةٍ، ورغبة أكيدة فى توليد الثقافة الأُندلسيةِ نفسها إضافةً إلى المنافسة مع المَشْرِق العربى، وقد ظهر ذلك جلياً فى العناية بجمع تراث الأُندلس، وكتابة تاريخها والترجمة للأعلام فى شتى الميادين من شعراء وعلماء وقضاة ونحويين فقد أُلفت خلال تلك الفترة مجموعة" كبيرة" من الكتب فى مختلف ميادين العلم ودروب المعرفة أذكُر منها : كتاب الحدائق لعمر بن أحمد ابن فرح الجيَّانى معارضاً به كتاب الزهرة لمحمد بن داؤد وقد ذكر فيه فقط شعر الأُندلسيين ، وكتاب قضاة قرطبة للحارث الخشيني ، وألف الزبيدي كتابه المشهور فى طبقات النحويين .

إنَّ هذا المسلك الذي سلكه الحكم المستنصر فى خدمة الأَدب الأُندلسي قال عنه إحسان عباس:((بعث فى الأُندلس شعوراً بالثقة، حيث ميزت بين التبعية الكاملة للمشرق ، والاستقلال الذاتي، وساعد على ايجاد الوعي العميق عن طريق المقارنة والمفارقة وهي أَوَّل حوافز النَّقْد)) [١] أما المسلك الثانى الذي اتخذه لتحقيق ذلك الهدف وإحداث ثورة علمية وأدبية فى الأُندلس هو القيام بتشجيع العلماء بالقدوم إلى الأندلس لنشر الثقافة والأَدب، بدليل أنَّه من أبرز الشخصيات الأَدبية واللغوية التى وفدت على الأُندلس هو أبو على القالي ، والذي سوف أبسط القول عنه لاحقاً عند

---

[٢] نفح الطيب: ج٤، ص١١٧

[٣] المصدر السابق : ص١٢٢

[١] تاريخ النقد الأدبي عند العرب " نقد الشعر": دار الأمانة بيروت ،١٩٧١م

الحديث عن دور المؤدبين واللغويين فى إثراء الذّوق والأَدب والنَّقْد الأُندلسّي ومن حكام الأُندلس الذين تركوا أثراً واضحاً فى الحياة الأَدبية.

المنصور بن أبي عامر فى الفترة من (٣٦٦هـ – ٣٩٢هـ) وهى الفترة التى حكم الأُندلس فيها من الناحية الرسمية الخليفة هشام الثاني والذي ُ ويع بعد موت أبيه الحكم المستنصر، أمَّا من الناحية الحقيقية فقد كان الُحكم لمحمد بن أبي عامر،الذي كان يعمل حاجباً للخليفة وتلقب بالمنصور ، ثم لابنه عبد الملك ، الذي خلف أباه فى الحجابة ولِقُب بالمظفر، ثم لابنه الثاني عبد الرحمن الذي عَمِل عمل أبيه وأخيه ولِقُب بالمأمون قال الضبي: ((كان المنصور محباً للعلم مؤثراً للأدب مقدماً فى إكرام من ينسب إليهما ويفُد عليه متوسلاً بهما حظة منهما ، وكان له مجلس معروف فى الأسبوع يجتمع فيه أهل العلوم للكلام فيه بحضرته ما كان مقيماً بقرطبة ، وكان حريصاً على الاستماع لإنشاد الشِّعر فيه)) [٢]

وكان المنصور مولعاً بتقليد الخلفاء والأمراء الأمويين ، بل كان ميالاً إلى منافستهم والتفوق عليهم ، فطال ذلك كل شيء فى مجال الفن والأَدب وحتى العمارة، فقد بني مدينة الزاهرة ، ليقابل بها الزهراء التى بناها عبد الرحمن الناصر ، كما انشأ قصر الُمْنية العامرية ، ليباهي بها قصر ُمْنية الرَّصافة التى انشأها عبد الرحمن الداخل، ومما يدل على حبه للأدب إدخاله صاعداً البغدادي الذي قال عنه الحميدي: ((كان عالماً باللُّغة والأَدب والأخبار، سريع الجواب ، حسن الشِّعر، طيب المعشر، فكه المجالس ممتعاً ، فأكرمه المنصور وزاد فى الإحسان إليه، والإفضال عليه))[١]، لأخله ليُخمل به ذكر القالي من باب التقليد والمنافسة لسابقيه ، فعرض عليه أنْ يؤلف كتاباً على غرار أمالى القالي.

فثار ذلك كبرياء صاعد ووعد المنصور بكتابٍ أجلَّ منه وأعظم ، لا يرد فيه خبر" مما ذكره القالي ، يقول الحميدي فى ذلك ((وجمع أبو العلاء للمنصور محمد بن أبي عامر كتاباً سماه الفصوص فى الآدَاب والأشعار والأخبار، وأمره المنصور

---

[٢] تيارات النقد الأدبي في الأندلس: ص١٣٢

[١] جذوة المقتبس: ط٤ ، تحقيق لجنة إحياء التراث دار الكتاب العربي القاهرة ، ١٩٦٧

أن يُسمعه النَّاس بالمسجد الجامع بالزاهرة فى سنة خمس وثمانين وثلثمئة ، واحتشد له من جماعة أهل الأَدب ووجوه النَّاس أمة)) [٢]

وبعد سقوط الدولة العامرية فى عام تسعة وتسعين وثلثمئه وحتى قيام الحكم الجمهوري فى عام اثنين وعشرين وأربعمئة عاشت الأُندلس فتنة طاحنة ، كان من آثارها أن قتُل كثير" من الأُندلسيين وتفككت وحدتهم وتصدعت قوتهم وأهدرت قيمهم، ذلك لأنَّ السلطان أصبح موضع نزاع بين الأمراء الأُمويين، ثم بينهم وبين الرؤساء البربر من جانب آخر وهى الفترة التى سماها أحمد هيكل بفترة الفتنة بقوله: ((ليس لهذه الفترة طابع سياسي أصدق مما وصفت به كم أنها فترة الفتنة))[٣] فقد حكم الأُندلس خلال تلك الحقبة الزمنية القصيرة (٢٣سنة) حوالي أربع عشرة خليفة من الأمويين والبربر، قضت تلك الفتنة على العمران ، والوحدة السياسية وامتدت إلى الأَدب فخلفت مجتمعاً قلقاً مضطرباً اختلت فيه المقاييس الأَدبية والنَّقْدية وظهرت طبقة ممن يدعون المعرفة والثقافة مما أدى ذلك إلى نقمة الشُّعَراء على أوضاعهم ، فكثرت الدسائس والوشايات والخصومات فالعداوات فما عادت الساحة السياسية والأَدبية تسع الجميع ، وكان أهل الأَدب أشد تنافساً بعد أنَّ ضاقت بهم الحياة ، فتنافسوا على العطاء الجزيل الذي يكفل لهم رغد العيش، ويقول فى ذلك ابن حيان: ((عندما جاء المستعين إلى السلطة ، اغتنمته شعراء العامرية والدولة الأموية ، وقد نسجت على أفواههم ومحاربهم العناكب أيام الحروب والفتن، واشتدت فاقتهم ، وجمعت طباعهم وكانوا كالبزاة الفذة الجياع ، انقضت لفرط الضرورة على الجرادة فلم يبل صداهم، ولا سد خلتهم لاشتغاله بشأنه ، واشتداد حاجة سلطانه)) [١].

هذا التصور يبين لنا حالة الأَدب و الشُّعَراء خلال تلك الفترة، وإنَّ معظم ما تم أنتاجه من أدبٍ ونقدٍ وشعرٍ كان بعيداً عن التشجيع الرسمى من الدولة ، وإنَّما كان بدافع الظروف الاجتماعية والسياسية، على الرغم من أنَّ تلك الفترة قد شهدت ظهور

---

[٢] جذوة المقتبس : ص٩٥

[٣] الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافه: ص٦٨

[١] أعلام الإعلام: ص٥٩ ، تحقيق ليفي بروفيسال دار الكشوف بيروت ، ١٩٥٩م

أعظم الشخصيات النَّقْدية التى عرفتها الأَندلس مثل ابن شُهَّيْد وابن حزم ، وأحسب أنهما كانا يسيران بقوة الدفع المستمدة من الدولة العامرية .

نتج عن تلك الفتنة تقسيم الأَندلس إلى عدة دويلات وطوائف ، وأصبح لكل حاكم إدارة وجيش وحياة فكرية وأدبية شبه مستقلة وأصبح لكل أمير شعراء يجمعهم حوله بغرض منافسة غيره من الأمراء، هذا التنافس خلق نوعاً من الرعاية والاهتمام بالأَدباء والأَدب خاصة فى بلاط بني عُبَّاد فى إشبيلية متمثلة فى المُعْتضد وابنه المُعْتمد بن عَبَّاد ، وتجمع حولهما أعظم شعراء العصر أمثال ابن زيدون، وابن عمار، وابن اللبانه ، وابن عبد الصمد وعبد الجليل بن وهبون.

يقول إحسان عباس: ((لا ريب أنَّ هذه الصبغة الشِّعْرية هى التى تجعل حظ إشبيلية مثل حظ أختها قرطبة فى العصر السابق ، هذا إلى جانب ضروب أُخرى من التشجيع الأَدبي. فللمعتضد ألَّفَ الأعلم الشنتمري شرح الأشعار الستة، وشرح الحماسة ، وباسمه طرز ابن شرف تأليفه المسمى أبكار الأفكار)) [٢] .

وعن المُعْتَضد يقول ابن بسام : ((كان ذو الوزارتين أبو القاسم ابن عَبَّاد ممن له فى العلم والأَدب باع ، ولذوي المعارف عنده بها سوق وارتفاع ، وكان يشارك الشُّعَراء والبلغاء فى صنعة الشِّعْر وقول البلاغة ، بسطاً لهم ، وإقامة لهم))[٣]، وأدى المُعْتضد دوراً كبيراً فى تهيئة مُناخ المنافسة بين الشُّعَراء والكُتَّاب، من ذلك ما يُروى عنه عندما أنشده حبيب الحمَوِيّ موحية دبَج صدرها بمقدمة رَوْضيَّةٍ ، ضادية الرَّويِّ يحاكي بها قصيدةً للفقيه أبي الحسن بن علي ... حيث أمر باحضار كلٍّ من : أبي بكر ابن القُوطيَّة وأبي جعفر الأبَّار .. وغيرهما وأمرهم بمعارضتها ، انتقل الأمر من بعده إلى ابنه المعتمد الشاعر المعروف . وكان رغم انشغاله بالحروب لكنه قد أَوَّلى الأَدب اهتماماً كبير ، قال عنه ابن بسام: ((كان متمسكاً من الأَدب بسبب ، وضارباً فى العلم بسهم ، وله شعر كما انشق الكمام عن الزهر ، ولو صدر مثله ممن جعل

---

[٢] تاريخ الأدب الأندلسي عصر ملوك الطوائف والمرابطين : ص١٤٧، ط١٩٦٠م، دارالثقافة بيروت

[٣] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ج١ ، ص٤ ،تحقيق لطفي عبد البديع الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٥م

الشِّعْر صناعة واتخذه بصناعة لكان رائعاً معجباً)) [1] ومن أجمل وأرق الشِّعْر الذي صدر عنه ما قاله أيام سقوط وانهيار سلطانه فى اشبيلية إذ يقول :

لمَّا تماسكت الدُّموع" *** وتنبَّه القلبُ الصديعُ

قالوا الخضَوعَ سياسية *** فليبد منك لهم خضوع

وأَلَذّ من طعْم الخُضُوع *** على فمي السلُّ النقيع

وبانهيار عرش بنى العباد في إشبيلية توالى سقوط دويلات الأُندلس واحدة تلو الأخرى في أيدي المرابطين ، ويمثل سقوط المعتمد في إشبيلية وأفول نجمه في نظر الكثيرين نهاية البطل الحامي للأدب و الشِّعْر.

يقول إحسان عباس:((وربما لم نجد في الشِّعْر الأُندلسّي عاطفة أعمق غوراً ، وأشد لهباً عاطفياً ، من تلك القصائد التي قالها ابن اللبانة وابن حمديس وابن عبد الصمد في نكبة المُعْتمد)) [2].

ومن أمثلة ذلك قصيدة ابن اللبانة التى يقول : [3]

أنفض يديك من الدُّنيا وساكنها *** فالأرض قد أقفرت والنَّاسُ قد ماتوا

وقل لعالمها السفلي قد كتمت *** سريرة العالم العلوي أغمات

طوت مظلتها لا بل مذلتها *** من لم تزل فوقه للعز رآياتُ

ومثل ذلك قصيدة أبي بكر بن عبد الصمد التى قالها: ((عندما زار قبر المعتمد فى يوم عيدٍ فطاف بالقبر والتزمه ، ثم خَرَّ على تربه ولثمهوأنشد قائلاً)) [4].

ملك الملوك أسامع" فأنادي *** أم قد عدتك عن السماع عوادي

لما خلت منك القصور ولم تكن *** فيها كما قد كنت في الأعياد

أقبلت في هذا الثرى لك خاضعاً *** واتخذت قبرك موضع الإنشاد

قد كنت أحسبُ إنْ تبدد أدمعي *** نيران حزن أضرمت بفؤادي

---

[1] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ج١ ، ص٤

[2] تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف ، ص١٥١

[3] قلائد العقبان : ص٢٩، تحقيق محمد العقاني ،ط١٩٦٦م المكتبة العتيقة

[4] المصدر السابق: ص ٣١

فموت المعتمد كانت نهاية الرعاية الرسمية للأدب و الشِّعر، وهكذا كان موقف الحكام والأمراء من الحركة العلمية والأَدبية في الأُندلس منذ تأسيس الدولة إلى بداية القرن السادس الهجري الذي عنده سقطت الأُندلس في أيدي المرابطين، ويتبين منه أن الحكام من لدن عبد الرحمن الداخل وحتى المعتمد بن عَبَّاد قادوا الحركة الأَدبية مستعينين بعلماء اللغة الَّذين أخذوا الأَدب في مصدره بـ الَمشْرِق ، فكانت مجالسهم تضم كبار الشُّعَراء والأُدباء والنُّقَّاد .

ثالثاً : أثَر عُلماءِ اللُّغة والمُؤدِبين

يأتي أثَر اللُّغويين والمؤدبين في التَّوق الأَدبي الأُندلسّي في المرتبة الثانية بعد الحكام ، فإنَّ الصله بين اللغة والأَدب والنَّقْد تنصبُ معظمها على صحة النَّصِ الأَدبي ، لأنَّ النص لا يمكن وصفه بالجمال ما لم تتحقق له الصحة أَوَّلاً ، فإن لم نهتم بالبناء اللغوي السليم لا يمكن أنْ نصل إلى الفهم الصحيح للنص الأَدبي.

لذلك كان لعلم اللغة دوره البارز وأثره الفاعل في سياق النص وتركيب جمله، وأسلوب أدائه، وملاءمته ولأحوال متلقيه لأن الهدف من العمل الأَدبي هو إيصاله وإبلاغه لسامعيه لذلك يجب أنْ تكون هذه الرسالة واضحة خالية من الأخطاء صحيحة التركيب حتى لا تفقد أثرها الإتصالي وتأثيرها الفني يقول تّمام حسان : ((إنَّ مخاطبة التَّوق الفني للسامع أو القاريء بقصد استنباط المشاركة الوجدانية ، تتطلب من الأديب أنْ يجنَد كل قدراته اللغوية في جميع النواحي بدءاً بالأصوات واختيار الكلمات المناسبه ذات الجرس والتأثير الموسيقي التي تتناسب مواقعها من اللفظ وقسطها من المعنى))[1]، ويؤكد ابن خلدون أهمية اللغة للأديب بقوله : ((...وأكثر ما يحتاج إليها الأديب في نفي نظمه ونثره، حذراً من أنْ يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها، وهو أشدُّ من اللحن فى الإعراب وأفحش)) [1].

فكان علماء اللغة في الأُندلس بدافع الحرص عليها يقفون بالمرصاد للأخطاء التي تصدر من الأَدباء والشُّعَراء في وقت أسندت إليهم مهمة تعليم التلاميذة وتثقيفهم بلسان العرب وأدبهم، وكان بعضهم يجمع بين علوم الدين واللسان

---

[1] اللغة العربية والنقد : مجلة فصول : ج٤ ، العدد الأول ص١١٦ ، ديسمبر ١٩٨٣.

[1] مقدمة إبن خلدون: ص٥٥٠ .

مما جعل سلطانهم واسعاً وعلمهم أشد عمقاً وأثراً ، وقد قامت طبقة المؤدبين والمعلمين ممن ارتحل إلى الَمشْرِق وأخذ ممَّا فيه من علم وأدب بدور كبير في قيادة الحركة الأَدبية والنَّقدية في الأُندلس وترك أثراً بارزاً في توجيه التَّوق الأَدبي ، فالفضل يرجع إلى هؤلاء اللغويون وأَوَّلئك المؤدبين في نقل ضروب الثقافة الَمشْرِقية وإدخالها بلاد الأُندلس متمثلة في كتب اللغة ودواوين شعرية، وهم الَّذين يشرحون الشِّعْر لطلابهم ، ويوضحون معانيه ويتتبعون ما فيها من مآخذ لغوية ونحوية وفي مجالسهم الأَدبية هذه تكونت النواة الأَوَّلى للحركة النَّقدية بالأُندلس.

يقول محمد رضوان الداية:((وكانت اهتماماتهم العربية ذات وجهين: الأَوَّل، ضبط اللغة وروايتها ونقل كتبها المعتمدة من الَمشْرِق مع دراسات نحوية وصرفية . والثاني : رواية الشِّعروالوقوف عليه تدريساً وشرحاً وتوثيقاً)) [٢].

وكان طبيعياً أنْ تُعنى الأندلس بقيام مؤدبين على تعليم الناشئة الفصحى وقواعدها من مصادرها الأَوَّلية وبدأ ذلك في القرنين الثاني والثالث للهجرة فكان دورهم فى تثقيف التَّوق الأَدبي لا يمكن إنكاره.

ومن خلال تلك الرحلات العلمية بين الأُندلس و الَمشْرِق ، وفدت إلى الأُندلس مجموعة من الدواويين الشِّعْرية التى تعد من أهم الأدوات والوسائل التى ساعدت الأُندلسِيين على استعادة العبارة الشِّعْرية واستحضار ذاكرة الشِّعْر العربى، لأنَّ الشاعر الأُندلسّي في بداياته لم يكن شديد التمكن من العبارة الشِّعْرية التى يمتلكها الشاعر الَمشْرِقي لأنَّ الشِّعْر الأُندلسّي قد عانى من الأنقطاع عن تاريخ الأدب العربي في مرحلة الفتح الإِسلامى نسبة لانشغال القادمين آنذاك ببناء الدولة مما أدى ذلك إلى تأخر ظهور الشِّعْر وكذلك النَّقْد الذي يرتبط وجوده بوجود الشِّعْر وهو تالٍ له.

وبعد أنْ تأسست الحياة الأُندلسِية التفت الأَدب إلى الشرق ليأخذ بيده عندما لم يجد بالأُندلس جزوراً يستند إليه واستمر الأَدب الأُندلسّي يستمد طاقته من الَمشْرِق إلى أنْ تمكن في القرن الرابع وقوي عوده وظهرت فيه الذات الأُندلسِية ومن هنا

---

[٢] تاريخ الأدب في الأندلس :ص٦٠،ط١٩٨٦م بيروت

بدأت مرحلة جديدة من الأَدب الأُندلسّي استمرت حتى بعد انقطاع المد الشرقي عنه، والمَقرِّي يرصد لنا عدداً كبيراً من العلماء الَّذين قاموا بتلك الرحلات المتبادلة بين الأُندلس و المَشْرِق منهم أبو المطرف عبد الرحمن بن عثمان (ت ٣٥٠ هـ) الذي كان نحوياً لغوياً فصيح اللسان ، شاعراً مجوداً ، أكثر شعره على مذاهب العرب، وعباس بن ناصح الجزيري الذي جمع إلى جانب العلم باللغة فصاحة في الشِّعْر واللسان، والغازي بن قيس (ت١٩٩هـ) الذي رحل إلى المَشْرِق والتقى الأصمعي، وأخذ عن مالك الموطأ في الفقه ، ومنهم الهواري صاحب كتاب القراءات وجودي النحوي الذي أدخل إلى الأُندلس كتاب الكسائي ، وعثمان بن المثنى ابن الأعرابي الذي لقي أبا تمام وأخذ عنه ديوانه ، وغيرهم كثر.

وقد لعبت هذه الفئة من اللغويين دوراً بارزاً فى العناية باللُّغة وفصاحة التركيب تعريفاً وتعليماً يقول مصطفى عليان : ((وركز اللغويون عملهم في تنمية الذَّوق الأَدبي على طريقة العرب ، لأنَّ لذلك ما يبرره من تبنيهم الحفاظ على الأداة العربية ، وكان من الممكن أنْ يبقى هؤلاء اللغويون ذوي التوجيه الرئيسي في الذَّوق الأَدبي نحو طريقة العرب لولا ثنائية التعليم التى عني بها كثير" منهم ، إذ حرصوا على إحضار شعر المحدثين إلى الأُندلس خاصة شعر أبي تمام ومسلم))[1].

المَبْحَثُ الثَّانِي

المؤثراتُ المَشْرِقيِّة على الذَّوقِ الأَدبي الأَنْدَلُسيِّ

أَوَّلاً : أثر أبي تمَّام وأبي علي القالي

أ- أثر أُبي تمَّام:

أبو تمام حبيب بن أوس (ت ٢٣١ هـ) من الشخصيات الأَدبية التى أثارت حركة الأَدب والنَّقْد في الأُندلس في القرن الرابع الهجري فقد دار حوله صراع كبير أساسه التعصب للقديم ورفض الحديث، فهو على رأس من ساروا في المَشْرِق فى الاتجاه الشِّعْري المحافظ الجديد كرد فعل للاتجاه المحدث الذي تزعمه أبو نواس،

---

[1] تاريخ النقد الأدبي في الأندلس : ص٢٥٠

كان عالماً بـ الشِّعْر وقف على كثير من ثقافات عصره ، وعُرف عنه الغوص على المعانى وكثرة استخدام البديع الذي عابه عليه قوم" وأيده آخرون ، أكثرالنُّقَّاد في عدِّ عيوبه وقارنوه بالبحتري وتمخض عن ذلك تأليف كتب في النَّقْد أهمها كتاب البديع لابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) والذي يعتبر النواة لعلم البلاغة العربية، وفيه أكد ابن المعتز أنَّ البديع شيء" لم يخترعْه أبو تمام وإنما أكثر منه .

يقول مصطفى عليان: ((حظي أبوتمام في بيئةقُرطبة اللُغوية بعنايةٍ بالغةٍ، إذ أدخل شعره إلى الأُندلس عثمان بن المثنى بعد أنْ لقيه في رحلته وقرأ شعره عليه، الأمر الذيدفع باللّغويين والمؤدبين إلى تلقفه وتبنى تعليمه ، فأضحى يُقرَأ فى حلقات التأديب والتعليم))[1]، هذا يعني أنَّ اللّغويون والمؤدبين أنفسهم عكفوا على دراسة شعر أبي تمام ثم تعهدوا بتدريسه لتلاميذهم فى حلقات الدراسة مما يدل على أنَّ شعر أبيتمام قد لقي قبولاً منقطعاً فاتخذوه مادة للدراسة ومنهجاً يسيرون عليه ، فشكل بذلك رافداً قوياً من روافد تغذية التَّوق الأَدبي الأُندلسّي ، وعُرف بذلك أبو عبدالله القالي الذيكان يُقرأ عليه شعر حبيب، وعنه أخذ أبو العباس الطبيخي، فجمع إلى شرحه على شعر صريع الغواني شرحاً مبسطاً قريباً لشعر أبي تمام وعُرفتْ بعد ذلك طبقة"ذات بُصَير بشعر أبي تمام أبرزها ابن الأصفر[2].

ويقول إنه من حول هذه الطبقة تبلور التَّوق الأَدبي المُحْدَث فى الأُندلس بلورة جزئية ، وأصبح مقياس تقديم الشِّعْر عندها ومعياره هو غرابته وحسن معناه على طريقه مدرسة أبي تمام الشِّعْرية وإنَّ شعر أبي تمام الذي وصف فيه القلم لا يتقدم عليه متقدم ولا يفضله ولا يفضله متأخر[1].

ومن الأدلة التى تشير إلى طغيان أثر أبي تمام في التَّوق اللأدبي الأُندلسّي القصيدة التى نسجها ابن عبد ربه في وصف القلم والذي نحا فيها منحى أبي تمام من حيث غوصه فى المعاني ، كما أنبرى لمعارضته عدد" من شعراء الأُندلس فقد لاقت قصيدة أبي تمام التى يصف فيها الربيع والتى مطلعها :

---

[1] تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ص٢٥١

[2] الذوق الأدبي: ص٢، ترجمة على الجنى ط١ ، مكتبة نهضة مصر القاهرة١٩٥٧م

[1] طبقات النحويين واللغويين : ص٨٣٣ ،تحقيق محمدأبو الفضل إبراهيم،ط٢ القاهرة ١٩٥٤م

رَقّتْ حواشي الزهرِ فهي تَمُورُ *** وغدا الثرى في حَلْيِهِ يتكسَّرُ [٢]

تداولاً بين شعراء الأُندلس ، فقد عارضها أبوبكر نصر الكاتب بقصيدة جاء موافقاً فيها لأبي تمام في بعض معانيه كقوله :

خَضِلٌ" بريعان الرَّبيع وقد غدا ***للِعين وهو من النَّضارة مَنْظَرُ [٣]

الذي هو قول أبي تمام :

دنيا مَعاشُ للورى حتى إذا *** حَلَّ الربيع فإنما هي منظرُ [٤]

وكذلك تأثر أبوبكر في قوله :

وكأنمَّا تِلك الرياضُ عرائسُ ***مَلْبُوسُهنَّ مُصْفَرٌ ومُزَعْفَرُ [٥]

بقول أبي تمام:

مُصْفَرَّةٌ مُحَمَّرة فكأنَّها *** عُصَبٌ" تَيَمَّنُ في الوغى وتمضَّرُ [٦]

ويرى بعض الباحثين أنَّ طغيان تأثير أبي تمام في التَّوق الأُندلسّي لم يجاوز الميل البكر ومرحلة النشؤ ، فسرعان ما انحسر ظله ، حين بدأ الأُندلسيون يلتفتون إلى بيئتهم ويستهلون معانيها في أنغام شعرية ثرَّة بالصورة الطبيعية التى غدت شارةً مميزة في أدبهم شعراً ونثراً ، ولعل مما يعزز تأثير أبي تمام المحدد في مرحلة نشوة التَّوق الأَدبي ، الأقبال على حماسته بالشرح والتعليق ، ولئن دل ذلك على شيء فإنَّما يدل على الإعجاب بشعر الحماسة الذي يجري على مذهب مغاير لمذهب أبي تمام في شعره[١].

ب- أثَرُ أبي علي القالي على التَّوقِ الأَدبي الأَنْدلُسي:

أوردتُ في موضع سابق بأنَّ اللغويين والمؤدبين في حلقاتهم التعليمية ورحلاتهم إلى الشرق يمثلون أحد الروافد البارزة في تنشئة التَّوق الأَدبي الأُندلسّي ونمائه على مذهب العرب وطريقتهم ، وتقابل تلك الرحلات الشرقية هجرات معاكسة إلى الأُندلس

---

[٢] ديوان أبي تمام : ص١٧٠، تحقيق محمد عبده عزام دار المعارف ١٩٧٩م

[٣] تيارات النقد الأدبي في الأندلس: ص١٦

[٤] ديوان أبي تمام : ص١٧٣

[٥] مذاهب النقد وقضاياه : ص ٦٧ ، القاهرة ١٩٧٥م

[٦] ديوان أبي تمام : ص٢١١

[١] تيارات النقد الأدبي في الأندلس: ص١٦

فكانت بمثابة الرافد المعادل في هذا المجال ، وقد حدثت تلك الهجرات نتيجة لتشجيع بعض الحكام للعلماء بالقدوم إلى الأُندلس لنشر الثقافة الأَدبية ، ومن أبرز الشخصيات الأَدبية واللغوية التى وفدت على الأُندلس أبو علي إسماعيل بن القاسم ابن عيذون بن هارون القالي الذي تتلمذ فى العراق لأشهر مشايخة البصريين وتأثر بطريقتهم في النحو واللغة يقول الضّبي : ((وصل القالي إلى الأُندلس في سنة ثلاثين وثلاثمئة في أيام عبد الرحمن الناصر ، وكان ابنه الأمير أبو العاصي الحكم بن عبد الرحمن من أحب ملوك الأُندلس للعلم وأكثرهم اشتغالاً به ، وحرصاً عليه ، فتلقاه بالجميل وحظي عنده وقربه وبالغ في إكرامه ، ويقال هو الذي كتب إليه ورغبه في الوفود عليه.)) [٢] وقد ترك القالي أثراً كبيراً في توجيه التّوق الأَدبي الأُندلسّي بما القاه من علوم وما قام به من تعريف الأُندلسيين بأدب المشارقة ولغتهم وما أدخله من دواوين شعرية عرف بها أدباء الأُندلس التَيَّارات الشّعرية المختلفة في المَشْرِق. ذكر أبوبكر محمد بن خير ، وكذلك المَقرِّي أنَّ أبا علي القالي نقل معه إلى الأُندلس مجموعة شعرية ضخمة بلغت سبعة وسبعين من الدواوين ، وسبعاً من القصائد، وهذا العدد سوى ما تزايد عنه وأخذ منه في القيروان أثناء عبوره إلى الأُندلس.

فمن الدواوين الجاهلية : ديوان النابغة الذبياني، علقمة بن عبده التميمي، الأعشى ميمون قيس ، عروة بن الورد ، المثقب العبدي ، مالك بن الريب المازني، أوس بن حجر التميمي ، الأفوه الأودي ، زهير بن أبي سلمى ، عبيد بن الأبرص ، المرقشين ، سلامة بن جندل ، قيس بن الخطيم، امرىء القيس ، دريد بن الصمة ، طرفة بن العبد وعنترة ، بشر بن خازم ، المتلمس الحارث بن حلزة، لبيد بن ربيعة . ومن المخضرمين والإسلاميين : ديوان الخنساء، الخطيئة، معن بن أوس، النابغة الجعدي، عدي بن زيد ، زيد الخيل ، سُحَيْم عبد بنى الحسحاس. حميد بن ثور الهلالي ذي الرمة، توبة بن الحمير الخفاجي، العجاج بن رؤبة وابنه رؤبة، الراعي، ليلى الأخيلية ، جميل، عمرو بن أحمد الباهلي ،حسان بن ثابت، الأحوص ، مزاحم العقيلي، الفرزدق، الأخطل، جرير، كعب بن زهير، عمر بن أبي ربيعة [١].

---

[٢] جذوة المقتبس : ط٤ ، تحقيق لجنة إحياء التراث دار الكتاب العربي القاهرة ، ١٩٦٧

[١] فهرسة بن خير : ص٣٩٥ – ٣٩٦ تحقيق فرنستكه وتلميذه ، ط ، مكتبه المثنى بغداد ، ١٩٦٣م

ومن شعر المحدثين : شعر أبي نواس ، وجزء من شعر أبي تمام ، شعر أبي الطيب المتنبي ، شعر ابن المعتز وترسيله وفصوله ، وشعر الصنوبري[٢] . وقد اختار من القصائد عيونها فحمل معه قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة لقيط بن معمر الأبادي، مقصورة ابن دريد والمربعة وابن دريد ، قصيدة كعب بن زهير في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقصيدة الفرزدق ((هذا الذي تعرف البطحاء وطأته)) والقصيدة اليتيمة لذي الرمة ((هل بالطلول لسائل ردُّ)) ثم يقول: ((وكان هذا الشِّعْر مما قرأه موثقاً على نفطوية وابن دريد من شيوخه وأساتذته ، وكذلك حمل من كتب الأخبار ثمانية وعشرين جزءاً من أخبار نفطوية وأخبار ابن الأنباري وخمسين جزءاً من أخبار بن دريد والأخبار المنثورة للصولي، وكتاب الآداب لابن المعتز ، والأمالي لنفطوية[٣].

بالنظر في هذه القائمة يظهر لنا ميل أبي على القالي الواضح إلى طريقة العرب إذا قارنا دواوين القدماء من جاهليين وإسلاميين التى قام بنقلها بدواوين المحدثين ، ولاغرابة فى ذلك فهو تلميذ" للرواة المشارقة الذين وقفوا من الشِّعْر المحدث موقفاً عنيفاً وحذراً ، وهو نفسه يقرُّ بذلك مبيناً اتجاهه في قوله : ((إِنَّ علمي علم رواية وليس بعلم دراية فخذوا عني ما نقلتُ)) [١].

يقول إحسان عباس : ((لم يقتصر طموح القالي على هذه الكتب في صقل الذَّوق الأُندلسّي، بل عمد إلى تعهد تلامذته بالدربة في دروسه بجامع الزهراء ، وكانت هذه الدروس بمثابة الدعوة إلى إعادة النظر في طبيعة الذَّوق الذي كاد أنَّ يتبلور في الأُندلس أو هو محأَوَّلة لتركيز مذهب العرب وطريقتهم في الأُندلس عن طريق التأثيرالأَدبي)) [٢] وكان كتابه " الأمالي " الذي أملاه على طلابه متنوع المادة، فأورد فيه ما يتعلق بلغة العرب شرحاً وبياناً كما أورد طائفةً من الأمثال والأشعار والأقوال ، إلى جانب ما ذكره من غريب اللغة ، فجاء كتاب مستوعباً لجملة من

---

[٢] فهرسة بن خير : ص٤٠٨

[٣] المصدر السابق نفسه: ص٤٠٠

[١] الذخيرة : ق١ م١ ، ص٤

[٢] النقد الأدبي في الأندلس:ج٤ ، ص٥١١

الفنون ، وكان قدومه إلى قرطبة فاتحة عهد لغوى جديد كما كان أسلوبه الذي سلكه في التعليم هو الطريق الذي اتبعه المعلمون من بعده .

نخلص من هذا العرض إلى أنَّ القالي قد سار على نهج مدرسة الرواةُ في تثقيف الذَّوق الأَدبي للمتأدبين في الأُندلس، وقد لخصَّ ذلك الأصمعي في قوله : ((لا يصير الشاعر في قرض الشِّعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار ويعرف المعاني، وتدور في سامعه الألفاظ)) [٣] .

يقول مصطفى عليان: ((وعلى الرغم من أنَّالقالي لم يدخر جهداً إلاَّ بذله في رفد الذَّوق الأَدبي الأُندلسّي فإنه لم يستطع أنْ يحدد مسار الشِّعر الأُندلسّي تحديداً نهائياً في القرن الرابع الهجري نحو مذهب العرب الذي كان مأخوذاً به إلا أنَّ له الفضل في حفز هذا المذهب عند تلامذته بشكل خاص مثل الزبيدي في مرثيته له التي جرى فيها على طريق فحول العرب، وكذلك تحديده طريقة الشُّعَراء فيه في القرن الخامس الهجري)) [٤].

يقول المَقرِّي ((وقد ظل القالي ومنهجه أثيراً في الأُندلس ، فقد طمع المنصور ابن أبي عامر أنْ يقفي بصاعد اللغوي على أثار أبي علي ، وقد فاخر به ابن حزم المشارقه خاصه المبرد في كتاب الكامل بقوله : ((ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً فإنَّكتاب أبي علي لأكثر لغة وشعراً)) [١].

وحمد بن خلدون ذلك بقوله : ((وسمعنا من شيوخنا في مجال العلم أنَّ أصول هذا الفن أربعة دواوين هي أدب الكاتب لابن قتيبة ، والكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي ، وما سوى ذلك هذه الأربعة ، فتبع لها فروع عنها)) [٢].

ثانياً : أثُر المتنبي وأبي العلاء المعري

أ-أثُر المتنبي:

---

[٣] العمدة : ج١ ، ص١٩٧

[٤] تيارات النقد الأدبي في الأندلس : ص٢٩

[١] نفح الطيب : ج٤ ، ص٩٤

[٢] مقدمة إبن خلدون : ج٤ ، ص١٢٦٧ – ١٢٦٨.

المتنبي هو أحمد بن حسين بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفي الشَّاعر المعروف الذي عاش في الفترة ما بين (٣٠٣-٣٥٤هـ) الموافق (٩١٥-٩٦٥م) وتُعدُّ البيئة العلمية الأُندلسيةِ في القرن الرابع الهجري من أقدم البيئات اتصالاً بشعر المتنبي ، إذ عرفته في وقت مبكر وذلك بوسائط متعددة ، فقد نقله إليها أَوَّل مرة زكريا بن بكر المعروف بابن الأشيج (ت ٣٩٣ هـ) وهو جزائري وكان قد وصل للمشرق طلباً للعلم فلقى المتنبي في مصر وأخذ عنه شعره رواية وقد ذكر ذلك ابن الفرضي أنَّ زكريا بن بأبي الطيب خلال إقامته في مصر، ودرس عليه ديوانه ، ثم رحل إلى الأُندلس فأذاع هذا الديوان في المجتمع الأُندلسّي ، غير أنَّ الرواية المشهورة لشعر المتنبي في حلقات الدرس بـالأُندلس كانت رواية العالم اللغوي الشاعر الحسين بن الوليد المعروف بابن العريقات وكان دخول ديوان المتنبي قبل قدوم القالي للأندلس[٣].

وقد قدم الأُندلسيون على شرح ديوان المتنبي ولقي شعره عناية خاصة بينهم إذ أثرعنهم عدد" من الشروح منها شرح ابن الإفليلي الذي رحل قبل أنْ يتمه، فاتمة تلميذه الأعلم الشنتمري وقد كان كل منهما معجباً بالمتنبي فلا يتعقب سقطاته بالانتقاد والتهويل، ثم شرحه ابن سيده، وهو شرح" جزئي يعني بأبيات المعاني، عنوانه شرح مشكل أبيات المتنبي، وكذلك من الشروح شرح البطليوسي والقرطبي وغيره، وإِنَّ هذا الإقبال الكبير من الأُندلسيِين على شرح ديوان المتنبي دليل على قوة تأثيره في الشُّعَراء الأُندلسيِين وتوجيه الذَّوق الأَدبي الأُندلسّي في وقت مبكر.

وقد ذكر ابن بسام [١] الذي قسم كتابه الذَّخيرة وفق بيئات جغرافية ثلاثة في الأُندلس، أنَّ شرق الأُندلس أكثر الأقاليم الأَدبية تأثيراً بشعر المتنبي، فقد قام أمراء شرق الأُندلس باستقطاب المبدعين وحملة العلم وإيوائهم عندما تبدلت الأمور وساءت الأحوال وزادت العناية بشعر المتنبي بظهور كبار الملوكالَّذين تحتاج وقائعهم إلى من يخلدها بشعر يكون بمستوى شعر المتنبي فظهر ابن هانئ متنبي الأُندلس مع المعز الفاطمي .

---

[٣] تاريخ علماء الأندلس : ص١١٧، ترجمة رقم ٤٥٥،ط ١٩٦٧م الدار المصرية

[١] الذخيرة :ج٢، ص١٤٠

وذكر المَقرِّي[٢] :أنَّ المعتمد بن عباد من المولعين بشعر المتنبي وقد ظل يردده ويستحضره دائماً ، ومن ذلك حرصه على تكرار إنشاد بيتٍ له أَعجب القدماء به يقول فيه (من الطويل):

أزورُهم وسوادُ الليلِ يشفعُ لي *** وأنثني وبياضُ الصُّبْحِ يُغْري به [٣]

وأورد ابن بسام [٤] أنَّ المظفر بن الأفطس كان حريصاً على أنْ تاتي أشعار بلاطه محاكية لشعر المتنبي ، محتذ به حذوه، فقال : ((من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي، فليسكت)) .

وكذلك ذكر ابن بسام[٥]:((أنَّه ممن عارض المتنبي من الشُّعَراء الأُندلسيين ابن هانئ الذيكان يُعرف متنبي المغرب، والأعمى التطليلي وابن درَّاج القسطلي الذي كان بصقيع الأُندلس كالمتنبي بصقع الشام وكان يجيد ما ينظم، وأُطلق عليه متنبي المغرب لمشابهته للمتنبي في إحكام لغته الشِّعرية وجلال أفكاره ومعانيه ورصاته حكمته ونفاذ رأيه.

وقد ظل الربط بين المتنبي وابن درَّاج من ذلك الوقت قائماً إلى عصرنا هذا ، حيث وصف أحمد الأمين [١] ابن درَّاج بإحتذاء المتنبي وتقليده وقال محمود علي مكي: ((إِنَّ الذي يقرأ شعر ابن درَّاج في القائد العامري لا يملك تفكيره من أنْ يثب إلى مدائح المتنبي لسيف الدولة)) [٢].

هكذا يتبين لنا مدى الأثر الذي تركه شعر المتنبي على الساحة الشِّعرية بالأُندلس والدور الذي لعبه في ترقية وتثقيف الذَّوق الأَدبي لدي عامة الأُندلسيين ، وإذا وقفنا عند حدود كتاب الذَّخيرة وحده لكفانا ما أورده ابن بسام الشنتمري ما حظي به المتنبي من الإعجاب والاستحسان بالأُندلس وتتبع معانيه حتى صارت معارضة

---

[٢] نفح الطيب :ج٢ ،ص١٢٠

[٣] ديوان المتنبي :ص٦٠

[٤] الذخيرة : مرجع سابق ، ص١٤٣

[٥] الذخيرة : ، ص١٤٦

[١] ظهر الإسلام : ، ص٢٧

[٢] مع شعراء الأندلس والمتنبي : ص٦٤ ،لاميليو غرسيه غوس ، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي ، مكتبة وهبه ١٩٧٤م

المتنبي مقياساً للجودة والبراعة، ونستدلُ لذلك بما جاء في محاورة ابن شُهَّيْد لفاتك بن الصقعب الذي قال له: هل جاذبت أنت أحداً من الفحول ؟ قلت نعم قول أبي الطيب .

أأخلعُ المجدَعن كتِفي وأطلبهُ *** وأتركُ الغيثَ في غمدي وأتِرجعُ

قال لي : بماذا ؟ قلتُ بقولي :

ومن قبَّةٍ لا يدركُ الطرفُ رأسها *** تزِلُّ بها ريح الصبا فتَحدَّرُ

وذكر سلوى الأَندلسّي أن ابن شرف القيرواني قال : ((إِنَّا اخترنا مئة بيتٍ مثلاً مما يستعمله النَّاس في أثناء كلامهم ومحاضراتهم ، منها خمسون للعرب والمخضرمين ولبعض المولدين ، ومنها خمسون لأبي الطيب المتنبي خاصة، لما مُنح من ذلك وتمكن" له ، وهذه المئة على شتى أعاريض، وشتى قواف ...)) [٣]

لذلك فإِنَّ اختيار ابن شرف لأبي الطيب المتنبي من بين شعراء المثل دليل" آخر على إعجابهم به والاقتداء بشعره مما ينعكس إِيجاباً على إنتاجهم الشِّعْري والارتقاء بذوقهم الأَدبي الفني وقد شهد بذلك الكثيرون منهم المتشرق لاميليو غرسيه غوس بقوله: ((لقد أحدث المتنبي في الأُندلس حركة شعرية فريدة يطول المقام إذا ذهبنا في إحصاء الشُّعَراءالَّذين كان المتنبي ملهماً وحافزاً لهم ، أذكر منهم : محمد بن هانئ الأُندلسّي الذي عرف شعر المتنبي ودرسه طويلاً ، وتأثر به في نهاية المطاف في أجمل قصائده)) [١]، وأحمد بن دراج القسطلي والرمادي وابن زيدون الذي أكثر من قصائد المدح في أبي الحزم بن جهور وابنه الوليد والمعتمد بن عباد، مثلما فعل المتنبي مع سيف الدولة وكافور وغيرهما.

وقال إحسان عباس : ((إِنَّ أكثر شعراء الأُندلس نسجاً على طريقة المتنبي في السياق مع بعض الاستقلال في المعاني شاعران هما : عبد المجيد بن عبدون وأبو محمد بن وهبون)) [٢].

---

[٣] أحمد مكي، ط١٩٧٤م مكتبة وهبة

[١] مع شعراء الأندلس والمتنبي : ص٦٤ ،لاميليو غرسيه غوس ، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي ، مكتبة وهبه ١٩٧٤م

[٢] تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين : ص١١٢

ب- أثر أبي العلاء المعري:

وهو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان التنوخي ولد في معرَّة النعمان في شمال سوريا سنة ٣٦٣هـ الموافق ٩٧٣م، نشأ في أسرة مرموقة تنتمي إلى قبيلة " تنوخ" العربية التي يصل نسبها إلى يعْرُب بن قحطان جد العرب العارية.

يكاد أنْ يتفق المؤرخون في مجال الأَدب والنَّقْد بأنَّ أبا العلاء المعري قد ترك أثراً كبيراً على الشِّعْر والأَدب والفلسفة ظل مورداً لا ينضب للدارسين على مر العصور، ويذكر أبو القاسم الكلاعي في كتابه إحكام صنعة الأحكام أن المعري قد ترك أثراً في الأدب الأندلسي ممثلاً في الجانب النثري أكثر منه في الشِّعْر وأَنَّ مؤلفات المعري قد لاقت رواجاً كبيراً لدي مؤرخي الأَدب الأُندلسّي في أواخر القرن الخامس ، وأَنَّ دواوين شعره وجميع آثاره وصلت الأُندلس في حياته وتلقاه النَّاس بالقبول وأنكب الأُدباء والشُّعَراء على حفظها ودراستها كما أقبل عليها الأمراء واعجبوا بها اعجاباً كبيراً ، حتى أنَّ أبابكر محمد بن عبد الله المظفر صاحب بطليوس كان ينكر الشِّعْر على قائله ويقول: ((من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي أو المعري فليسكت ولا يرضى بدون ذلك)) والأرجح عندنا هو أنَّ الأُندلسيين قد تأثروا كثيراً بالمعري واسهم بقدرٍ كبيرٍ في تكوين ذوقهم الأَدبي وتوجيهه، ودليلنا في ذلك إعجابهم المسبق بالمتنبي وطريقته في الشِّعْر والتي شهد بها الكثيرون ونسبة للعلاقة الوتيدة بين المتنبي والمعري، فالمعري كان يعشق أشعار المتنبي بلا حدود ويتعصب له، وقد شرح أشعاره وعلق عليها في كتابه الشهير "معجز أحمد" وفي كتاب آخر اسماه شرح ديوان أبي الطيب.

ومما يروى عن ذلك أنَّ المعري كلما سمع بيت المتنبي الذي يقول فيه : ((أنا الذي نظر الأعمي إلى أدبي، كان يقول: أنا هوالأعمي الذي قصده المتنبي))[1] ومما يروى عن قوة العلاقة بينهما: أنَّه كان المعري حاضراً في مجلس أدبي للخليفة العباسي في بغداد ، وكان هذا الخليفة حاقداً لسبب ما على المتنبي فُنْقصه حقه من الإجادة في القول فكلما ذكروا بيتاً من شعره كان الخليفة يطعن فيه محالاً أنْ يجد

---

[1] تيارات النقد الأدبي في الأندلس :ص٣٣

فيه عيباً أو يجد منه سبيلاً إلى ذلك المعنى فلم يُطق المعري صبراً – من فرط حبه للمتنبي – فوقف وقال:((لو لم يكن للمتنبي إلا قصيدته التي مطلعها)).

لك يا منازِلُ في القلوب منازِل" *** أقْفَرْتِ أنتِ وهُنَّ مِنْكِ أواهلُ[٢]

لكفله فخراً ، فغضب الخليفة وقال لرجاله: اسحبوا هذا الأعمي من يديه ورجليه وأرموه خارجاً ! وحين سالوا الخليفة عمَّا أغضبه في قول أبي العلاء أجاب ! لم يقصد هذا اللعين من القصيدة إلا البيت الذي يقول فيه:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص*** فهي الشهادة لي باني كامل[٣]

وحديث الكلاعي السابق يبين لنا المكانة التي حظي بها المعري في الأُندلس وهذه المكانه تقترن بأبي الطيب المتنبي من حيث الإعجاب، ومما يدل على تأثر الأندلسيين بالمعري ومساهمته في تكوين ذوقهم الأَدبي وتشكيل الشخصية الأُندلسيه قيام الكلاعي بوضع ثلاثة مؤلفات في معارضته منها الساجعة والغريب معارضاً به كتاب الصاهل والشاحج [١] والسجع السلطاني معارضاً به كتاب المعري الذي يحمل نفس الاسم ، ثم خطبة الفصيح معارضاً به خطبة الفصيح عند المعري [٢] ، هذه وغيره من المواقف تؤكد تأثر الذَّوق الأَدبي الأُندلسّي بأبي العلاء المعري.

وتلك هي خلاصة لأبرز الروافد التأثيرية المَشْرِقية في الذَّوق الأَدبي والنَّقْد الأُندلسّي وقد شاركت هذه الروافد في تكوين وتنشئة اتجاهات أدبية أندلسية بعضها مُحْدَث والآخر محافظ وبعضها مَحدث محافظ ، وقد استوعب الشاعر الأُندلسّي كلَّ هذه الروافد وبرز في شعره بعيداً عن العصبية والخصومة حتى أصبحت القصيدة المتكاملة في نظر الشاعر الأُندلسّي هي التي تلتقي فيها روافد مختلفة واتجاهات متعددة .

نجد ذلك ممثلة في قصيدة ابن عبد ربه إذ يقول [٣]:

---

[٢] ديوان المتنبي: ص٧٥، ط١ مطابع الزهراء للأعلام العربي مدينة نصر

[٣] ديوان المتنبي: ص١٢٦

[١] أحكام صنعة الكلام: محمد عبد الغفور الكلاعي، ص١٣١ ، تحقيق محمد رضوان الداية ط بيروت ١٩٦٧

[٢] أحكام صنعة الكلام: ص١٣١ ، تحقيق محمد رضوان الداية ، ط بيروت١٩٦٧م

[٣] التشبيهات من أشعار أهل الأندلس : ص١٩٥، تحقيق إحسان عباس ط ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٦م

منظومة" هُذّب الفاظها *** ليست من الشِّعر الحجازيِّ
لكنها في الصَّوغ نَجدية" *** صاحبها لست بنجديَّ
كوفية الإبداع بَصريَّة" *** لغير كوفيٍّ وبَصريَّ

ولم يكن التَّوق الأَدبي الأُندلسّي نتاجاً لتلك المؤثرات الفردية السابقة فحسب بل قد اسهمت البيئات الأَدبية المَشْرِقية كذلك في صقله وتكوين اتجاهاته الأَدبية مثل دمشق التي مارست سلطانها على الحياة الأَدبية الأُندلسية منذ القرن الأَوَّل الهجري وحتى نهاية القرن الثالث فاكتسبت قرطبة صبغة دمشق الأَدبية ، وجرى شعراء هذه الفترة مثل جعونه بن الصمه ، وأبي المخشي عاصم ابن زيد والصميل بن حاتم وأبي الخطار حسام بن ضرار على طراز من شعر جرير والفرزدق والأخطل.

أما بغداد: [1] فقد بسطت نفوذها الأَدبي من لدن عبد الرحمن الأوسط الذي فتح الباب للحضارة العباسية واسعاً على الأُندلس في كل المجالات سيما الأَدبية ، وقد احتلت بغداد في نفوس الأُندلسيين حيزاً كبيراً ومكانة خاصة ، أشار إليها المستشرق الفرنسي هنري بيرس بقوله: ((أشرف بلاد يعترف لها بعبقرية الرجال ومواهبهم فهي جنة أرضية وموطن كل أشعار كبشار وأبي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز والعباس بن الأحنف والشريف الرضي ومهيار الدليمي والمعري))[2].

ويقول المستشرق غرسيه غومس إنَّ بغداد أسهمت في تكوين التَّوق الأَدبي الأُندلسّي بمده بالاتجاه القديم المحدث ذلك لأنَّ الشِّعر الأُندلسّي بدأ يتكون حيث كان ا لشِّعر القديم المحدث في أوجه في المَشْرِق [3] .

يبدوا تأثير بغداد واضحاً في الحياة الأَدبية الأُندلسية في القرن الرابع والخامس الهجري عندما كان تقاليد الحكم بيد بني بويه .

ولم تكن المساهمة في تكوين التَّوق الأَدبي الأُندلسّي حكراًعلى البيئات الدمشقية والبغدادية فقط بل أنَّ مصر والحجاز كذلك قد ساهمتا في ذلك وإنْ كانت تاثيراً الحجاز مقصوراً على الناحية الروحية واقتصر دور مصر في الاتجاه الخلقي خاصة الشِّعر الصوفي .

---

[1] تيارات النقد الأدبي في الأندلس : ص٣٨

[2] كتاب الأدب الأندلسي :ج١ ، ص٣٧

[3] الشعر الأندلسي : ص٦ ،غرسيه غوس ط القاهرة ،١٩٦٩م

وقد ذكر البطليوسي[٤] عدداً من الأُندلسيين الذين رحلوا للأخذ عن المعري منهم أبي الربيع سليمان بن أحمد السرقسطي وأبي تمام غالب بن عيسى الأنصاري وأبي عبد الله بن جا بر القرطبي ، كما وفد إلى الأُندلس من يروي شعر المعري عنه كأبي عمر السفاقسي وهو أستاذ الحميدي وأبي العقل البغدادي الذي روى عن أبي العلاء شعره وحديث الكلاعي السابق يبين لنا المكانة التي حظي بها المعري في الأُندلس وهذه المكانة تقترن بأبي الطيب المتنبي.

المَبْحَثُ الثَّالثُ

الاتجاهات الشِّعْوية في الأَدَبِ الأَنْدلُسيِّ

لم تكن للمدارس والاتجاهات الشِّعْوية في الأُندلُس صورة واضحة كما هو الحال في المَشْرِق ، ولعل السبب في ذلك هو أن الشِّعْر الأُندلسّي قد ظهر متأخراً زمناً عن قرينه في المَشْرِق فإنَّ الأُندلس قد تم فتحها في سنة ٩١هـ.

ولم يستقر الحال في المجتمع الأُندلسّي لينصرف الأُندلسيون إلى الإبداع الأَدبي شعراً ونثراً إلا في القرن الثاني الهجري في وقت خمدت فيه المعارك الأَدبية المَشْرِقية بين المحافظين والمحدثين مما يدل على أنَّ الاتجاهات الشِّعْوية المَشْرِقية قد وصلت إلى الأُندلس بعد أكثر من قرن من الزمان، وأنَّ الروافد المَشْرِقية التي اسهمت في تكوين الذَّوق الأُندلسّي في الشِّعْر هي ذاتها عملت على نقل الاتجاهات الشِّعْوية المَشْرِقية إلى الأُندلس.

أما الشِّعْر في المجتمع الأُندلسّي فلم يكن وَقْفاً على الشُّعَراء المحترفين وحدهم، بل شاركهم في صناعته إلى حد الاجادة كثير" من أهل البلاد على اختلاف أهوائهم ومشاربهم إذ تجدُ في ميدان الشِّعْر قد شارك الأمراء والوزراء والكتَّاب والفقهاء والفلاسفة والأطباء وأهل النحو واللغة وغيرهم ، فالمجتمع الأُندلسّي بحكم تكوينه الثقافي القائم على علوم العربية وأدابها ، ثم طبيعة الأُندلس التي تستثير العواطف وتحرك الخيال كل ذلك جعل المجتمع الأُندلسّي يتنفس الشِّعْر طبعا مما يجعلنا نسعي للوقوف على أهم وأبرز سمات الشِّعْر الأُندلسّي من خلال اتجاهاته الشِّعْوية،

---

[٤] الانتصار ممن عدل عن الاستبصار : ص١١٢تحقيق د. عبد المجيد حامد ط١ القاهرة ١٩٥٥م ،

ولا خلاف بين المهتمين بالدراسات الأُندلسيِة – فيما وقفت عليه – على أنَّ الاتجاهات الشِّعرية في الأَدب الأُندلسّي ثلاثه هي :

أَوَّلاً : الاتجاه المحافظ:

ويُقصد به الاتجاه الشِّعري الذي نشأ في ا لَمشْرِق وهو قديم" قدم الشِّعر نفسه، يهتم بالموضوعات التقليدية ويسلك مسلك القدماء في بناء القصيدة من حيث الأسلوب البدوي فألفاظه جزلة، وعبارته لا تخلو من خشونة وحوشية أما بحوره فطويلة وقوافيه غنائيه ، فالشاعر ينظم قصيدته بلغةٍ وصور مستمدة من النموذج الجاهلي القديم، وكان لعلماء اللغة دور كبير" في دفع الشُّعَراء إلى النظم على طريقة القدماء بما جمعوا لهم من قدرٍ وافرٍ من اللغة و الشِّعر الجاهلي والإسلامي ورسموا لهم طريقاً يسيرون عليه.

وفد هذا الاتجاه إلى الأُندلس من الَمشْرِق فأخذ الشُّعَراء يتبعون شعراء الـمَشْرِق ويقلدونهم وينظرون إليهم على أنَّهم المثل الأعلي لهم في كل شيء وفي تقديري ما فعله الأُندلسيِون ذلك إلاَّ لأنهم يشعرون بأنَّهم جزء" من العالم العربي ، وأنَّ حمل التراث أمانة في أعناقهم مثل المشارقة لا فرق بينهم ولأنهم يرون أنَّ الَمشْرِق هو مهد اللغة العربية ، وموضع هبوط الإسلام ومكان الخلافة الأَوَّلى لذى اتخذوه نموذجاً ومثلهم الأعلي في الأَدب وقدوتهم في الشِّعر مما جلعهم يعكفون على دراسة الشِّعر القديم ، والقيام برحلات إلى الَمشْرِق للقاء العلماء ، فضلاً عن استجلاب علماء مشارقه للتدريس بمساجدهم أمثال القالي وغيره .

هذا الارتباط الوثيق بين شعراء الأُندلس والمشارقة جعل الكثيرين من المؤرخين ينظرون إلى الأُندلسيين بأنهم مجرد مقلدين للشرق وأنه ليس للشعر الأُندلسّي سمات خاصة تبرز من خلالها شخصية الأُندلس متخذين من حديث ابن بسام الأُندلسّي حجة لما ذهبوا إليه ويقولون إِنَّه قد شهد شاهد" منه أهلها.

ومن الَّذين قالوا بالتقليد أحمد أمين إذ يقول ((وأياً ما كان ، فشعراء الأُندلس في نظرنا لم يفلحوا كثيراً في استقلالهم عن الَمشْرِق وابتكارهم وتجديدهم، كما لم يفلح في ذلك اللغويون والنحويون والصرفيون ...)) [1].

هكذا أصبحت مسالة علاقة الشِّعْر الأُندلسّي بشعر المشارقة أهو شعر" مستقل كل الاستقلال بطابع خاص وسمات مميزة أم هو محاكاة وتقليد للشعر الَمشْرِقي محل سؤال لم يصل فيه الباحثون إلى إجابة قاطعة حتى كتابة هذا البحث، ونحن نسلم ونتفق مع القائلين بأن الشِّعْر الأُندلسّي من جنس الشِّعْر الَمشْرِقي يلتقي معه في صفاته العامة وموضوعاته وليس من جنس آخر مستقلاً بذاته وصفاته.

فـ الشِّعْر الأُندلسّي في تقديري امتداد طبيعي للشعر الَمشْرِقي وإقليم الأندلس مثله مثل الإقاليم والبيئات الأدبية الأخرى التي أنفردت بميزاتها الأدبية الخاصة مع الحفاظ على علاقتها بالأدب الَمشْرِقي الأم كالشام والعراق ومصر وغيرها من الإقاليم فالقاسم المشترك بين كل هذه البيئات الأَدبية بما فيهم الأُندلس رابط العروبة والدم واللغة والدين، ومعلوم أنَّ العرب من أشد الشعوب حباً للشعر ، فـ الشِّعْر متأصل" في نفوسهم عميق" فيها وجزء" من طبيعتهم التي فطروا عليها ، وأورد عنهم ابن رشيق قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((لا تدع العرب الشِّعْر حتى تدع الإبل حنينها))[1]. فهم بطبيعتهم يعتزون بأصلهم وعروبتهم ووطنهم غاية الاعتزاز، نلمس ذلك من ارتباطهم القوي بموطنهم الأَوَّل في الجزيرة العربية رغم قساوة البيئة التي كانوا يعانونها وفي تاريخهم منذ الجاهلية ما يشهد لهم بهذه الصفات وتمسكهم بها ، فإن رحلوا إلى بيئة جديدة عملوا على تعريبها ونشروا فيها دينهم ولغتهم وأدبهم وحضارتهم حتي يشعروا بانهم لم يغتربوا، وأنهم لا يزالون يعيشون وبيئتهم الأَوَّلى بكل قيمها وعاداتها وتقاليدها، وأنَّ الوطن الجديد بالنسبة إليهم ليس بديلاً عن الوطن القديم ولا منفصلاً عنه، بل هو امتداد له، وذلك ما حدث للعرب عندما دخلوا الأُندلس لأَوَّل مرة فاتحين، ولم يأتِ القرن الرابع الهجري حتى كانت معالم الحضارة العربية الَمشْرِقية منتشرة في ربوع الأُندلس ومدائنه على غرار ما هي عليه في الَمشْرِق .

---

[1] النقد الأدبي :ص٤١٩-٤٢١

[1] اخرجه مسلم في صحيحه :ص١٠٦٠ من حديث رافع بن خديج

تحليلنا هذا يتماشى مع ما قاله أحمد أمين ((وكثيراً ما كان الشُّعَراء في الأُندلس يرجعون في أساليبهم وأفكارهم إلى الأساليب والأفكار البدوية ، وأنَّ العرب من أشد الأمم عصبية وحنيناً إلى موطنهم وعيشهم الأَوَّلى إذ رغم ما كان في نفوسهم من الأثر الذي اكتسبوه من تلك البلاد وما حصل لهم من الحياة التي لم يكن لهم بها عهد في بلادهم ، كانوا ولا يزالون يميلون إلى أخيلتهم الأَوَّلى ، ولم يكن لهم أنْ يهجروا عادتهم ...حتى في تلك البلاد البعيدة وبعد قرون من إنتاجهم ظلوا يتغنون بذكر بلادهم، ويتخذون الشِّعْر القديم نموذجياً لهم في الصناعة والخيال والذي يقرأ الشِّعْر الأُندلسّي يجده أخاً للشعر في بغداد بل في بلاد العرب نفسها من حيث الصناعة العامة والموضوعات التي كانت عند القدماء)) [1] .

أما الاتجاه المحافظ فقد برز في الشِّعْر الأُندلسّي لأَوَّل مرة في فترة تاسيس الإمارة التي امتدت من(١٣٨هـ – ٢١٦هـ) ، خلال القرن الثاني الهجري وهي الفترة التي حكم فيها الأُندلس عبد الرحمن الداخل وابنه هشام وحفيده الحكم الملقب بالرَّبضي ، ذكر المَقرِّي بأنّ الأُندلس قد حظيت خلال هذه الفترة الخطوة الأَوَّلى نحو الثقافة الأُندلسية الحقة بسبب قدوم عدد كبير من الأُمويين وأنصارهم من المَشْرِق أما فراراً من العباسيين وإما رغبة في الحياة بالأقليم الإسلامي الجديد وتزامن معه رجوع أَوَّل فوج من الأُندلسيين الدارسين في المَشْرِق أمثال الغازي بن قيس وأبو موسى الهواري ، وعبد الملك بن حبيب والليثي وزياد بن عبد الرحمن وهم يمثلون الجيل الأَوَّل من أهل الثقافة الأُندلسية .

وبرزت خلال هذه الفترة السمات الأُوَّلى للأداب الأُندلسّي تلك السمات التي أخذت في التزايد بمرور الزمن حتى أكتملت ملامحها بصورتها النهائية.

وأنَّ سير الشِّعْر الأُندلسّي على نهج المدرسة المحافظة التي وفدت من المَشْرِق خلال فترة تأسيس الإمارة نتج عن البيئة الجديدة بأحداثها السياسية والاجتماعية التي فرضت موضوعات هي من صميم الاتجاه المحافظ كـ الشِّعْر الذي قيل في إحياء العصبيات بين البربر والعرب والذي قيل في وصف المعارك الحربية ،

---

[1] النقد الأدبي :ص١٤٠

فإن واقع وظروف الأُندلس كانت تتطلب هذه الموضوعات التقليدية التي عرف بها الشِّعْر المحافظ فإن الفخر والحماسة ترتبط بالصراع والغلبة وهي من لوازم البيئة العربية القديمة وقد أورد ذلك أحمد هيكل[٢] .

أما السمات الخاصة التي تميز الشِّعْر الأُندلسّي وتجعله ذا شخصية مستقلة عن الشِّعْر المَشْرِقي كما يقول أحمد هيكل ، فهي التجديد الموضوعي وهو التطرق إلى موضوعات جديدة أو تناول بعض التجارب التي لم يطرقها الشُّعَراء من قبل مثل الطريقة التي عالج بها أبو المحتضي تجربته في فقد البصر وكذلك التجديد الفني والتركيز العاطفي كما في أبيات عبد الرحمن الداخل في حديثه عن تلك النخلة التي رآها بالرصافة .

نماذج من الشِّعْر الأَنْدلسّي المحافظ :

يقول أبو المخشي [١] في قصيدة يمدح بها عبد الرحمن الداخل :

امتطيناها سلماً بـُدُنا *** فتركناها نضـاءً بالعنا

وذريتي قد تجاوزت بها*** مهمهماً قفْراً إلى أهل الندى

قاصداً خير مناف كلهـّا *** ومناف خيرُ مَنْ فوق الثرى

فالشاعر في هذه الأبيات يستهل قصيدته بوصف الرحلة التي ساقته إلى ممدوحه ابتداء بركوب دابته التي كان قد سمنَّها لغرض الرحلة فبدت ممتلئة الشحم واللحم ، ولكن العناء أذهب امتلاءها وتركتها هزيلة متعبة ، فالشاعر وكل من معه قد قطعوا بهذه الدواب مفازة وقفراً بقصد الوصول إلى ذوي الأيدي البيضاء الكريمة ويخص الشاعر من بينهم أفضل وأكرم من في قبيلة مناف ، ومناف عنده أفضل البشر جميعاً ، وكأن الشاعر يقول أنَّ ممدوحه خيار" من خيار فإذا أردنا استخلاص مظاهر المحافظة في أبيات أبي المخشي نجدها تتجلى في ذكره لبعض الألفاظ التي ألفها الشِّعْر القديم مثل امتطيناها :أي ركبناها واتخذناها مطية ، وسماناً بـُدّنا أي كثيرة الشحم واللحم فهي سمينة بدينة ، ونضاءً أي متعبة هزيلة.

---

[٢] الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: ص ٢٧

[١] الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: ص ٨٢

وهو يتطرق لموضوعات تقليدية كوصف الرحلة والراحلة، والطبيعة الصحراوية ثم ينتقل إلى غرض المدح، وكل ذلك من باب تعدد الموضوعات وهي من أبرز سمات الشِّعر المحافظ .

وكذلك من أمثلة الشِّعر المحافظ عندهم قول الحكم بن هشام مفتخراً ببطولته وقوته وانتصاره في موقعه الربض [٢]:

رأيتُ صدوع الأرض بالسيف راقعاً *** وقدماً لأمت الشعب مذ كنت يافعا
فسائل تغوري هل بها اليوم ثغرة *** أبادرها مستضي السيف دراعا
تنبيك أني لم أكن في قراعهم *** بوانٍ ، وأني كت بالسيف قارعا
وأني إذ جادوا جزاعاً من الردى *** فم أكُ ذا جيدٍ من الموت جازعا[١]
فهاك بلادي إنني قد تركتها *** مهرك عليــها منازعا

وكذلك يقول الحكم في تمجيد السيف وأسلحة القتال:

غناءُ صليل البيض أشهى إلى الأذن *** من اللحن في الأوتار واللهو والرَّدنْ الطعن
بها يهتدي الساري وينكشف الدُّجى *** وتستشعر الدنيا لباساً من الأمن

ومن أشهر شعراء هذا الاتجاه بالأُندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام وأبو المخشي وهو عاصم بن زيد العبادي ، والحكم بن هشام ، حفيد عبد الرحمن الداخل الملقب بالربضي، وعباس بن ناصح وهو أبو المعرِّي عباس ابن ناصح الثقفي من أهل الجزيرة الخضراء ، ومنهم الشاعرة حسانة التميمة.

ثانياً : الاتجاه المُحدث:

يقصد به الاتجاه الذي نشأ في المَشْرِق خلال النصف الأَوَّل من العصر العباسي الأَوَّل ، نتيجة لمستحدثات الحضارة التي طغت على المجتمع العباسي وما تبع ذلك من مجالس لهو ومغامرات ومجون فكان الشِّعر يأتي تلبية للحياة الجديدة في المجتمع الجديد ، تزعم هذه الاتجاه الشِّعري بـ المَشْرِق أبو نواس وأعلن تمرده على الاتجاه التقليدي (المحافظ) وندد بطريقته وأصبح يطرق أغراضاً شعريةً جديدةً

---

[٢] المصدر السابق: ص ٨٣

[١] الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: ص ٨٣

لم تكن مألوفةً من قبل بمنهج جديد وأسلوب محدث وتبعه في ذلك مسلم بن الوليد وأبو العتاهيه وغيرهم مما عرفوا بالمجددين .

تزامنت هذه الفترة التي نشأ فيها الاتجاه المحدث بـ الَمشْرِق فترة صراع الإمارة بـالأُندلس والتي أمتدت من (٢٠٦ هـ-٣٠٠ هـ) وحكم خلالها الأُندلس أربعة من امراء بني أُميَّة هم عبد الرحمن الأوسط وابنه محمد ثم حفيده المنذر وعبد الله ابنا محمد ، وقد تغيرت الحياة في المجتمع الأُندلسّي خلال هذه الفترة تغيراً كبيراً وبدأ الأُندلسيِون لأَوَّل مرة يفتحون عيونهم على حياة الترف وينعمون بكثير من التحرر في ظل بعض الأمراء المتحررين أمثال عبد الرحمن الأوسط ، وكثُرتْ مجالس الموسيقى والغناء خاصة وقد وفد إلى الأُندلس زرياب العراقي الموسيقار المشهور وجلب معه ألحان وآلات جديدة .

لذلك وجد الاتجاه الشِّعْري المحدث الطريق ممهداً إلى الأُندلس وتلقاه الشُعَراء- اللسان الناطق للشعب- بالقبول والترحاب فضلاً عن الظروف الملائمة، وقد ذكر المؤرخون أنَّ ناقل هذا الاتجاه إلى الأُندلس هو عباس بن ناصح الشاعر الذي عرف أيام الحكم الربضي الذي يُعد من شعراء الاتجاه المحافظ وهو قد عاصر عبد الرحمن الأوسط وتعود علاقته بهذا الاتجاه بأنه سافر إلى الشرق فلقي في العراق أبا نواس واسمعه شعره ، وعاد إلى الأُندلس فأشاعه بين النَّاس وأمتاز الاتجاه المحدث بأنَّه يهتم بأغراضٍ شعريةٍ لم تكن معروفة من قبل وفي الأسلوب الذي تعالج به هذه الأغراض.

فمن الأغراض الجديدة التي ظهرت مع الاتجاه المحافظ الخمريات والغزل الشاذ وهو الغزل بالمذكر والمجونيات وكذلك بواكر الطبيعيات والزهديات.

وعلى الرغم انتشار الاتجاه المحدث بين الأُندلسيين قد ظل الاتجاه المحافظ قوياً نامياً ولم يجرفه التَيَّار الجديد بل ظل كثير" من الشُعَراء متمسكين به ولعل سبب ذلك أنَّ الاتجاه المحافظ كان قد استقر في الذَّوق الأُندلسّي وتمكن من ملكات الشُعَراء ومناسبته للموضوعات الجادة .

ومن نماذج الشِّعْر المحدث ما أورده الَمقرِّي انسياق الشِّعْر الأُندلسّي تجاه المدرسة المحدثة الَمشْرِقية بأنَّ يحيي الغزال عندما دخل العراق بعد موت أبي نواس

بمدة يسيرة وجدهم هنالك يلهجون بذكره ولا يساوون شعره بشعر أحدٍ فجلس يوماً مع جماعة منهم فأزروا بأهل الأُندلس فقال لهم من منكم يحفظ قوله :

لما رأيتُ الشَّرب أكدت سماؤهم *** تأبطت رحى واحتسيتُ عنائي

فلما أتيتُ الحان ناديتُ ربَّه *** فثاب خفيف الرَّوحِ نحو ندائي

قليلُ هجوع العين إلا تلَعَّةً *** على وجلٍ مني ومن نظرائي[1]

فاعجبوا بـ الشِّعْر وحسبوه لأبي نواس وذهبوا في مدحهم له ، فلما افرطوا قال لهم خفضوا عليكم فإنه لي ، فانكروا ذلك فأنشدهم قصيدته التي أَوَّلها :

تداركتُ في شرب النبيذ خُطائي*** وفارقت فيه شيمتي وحيائي

فلما أتمَّ القصيدة بالإنشاء، خجلوا وافترقوا عنه .

ومن أشهر شعراء الاتجاه المحدث من الأُندلسيين يحي الغزال بن حكم ، وسعيد بن سليمان بن جودي السعدي وغيرهم .

ثالثاً : الاتجاه المحافظ الجديد:

ظهر هذا الاتجاه في المَشْرِق كرد فعل للاتجاه المحدث الذي تزعمه أبو نواس الذي خرج بـ الشِّعْر العربي عن كثير من تقاليده ، وكان أبو تمام من أوائل الشُّعَراء الَّذين ساروا في هذا الاتجاه وتبعه البحتري وآخرون ووصل الاتجاه غايته مع المتنبي الذي يُعد قمة الاتجاه المحافظ الجديد.

وقد درج الباحثون على تسمية هؤلاء الشُّعَراء بالمحدثين وهي تسمية عامة تطلق على الشُّعَراء المجددين من لدن بشار بن برد ثم أبي نواس إلى أبي تمام ومن عاصره وجاء بعده ، ولما كان اتجاه المجددين من أيام أبي تمام ومن سار فيه طريقه يخالف اتجاه المجددين مِنْ بشار وَمَنْ حذا حذوه ، اقتصرت تسمية المحدثين على الاتجاه الذي سار فيه بشار وأنتهي بأبي نواس، وأطلق اسم محافظ جديد على الاتجاه الذي سار فيه أبو تمام وأنتهي بأبي الطيب المتنبي[1].

وقد أورد نجيب البهبيتي ، وكذلك شوقي ضيف أنَّ الاتجاه المحافظ الجديد كان يهدف إلى المحافظة على منهج القصيدة العربية ولغتها وموسيقاها والعودة

---

[1] الأدب الأندلسي: ص ٨٤

[1] الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة : ص١٩٦

بـ الشِّعْر العربي إلى طبيعته العربية بالاقتراب من التقاليد الشِّعْرية المأثورة وتجديد معاني الشِّعْر وصوره وكذلك في أسلوبه وجمالياته .

المَبْحَثُ الرَّابع
أَصَالةُ الشِّعْرِ الأَنْدَلُسيِّ منْ خِلالِ شِّعْرِالطَّبيعةِ

يكاد لا يخلو بحث أو كتاب" عن الأَدب الأُنْدَلُسي من قضية الأَصالة والتقليد بين الأُنْدَلُس والمشرق، حتى غدت إحدى المشاغل الكبرى لدى نقاد ومؤرخي الأَدب العربي من عرب وغيرهم، محاولين التعرف على مظاهر الإبداع والاتباع في الأَدب الأُنْدَلُسي، وأنقسم الباحثون حول علاقة الشِّعر الأُنْدَلُسي بشعر المشارقة إلى فريقين: أهو شعر مستقل كل الاستقلال له طابعه الخاص وسماته ومميزاته أم هو محاكاة" وتقليد" للشِّعر المشرقي، يرى الفريق الأَوَّل: وهم أكثر الباحثين، أنَّ الشِّعر الأُنْدَلُسي عبارة عن امتداد للشِّعر المشرقي فهو تابع" له، ويرى الفريق الثاني: أنَّ الشِّعر الأُنْدَلُسي مستقل بذاته عن شعر المشارقة فهو غير تابع له، وإنما بينهما روابط عامة.

والذين يقولون بتقليد القصيدة الأُنْدَلُسية، يرون أَنها صِيغتْ على نمط القصائد المشرقية، ويقصدون بالنمط المشرقي التقليد في كل شيء مثل الوزن، والرَّوي ،والقافية، والبحر. ويتخذون من كلام ابن بسام حجة لهم حينما قال : ((....ألا إِن أهل هذا الأفق أبو إلَّا متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أَخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب" أو طنَّ بأقصى الشام أو العراق ذباب" لجثوا على هذا صنماً وتلوا ذلك كتاباً مُحْكماً)) [1]. ولكن ابن بسام نفسه يقول قبل هذه الفقرة في وصف أهل الأُنْدَلُس: ((لعبوا بأطراف الكلام المشقق لعب الدُّجي بجفون الُمؤرق، وحدوا بفنون السحر المنمق حداء الأعشى ببنات المحلق، نثر" لو

---

[1] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ص١١٥.

رآه البديع لنسي اسمه، ونظم" لو سمعه كثير" ما نسب ولا مدح، أو تتبعه جرول ما عوى ولا نبح...)) ثم يقول في موضع آخر واصفاً أهل الأُنَدُلُس كذلك : ((...إنهم رؤوس شعرٍ وكتابةٍ، تدفقوا فأنسوا البحور، وأشرقوا فباروا الشموس والبدور)) [٢].

وكذلك يقول الرافعي – مبيناً مدى التقليد عند الأُنَدُلُسيين– ومعلقاً على قول ابن بسام السابق : ((إنَّ ما عناه ابن بسام هو منافسة الأُنَدُلُس لأهل المشرق في الملك والسياسة تبعتها المنافسة في مظاهر هذا الملك وما يستلزمه من الحياة العلمية والأَدبية، أما الشّعر فإنه لم يقصده كما زعم الزاعمون، "أَنَّ شعر الأُنَدُلُسيين ككل مظاهر حياتهم، يغيبُ في سواد التقليد، ويدخل في شعر الأقاليم الأُخرى بحيثُ يشتبه النسيج وتلتحم الديباجه، فهو لا يعرف الشّعر إلا بأوزانه، ولا يميز غير ظاهره فإنَّ للشّعر بنوع خاص دون سائر العلوم والمعارف روحاً كروح الإنسان تستوي مع الجنس كله في جملة الأخلاق وتختلف في مفرداتها، حتى لقد يجد اللبيب الحاذق من التفاوت بين أنواع الأشعار إذا هو استقرأها وتقصص تواريخ أصحابها ما يصح أن يخرج من علم الفراسة الشّعري)) [١].

في تقديرنا إنَّ إصدار الحكم على الشّعر الأُنَدُلُسي بالتقليد المحض من الوهلة الأَوَّلى حكم" قاصر؛ لأنَّ القوافي والأوزان والرَّوي ليس مقصوراً على فريقٍ من الشُّعَراء دون فريقٍ، ولو كان الأمر كذلك لوقف الشّعر العربي عند العصر الجاهلي؛ لأَنَّ الشُّعَراء الجاهليين قد استنفذوا كل الأوزان والقوافي فلا يصح لشاعر من بعدهم أنْ ينظم شعراً ، وأنَّ هذه المشابهات في الوزن والقافية والرَّوي لا حصر لها في دواوين الشُّعَراء، منذ وُجِد الشّعر، والحق أنَّ الشّعر لا يقاس بالوزن ولا بالرَّوي، فإنَّ البحور والقوافي ملك الشُّعَراء جميعاً وإنَّما الشأن في الصياغة والمعنى والشعور، فالشّعر ملكة طبيعية ولا تتأتي بالمحاكاة، وموهبة من المواهب التي لا يختص الله بها جيلاً دون جيل ولا إقليماً دون إقليم فحيث مرت مع الدم في جسم صاحبها، ونبض بها حسه وتفتحت لها نفسه، انطلق كالطائر الغرد، والبيئة الأُنَدُلُسية توافرت فيها كل الظروف والمقومات التي تجعل من الشَّاعر شاعراً، وحتى على سبيل تطابق المعاني والذي عاب فيه بعضهم على الأُنَدُلُسيين نجد أنَّ الكثير من القدامي قد

---

[٢] المصدر السابق :ص١٢٠ .

[١] تاريخ الأَدب العربي: ص ١١

أجازوه قال صاحبه الصناعتين : ((ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تداول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالبهم)) [٢].

ويقول الجاحظ: ((نظرنا في الشّعر القديم والحديث فوجدنا المعاني تقلبُ ويؤخذ بعضها من بعض، ولا يعلم في الأرض شاعر" متقدم" في تشبيه مصيبُ أو معنى غريب إلا يدعيه فإنه لا يدع أنْ يستعين بالمعنى وعلى هذا تداول الشُّعراء المعاني من قديم الزمان)). [١]

ولعل الذي دفع القائلون بتقليد الشعر الأُنَدلُسي، هو تاخره عن الشعر في المشرق ، كان التاخر يتعلق بأسباب خاصة بالأُنَدلُسي ، مثل التاخر في الاستقرار السياسي فالمعلوم أنه لما دخل العربُ الأُنَدلُس لأول مرة، انشغلوا بالغزو والحرب وتوطيد دعائم الأمن في دولتهم الوليدة، وتنظيم الملك والدولة، فلم يتح لهم ذلك فراغاً يهدأون فيه لنظم الشّعر وقرضه، وبعد أَنْ استراحوا من الفتح رجعوا إلى طبيعتهم المتأصلة فيهم وإلى الملكة التي نشأوا عليها، وورثوها في دمائهم وهي قرض الشّعر، فالشّعر عندهم يمثل غذاءهم الروحي، ومتعتهم النفسية، ومرآة لحياتهم الاجتماعية العقلية والسياسية فالعربي يتغني به في حله وترحاله، يصدر فيه ما يجيش بخلده من حب وغضب ويرسم فيه ما يحيط به من جمال الطبيعة وتلهمه به هذه الجنة الساحرة من روائع القصيد.

وكان الشّعر أسبق أُنواع الأَدب والفنون، والمولود الأَوَّل للأُنَدلُسيين في هذه البيئة الجديدة فانتشر سريعاً بين جميع الطبقات في المجتمع الأُنَدلُسي، وأَقبل الناس على نظمه الأُمراء والخلفاء، والوزراء، والفقهاء والحكماء ،والأَدباء وغيرهم، يقول في ذلك ابن حيان: ((باستطاعة الفلاح الذي يحرث الأرض أَنْ يرتحل إلى الشّعر في أَيِّ موضوع يعنُ له)). [٢] ولذلك يمكن القول إِنَّ الشّعر الأُنَدلُسي امتداد للشّعر في المشرق ؛ فقد كان الأُنَدلُسيون متعلقين بالمشرق ومتأثرين بكل جديد فيه عن طريق الكتب التي تصل إِليهم منه، أو العلماء الذين يرحلون من المشرق أو

---

[٢] نفح الطيب في غصن أُنَدلُس الرطيب : ص١٨٣

[١] البيان والتنبين: ص٢٥

[٢] المقتبس :ص١٢٠ ، تحقيق ملتشود انطونيا ، باريس ١٩٣٧م

الأَنَدلُسيين الذين يفدون إلى الشرق للحج أو لطلب العلم، وكانوا في بداية أمرهم مقلدين للمشارقة ويبدو ذلك واضحاً في أَلْقاب الشُّعَراء وفي معارضاتهم لشعراء المشرق، ولكن هذا التقليد لم يمنعهم من الإبداع والابتكار والتميز بميزات تخصهم نتيجةً لعوامل كثيرة وقد مثل الشِّعر ركناً من أركان الحضارة العربية والأُنَدلُسية حيث عبر عن قوالب تلك الحضارة وعن مضمونها وكان شعر الطبيعة من أَكثر الأَجناس الشِّعرية ازدهاراً في الأُنَدلُس. ونقف فيما يلي على جوانب من شعر الطبيعة في الأُنَدلُس لنبين مدى الأَصالة والتقليد فيه كنموذج للشِّعر الأُنَدلُسي.

أولاً : مفهوم شعر الطبيعة :

يُقصدُ بشعر الطبيعة في الأَدب العربي الشِّعر الذي يتناول بالتعبير قسمين رئيسين : الطبيعة الصائته ؛ وهي ما اشتملت عليه الطبيعة من الكائنات الحية المتحركة ذات الصوت سوى الإنسان، وذلك كأنواع الطيور والحيوانات المختلفة؛ لأنه ما من كائن حيّ منها إلا وله صوت مميز مهما تقاربت صوره وأَنماطه، ثم الطبيعة الصامتة ويقصدون بها ما اشتملت عليه الطبيعة من أنواع ثلاثة :

الجمادات الطبيعية المختلفة سواء ما سكن منها ؛ كالأرض وجبالها وكثبانها ..إلخ وما تحرك منها كالأنهار والبحار والغِدران وبقية المائيات، والنباتات المختلفة وما يتصل بها: كالرياض والبساتين والأزهار والأَشْجَار إلى غير ذلك، والظواهر الطبيعية المختلفة: كالشَّمس والقمر والنجوم والكواكب والرعد والبرق والرياح والنار والليل والنهار والربيع والشتاء والصيف ... وقسم بعضهم الطبيعة الصامتة إلى طبيعة طبيعية وهي التي أشرنا إليها وأَخرى صناعية وهي التي يرجع إلى الإنسان فضل تأليفها وتنسيقها كالقصور والبرك المائية والنوافير وغير ذلك من كل مظاهر الجمال المصنوع، وإذا نظرنا إلى شِعْر الطبيعة في الأَدب العربي منذ نشأته نجده قد شمل كل ما يحتويه كتاب الكون المنظور سوى الإنسان وبذلك يكون قد تناول الطبيعة الصائته والطبيعة الصامته معاً فهو إذن الشِّعر الذي يصور الطبيعة بنوعيها الصائت والصامت، وقد عَرِفَ الشَّاعر العربي القديم هذا الفن الشِّعري في زمن مبكر ثم تابع شعراء العربية عنايتهم بتصوير الطبيعة بقسميتها في المشرف العربي حيناً

وفي مغربهم بالأُنَدلُس حيناً آخر على تفاوت بينهم في درجات التوفيق النفسي والفني.

أما أَسبابُ شعرِ الطَّبيعةِ وبواعِثُه في الأَدب المشْرِقيِّ فقد يرجع إلى وصل شعُر الطبيعة في ظل الدولة الحمدانية على أيدي شعراء حلب بالشام إلى قمته، إذ إنَّ القصر الحمداني بحلب قد جمع حوله وبين جنباته من عشاق الطبيعة نقراً غير قليل من الشُّعَواء وجهوا عنايتهم الكبرى إلى هذا اللون الأَدبي، واستنفذوا كل طاقاتهم الإبداعية في عرض نماذجه ولعل ذلك يرجع إلى أَسباب وبواعث يتصل بحياتهم وظروفهم وطبيعة عهدهم، أهمها أمران: الأَوَّل أمر" بيئي يرجع إلى طبيعة هذا الإقليم وجمال بيئته التي بث فيها الله ألواناً من الجمال ما يحرك الشَّاعر، والثاني أمر" نفسي" يرجع إلى وجود شاعر العربية الأكبر على قمة الحياة الأَدبية في عهدهم " المتنبي " الذي كان يسد عليهم الأفق على سعته ويغلق عليهم منافذ القول في المدح أمام سيف الدولة، فلم يجد الشُّعَواء عزاء وسلوى لهم غير القول في الطبيعة، فانطلقوا يصفون بيئتهم الحلبية المترفة بالحسن، الناطقة بأَلْسِنةِ الجمال، خاصة وأنهم قد وجدوا في المتنبي ما يشبه العزوف عن هذا اللون الشِّعري ؛ لعدم قربه من تكوينه النفسي الطموح الذي لا يرضي بغير الولاية أو الإِمارة، بديلاً لذلك نجده وقد سخر كل طاقته في المديح الذي يتخذه وسيلته المثلى إلى غايته الكبرى [1].

من أجل ذلك لقد توجه الشُّعَواء الحلبيون إلى هذا الفن الشِّعري وكادوا يتخصصون فيه، وقد برع منهم من حمل اللواء وتقدم الركب وهو شاعر الطبيعية أبوبكر الصنوبري، ثم كوكبه من الشُّعَواء ساروا في ذات الاتجاه أمثال السري الرفاء، وكشاجم، وإبي الفرج، وأبي العباس النامي والوأواء الدمشقي وغيرهم ممن تحدثت عنهم يتيمية الدهر للثعالبي[2]. بإفاضة وإعجاب، حيث يتقدم الصنوبري شعراء عصره في الهيام بمحاسن الطبيعة فأكثر الحديث عنها وقسم القول فيها إلى أبواب متميزة .

---

[1] الشعر الأندلسي: ص ١٤٠ ترجمة حسين يونس ط٣ ، القاهرة ١٩٥٢م

[2] الروضيات: ص ٣٥ ، تحقيق محمد الصباخ ط٢ ، حلب ٣٤١هـ

بَابُ الرَّوضاتِ، يتحدثُ فيه عن سحر الحدائق والبساتين، وبابُ الزَّهريات يصف فيه الأقحوان والسوسن والشقيق والنرجس والسرين والورد والياسمين، ولم يكتفِ بذلك بل يقيم المناظرات بين نوع ونوع ويفضل صنفاً على صنف، وقد تقدم على بن العباس الرومي إلى نحو ضئيل من ذلك، وأصبح فن المناظرات الشِّعرية بين الأزهار على يد الصنوبري بدعة العصر حتى عُرف بعض الشُّعراء بالتعصب لنوع من الأزهار فعُرِف الوأواء الدمشقي بحب النرجس، والسري الرفاء بحب الورد الأحمر، وأشتهر أبوبكر الخالدي بوصف شقائق النعمان.أما الثمار فقد أكثروا فيها من لارنج وليمون وبطيخ وشمام وتفاح، وفي مجال المائيات فقد عنوا بالحديث عنها وتفصيل أوصافها مثل السحاب والنهار والسواقي والبرك والثلجيات وكذلك فاضت أشعارهم بالحديث عن الرَّبيع وبقية فصول السنة من صيفٍ وشتاءٍ وخريفٍ.

وإذا استقرأنا هذه الأشعار نجدها – على كثرتها– تتشابه وتتقارب في الاعتماد على الصورة الحية، ويقل فيها التعاطف الوجداني الذي يندمج معه الشَّاعر في الطبيعة التي صورها، حتى لا تجدُ فروقاً واضحة بين شاعرٍ وآخر.

سنعرض فيما يلي نماذجاً من شعر الطبيعة قالها عملاقة الشُّعراء في المشرق، وهؤلاء العملاقة هم الذين تتيح لهم شهرتهم وتمكنهم أنْ يكونوا قدوة تحتذى، وهم بمثابة القادة والرواد الموجهين للأدب في المشرق والمغرب .

قال أبو تمام يصف الربيع:

رق حواشي الدهر فهي تمرمر *** وغدا الثرى في حليه تتكسر
نزلت مقدمة المصيف حميدة *** ويد الشتاء جديدة لا تكفر
لولا الذي غرس الشتاء بكفه *** لاقي المصيف هشائماً لا تثمر
من كل زاهرة ترقرق بالنَّدى *** فأنها عين إليك تحدَّر
مصفرة محمرة فكأنها *** عصب تيمن في الوغى وتمضر [1]

وإلى شاعر آخر وقد اجتمعت له المقومات ليكون شاعراً ممتازاً في الطبيعة، وتدل سيرته على أَنَّه كان محباً للتجوال كثير الرحلات، ويألف الرياض من

[1] ديوان أبي تمام: ص١٩١

النضرة والحدائق الملتفة، ويميل إلى الغناء والمداعبة، وإنَّ حبه للطبيعة كان عميقاً وهو أبوبكر محمد بن أحمد الصنوبري (ت٣٣٤هـ) إذ يقول :

يا ريم قومي الآن ويحك فانظري *** ما للربا قد اظـهرت إعجابها
كانت محاسن وجهه محجوبة *** فالآن قد كشف الربيع حجابها
ورد بدا يحكي الخدود ونرجس *** يحكي العيون إذا رات أحبابها
وشقائق من المطارق قد بدت *** حُمراً وقد جعل السواد كتابها
لو كنت أملك للرياضِ صيانة *** يوماً لما وطـئ اللئام ترابها

وكذلك يقول الصنوبري في وصف نهر حلب المسمى " قويق "

قويق" إذا شم ريح الشتاء ***أظهر تيـهاً وكبراً عجيبا
وإِنْ أقبل الصيفُ أَبصرتَه *** ذليلاً حقيراً حزيناً كئيبا
إذا ما الضفادع نادينـه *** قويق" قويق" أبي أَنْ يجيبا
وتمشي الجـرادُ فيه*** فلا تكاد قوائمها أنْ تغيبا[1]

فالشَّاعر يصف النهر الذي كان يِعْمُر بالماء شتاءً فيشعر بالخيلاء والزهو ويجف صيفاً فتصيح فيه الضفادع شاكية ناقمة متذمرة عما يشعر النهر بالضعف والهوان .

وكذلك من شعر الطبيعة قول أبي العباس النامي في وصف السحاب وبكاء المزن وضحك الرياض.

خَليلَيَّ هَلْ لِلْمُزْنِ مُقلَةُ عاشِقٍ *** أُمِ النَّارُ في أَحْشائِها وَهْيَ لا تَدْري
سَحابٌ حَكَتْ ثَكْلى أُصيبَت بِواحِدٍ ***فَعاجَتْ لَهُ نَحْوَ الرِّياضِ على قَبْرِ
تَرَقْرَقُ دَمْعاً في خُدودٍ تَوَشَّحَتْ *** مَطارِفُها بِالْبَرْقِ طِرزاً مِنَ النَّثْرِ
فَوَشْيٌ بِلا رَقْمٍ وَنَسْجٌ بِلا يَدٍ *** وَدَمْعٌ بِلا عَيْنٍ وَضِحْكٌ بِلا ثَغْرِ[1]

فالإبداع يظهر ويتجلى في أَنَّه تجاوز الصورة الحسية البصرية إلى الوصف النفسي محاولاً استكناه السحابة واستيطانها وخلع الحياة عليها وإبراز عاطفة متقدة نحوها متخذاً منها صورة لفؤاده المعذب وهذه الكثرة الحسية في الكم والرؤية النفسية

---

[1] ديوان الصنوبري: ص٤٧

[1] ديوان أبي العباس: ص١٢٠

المتواضعة في الكيف هو المدى الذي وصل إِليه شعر الطبيعة الصامته بالمشرق في بيئه لم يظفر في آية بيئة مشرقية بمثل ما حظي به في كنف الحمدانيين بالشام ازدهاراً وقوةً ونماءً.

ثانياً :شعرُ الطَّ بيعةِ في الأَدب الأَنْدَلُسي وعواملُ ازدهارِه

طرق الأُنْدَلُسيون في شعرهم كافة فنون الشعر، من الزهديات إِلى التهكم. ونظموا قصائد الحماسة، والنسيب، والرثاء، والهجاء، والوصف بصفة خاصة وقد أطنب الشُّعَراء في وصف جمال الأُنْدَلُس وتصوير سهولها الممرعة وحدائقها الغناء ومياهها الدافقة وثمارها اليانعة وأطيارها الصادحة ومما تغني به بن خفاجة[1] قوله:

يا أهل أُنْدَلسُ بالله دركم *** ماءٌوظـلٌ وأنـهارٌ وأشجارٌ

ما جنة الخلد إِلا في دياركم *** ولو تخـيرت هذي كنت اختار

وإِذا كان المرء إِلى حد كبير ابن بيئته، فقد كان لمناخ هذه البلاد، وطبيعتها تأثير جليٌّ في طباع أهلها، وأمزجتهم وميولهم ونزعاتهم وطرق معيشتهم، وبالتإِلى في فنونهم وآدابهم ومختلف ألوان نشاطهم وإِبداعهم.

وإِذا كان الأَدب نتاجاً للبيئة، وكانت شخصية الأَديب وليدة الظروف المحيطة به والتي تعدو الطبيعة من أهم مكوناتها فمن الطبيعي أَنْ يصف شاعرنا القديم رحابة الصحراء وامتداد الأفق، وصفاء السماء، ولمعان النجوم، سرى الليل، وعدو الخيل، وكان من حق الشاعر الأُنْدَلُسي أَنْ يصف الرياض والحياض، والجبال والوديان، والأزهار والأطيار والظلال، والمياه وغيرها من مفردات الطبيعة.

ومن خلال استقراء الشعر الأُنْدَلُسي يظهر لنا وصف الطبيعة لدي معظم الشُّعَراء، وأَنَّ الشاعر الأُنْدَلُسي كان كثير التجارب مع بيئتة الجديدة وطبيعة بلاده الجميلة، ومن هنا يمكن القول بأَنَّ شعر الوصف بصورة عامة ووصف الطبيعة بصورة خاصة قد شغل حيزاً واسعاً في ذهنية الشاعر الأُنْدَلُسي إِلى درجة لم يكن لها مثيل عند أَقرانه من شعراء الأقاليم الأُخرى، وذلك نتيجة لاستجابته لمؤثرات البيئة وما انطوى عليه بلاد الأُنْدَلُس من مشاهد الفتنة ومظاهر الحسن، وهكذا انفعلت

---

[1] ديوان ابن خفاجة: ص١١٦

نفوسهم بما استشعرت حولها من عناصر الجمال، وفاضت قرائحهم ببديع القول تجاه تلك الربوع التي شغفوا بها وكان ابن خفاجة شاعر الطبيعة الأَوَّل كان ينطق عن كل أُندلسي: ولعل أبرز ثمرة من ثمار البيئة الأَندلوسية الجديدة في الشهر العربي، هو انعطاف هذا الشعر في كثير من نماذجه إِلى الطبيعه وتصوير مشاهدها وما كان من تغلغل مظاهرها في كثير من أغراض الشعر الأُنَدُلُسي .

هكذا دخلت الطبيعة حياة الأُندلُوسيين وخالطت نفوسهم وتغلغلت في أشعارها.

ومن عواملُ ازدهارِ شعرُ الطَّبيعةِ في الأَدب الأُنَدُلُسي :

١-جمال الطبيعة الآسرة في بلادهم .

٢- ازدهار الحضارة العربية في الأُنَدُلُس ازدهاراً كبيراً.

٣- كثرة مجالس الأنس والبهجة واللهو.

هذه العوامل مجتمعة وغيرها قد ساعدت على ازدهار شعر الطبيعة في البيئة الأُنَدُلُسية، عليه يمكن القول إِنَّه من بواعث الأُنَدُلُسيين إلى الإحساس بالطبيعة وقول الشِّعر فيها جمال الطبيعة الآسرة في بلادهم، إذ إنَّ طبيعة الأُنَدُلُس بين طبائع البلدان كطبيعة الربيع بين الفصول والأيام، صاغها الله آية رائعة من فرائد آياته ومثلاً نادراً من بدائع آثاره فجاءت كما يشاء الفن الرفيع الآسر عروس الكون وغرة الأوطان، وفتنة الآفاق، فقد حبا الله الأُنَدُلُس طبيعة فاتنة تمتد في بطاحها السهول الواسعة الخصبة، وتجري فيها الجداول والأنهار وتغرد على أفنانها العنادل والأطيار وتنساب في مراعيها المعشوشبه الماشية والأنعام، ويعمل الفلاحون نشطين فرحين في حقولها المعطاة ويعطر النسيم العليل جوها المعتدل البليل وتنثر شمس المساء بمنثور الذهب أفقها الرَّحب وقت الغروب فينعكس على صفحات المياه ويجعل عالم السماء في شبه الجزيرة متوعاً بالضوء، ثرياً بالصور غنياً بالنغمات الموسيقية الحالمة مما جعل الطبيعية الأُنَدُلُسية نفسها هي الشِّعر ومن هنا شغفت بها قلوب الأُنَدُلُسيين وهامت بها نفوسهم وتعلقت بها أَفئدتهم وفتنوا بها حتي حسبوها جنة الخلد بمائها النمير – وظلها الظليل، حتي ظنوا أنَّ الله قد عجل لهم بها في الدنيا ليريهم آية من آياته وصورة من جمال جناته ويقول في ذلك شاعرُهم ابن خفاجةِ:

يا أهـ لَ أُنَدُلُس لله دركم *** ماءٍ وظـل" وأَنـهار" وأَشجار

ما جنة الخلد إلَّا في دياركم *** ولو تخيرتُ هذه كنت أَختار

لا تخشوا بعدها أنْ تدخلوا سقراً *** فليس تدخل بعد الجنة النار[1]

ينظر الشاعر إلى مفردات الطبيعة من الماء والظل والأنهار والأشجار وكأنها غاية في هذه الدنيا، ويعقد مشابهه بين طبيعة الأُنَدُلُس وجنة الخلد، فالشاعر أصبح ينظر إلى كل مفردات الحياة من خلال مكونات الطبيعة الأُنَدُلُسية فكان الشاعر شديد الحب لوطنه وتعلقه به وحنينه إِليه.

وقد أطنب الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في وصف طبيعة الأُنَدُلُس وأَثرها في نفوس أدبائها وشعرائها وتوجيه ملكاتهم وطاقاتهم الفتية إلى وصفها وتصويرها والتفاعل معها ومن ذلك قول المقري: ((وهم أشعر الناس فيما كثره الله في بلادهم وجعله نصب أعينهم من الأشجار والأنهار والأطيار، لا ينازعهم أحد " في هذا الشأن وأَمَّا إذا هب النسيم ودار كأس في كف ظَبْيٍّ رخيم، وصفق للماء خرير"، وأورقت العشبة، وخلعت السحب إيرادها الفضية والذهبية أو تبسم عن شعاع ثغُر نهرٍ أو ترقرق جفن زهر أو خفق بارق" أو وصل طيف طارقٍ أو وعد حبيب غرار من الظلماء تحت جناح وبات مع من يهوى كالماء والراح فاولئك هم السابقون السابقون الذين لا يجارون ولا يلحقون وابن خفاجه سابقهم إلى هذا المضمار الحائز في قصب الرهان وقد أعانهم على الشّعر أَنسابُ هم العربية وبقاعهم النضرة وهممهم الأبية))[2] فقول المقري هذا دليل على أَنَّ مظاهر الطبيعة الجميلة التي كثرها الله في الأُنَدُلُس هي التي أثارت في أهلها جذوة الشَّاعرية ووجههم إلى هذا اللون من الأَدب في شعر الطبيعة.

لم يكن جمال الطبيعة في الأُنَدُلُس هو وحده الذي ساعد على ازدهار شعر الطبيعة هذا، بل أنَّ حياة المجتمع الأُنَدُلُسي أثرت أيضاً في تطور هذا اللون الشّعري الذي يمثل تعلق الشُّعَواء الأُنَدُلُسيين ببيئتهم وتفضيلها على غيرها من البيئات. ولكون الشّعر عندهم يصف طبيعة الأُنَدُلُس سواء الطبيعية أو الصناعية، فهم يصورونها عن طريق الطبيعة كما أبدعها الله في الحقول والرِّياض والأنهار والجبال والبرك

---

[1] ديوان ابن خفاجة: ص ٣٥ .

[2] نفح الطيب في غصن أُنَدُلُس الرطيب : ص١٦٠.

والأحواض وغيرها ، وقد كان وصف الطبيعة في الشّعر العربي منذ العصر الجاهلي إذ وصف الشُّعَراء الصحراء وتفننوا في وصفها ولكن هذا الوصف لا يتعدَ الجانب المادي، وفي العصر الأموي والعباسي عندما انتقل العرب المسلمون إلى البلدان المفتوحة وارتقت حياتهم الاجتماعية، أضافت إلى وصف الطبيعة وصف المظاهر المدنية والحضارية وتفننوا في ذلك فقد وصف الطبيعة الشُّعَراء العباسيين أمثال: الصنوبري، وأبي تمام وأبي بكر النجدي الذي عاش في بيئه حلب ولكن أَضاف الأُنَدُلسيون على هذا الموضوع حتى أصبح من الأغراض والموضوعات التي عرف بها أصل الأُنَدُلس.

ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار شعر الطبيعة في الأُنَدُلس إضافة إلى جمال الطبيعة والبيئة الأُنَدُلسية نجد ازدهار الحضارة العربية في الأُنَدُلس ازدهاراً كثيراً مما شمل جميع جوانب الحياة الأُنَدُلسية وازدهار مجالس الأنس والبهجة واللهو، حيث كانت هذه المجالس تعقُد في أحضان الطبيعة.

وكذلك من العوامل التي ساعدت على ازدهار شعر الطبيعة في الأدب الأُنَدُلسي وصف المرأة، فقد اعتاد الشُّعَراء عرباً وأعاجم تشبيه محاسن المرأه بمفاتن الطبيعه كأنْ يجعلوا قدها كالغصن وشعرها كالليل، غير أنَّ شعراء الأُنَدُلس كانوا بحكم بيئتهم أكثر تجاوباً من سائر شُعَراء المشرق مع مشاهد الطبيعة التي حفلت بها بلادهم الجميلة، وكان من المنطقي تبعاً لذلك أنْ تشيع معاني الطبيعه في موضوعات الغزل ويسري نسقها في عناصر تصوير جمال المرأة فها هو ذا المعتضد العبادي[1] يصف ليلةَ لهوٍ وشراب ويقول متغزلاً :

نضد بردها عن غصن بانٍ مُنعم *** نضيراً كما أنشق الكمام عن الزهر

وعلي العكس من ذلك عندما تغدو الطبيعة لدى الشاعر متسمة لملامح المرأة وهكذا يصور ابن سهل الإِشبيلي بهاء الطبيعه مستعيراً لها معنى الغزل وواجداً في الأرض امرأة حسناء تتبرج بزهوٍ[1]

الأرض قد لبست رداءً أخضرا *** والطل ينثر في رباها جوهرا

---

[1] ديوان المعتضد بن عباد: ص١١٦ ، تحقيق السويس تونس١٩٧٥م.

[1] تاريخ الفكر الأندلسي: ص١١٢ بالنثيا ، ترجمة حسين مؤنس ط مكتبة النهضة القاهرة ١٩٥٥م

وكأنَّ سوسنها يصافح وردها *** ثغر يقبل منـه خداً أحمرا

وعلي هذا الغرار يتم التبادل والتقابل في الشعر الأَنْدَلُسي بين عنصري الطبيعة الجميلين: الطبيعة والمرأة علي أَنَّ الطبيعة تتجلى أكثر في غزل بن زيدون حين يصعب في كثير من الأحيان التمييز بين ملامح المرأة وبين مشاهد الطبيعة، وفي نونيته المشهورة مثالاً على هذه الظاهرة في شعر الأَنْدَلُسيين عامة وفي شعر بن زيدون بوجهة خاص ومن ذلك قوله:

الهوى في طلوع تلك النجوم *** والمنى في هبوب ذاك النسيم

وتبلغ الظاهرة مداها عند ابن خفاجة شاعر الطبيعة الأكبر في الأَنْدَلُس حين يزاوج بين الطبيعه والمرأة في أكثر شعره، إذ كان الشُعَراء قد درجوا علي تشبيه المرأة بما يناسبها من مشاهد الطبيعة فابن خفاجة يجنح في أكثر شعره الوصفي إلى تصوير الطبيعة امرأة فاتنة الحسن بضة الجسد، فالأراكة ليست سوى فتاة طروب في قوله:

فكأنها وكأَنَّ جدول مائها *** حسناء شد بخصرها زنار

أي هي غادة كثيرة التثني ازدهت بأبهى حلي وازدانت بأحلى زينة

وصقيلة الأنوار تلوي عطفها *** ريح تلف فروعها معطار

فالنور عقد والغصون سوالف *** والجزع زندٌ والخنيج سوار

هكذا تراءت المرأة للأَنْدَلُسيين صورةً زاهيةً من جمال الطبيعة ومظهراً فاتناً من مظاهر حسنها، ومن قبل لمس المقري في كتابه نفح الطيب هذه الظاهرة المميزة عند الأَنْدَلُسيين فقال: ((أنهم إذا تغزلوا صاغوا من الورد خدوداً، ومن النرجس عيوناً ومن الآس أصداغاً ومن السفرجل نهوداً ومن قصب السكر خدوداً ومن قلوب اللوز وسرر التفاح مباسماً ومن ابنة العنب رضاباً)) [1] .

ثالثاً خصائصُ وسماتُ شعر الطبيعة في الأَنْدَلُس:

١- أفرد شعراء الطبيعة في الأَنْدَلُس قصائد مستقلة ومقطوعات شعرية خاصة في هذا الغرض، بحيث تستطيع هذه القصائد استيعاب طاقة الشَّاعر

[1] نفح الطيب في غصن أَنْدَلُس الرطيب

التصويرية وخياله التصوري على غير الالتزام الذي تسير عليه القصيدة العربية، فلم يترك الشَّاعر الأُنَدلُسي زاوية من زوايا الطبيعة إلا وطرقها.

٢- يعتبر شعر الطبيعة في الأُنَدلُس صورة دقيقة لبيئة الأُنَدلُس، ومرآة صادقة لطبيعتها وسحرها وجمالها، فقد وصفوا طبيعة الأُنَدلُس الطبيعية والصناعية ممثلة في الحقول والرياض والأنهار والجبال وفي القصور والبرك والأحواض.

٣-تُعد قصائد الطبيعة في الشّعر الأُنَدلُسي لوحات بارعة الرسم أنيقة الألوان محكمة الظلال تشد انتباه القارئ وتثير اهتمامه.

٤-أَصبح شعر الطبيعية نظراً للاهتمام به يحل محل أَبيات النسيب في قصائد المديح، بل أَنَّ قصيدة الرثاء لا تخلو من جانب من وصف الطبيعية.

٥-أصبحت الطبيعة بالنسبة لشعراء الأُنَدلُس ملاذاً وملجأً لهم يبثونها هموهم وأحزانهم، وأفراحهم وأتراحهم إلَّا أنَّ جانب الفرح والطرب غلب على وصف الطبيعة فتفرح كما يفرحون، وتحزن كما يحزنون.

٦-وصف الطبيعة عند شعراء الأُنَدلُس مرتبطاً ومتصلاً بالغزل والخمر ارتباطاً وثيقاً، فوصف الطبيعة هو الطريق إليها فكانت مجالس الغزل والخمر لا تُعقد إلا في أحضان الطبيعة .

٧- المرأة في الأُنَدلُس صورة من محاسن الطبيعة، والطبيعة ترى في المرأة ظلها وجمالها.

كان للزهرِ حيز" كبير" في الشعر الأُنَدلُسي يعدل ما كان له من شأنٍ في حياة الأُنَدلُسين عامة، ومن قبل عني شعراء العرب في ربوع جزيرتهم بوصف أزهار البراري على ندرتها فوصفوا نبات الشيح والعوار والرند بنفحاتها الناعشه وشذاها العطر.

وقد دأب الشُّعَواء على وصف الورد والياسمين والريحان والنور والبهار والفيلفور والآس والنرجس والبنفسج والخيري والجلنار والسوسن فأكسب ذلك شعر الطبيعة غزارة ميزته حتى أصبح أبرز الظوار التي اتسم بها الأَدب الأُنَدلُسي.

وكان من ملامح وصف الطبيعة في الشعر الأُنَدلُسي الإيغال في التصوير القائم على التزيين والتلوين جرياً على ما عرف به الأُنَدلُسيون من ميل إلى الزخرفه

والزينة، والشاهد على ذلك ما نجده عند بن عبد ربه الذي نظم في فصول كتابه الكبير عقداً فريداً ورصع رأس كل فصل من فصوله بجوهرة تغاير سائر الجواهر في بهائها وتألقها، وكذلك نجد ذلك في ما عمد إِليه ابن حمديس في مطلع إحدى قصائده حين استرعى منظر البرد المنتشر على الأرض صورة قلائد الدر التي تطوق نحور الغيد أو ما دأب عليه بن خفاجة في تشبيه ألق الماء بلجين شمس الأصيل وبالذهب وقد بلغ هذا المنحنى في الشعر الأُنَدلُسي ذروته في فن الموشحات الذي قام أصلا على أعمدة التزيين والتلوين. [١] .

إِنَّ النزعة الكبيرة لدى بعض شعراء الطبيعة في الأُنَدلُس إلى التلوين والتزيين في العبارات أدت إلى اكتظاظ الصور في أشعارهم التي حفلت بالتشبيهات والاستعارات. [٢]

إِنَّ البهجة والمرح والنشوة والحبور قد سبغت معظم الصور والمعاني في شعر الطبيعة الأُنَدلُسي .

ولعل من أبرز ملامح شعر الطبيعة الأُنَدلُسي اتسامه بالغزارة ثم انفراده في كثير من الأحيان بقصائد خالصة لوجه الطبيعة، على أنَّ هذا الشعر على كثرته قد لا يعني تفوقه على نظيره في المشرق، إلا أنه يبقى ظاهرة مميزة في الأَدب الأُنَدلُسي لم يكن لها هذا الشأن في سائر الأَدب العربي في المشرق، حيث كان وصف الطبيعة في معظم الأحيان يعيش على هامش الأغراض الشعرية الأخرى، فهناك شعراء بأعينهم في الأُنَدلُس عرفوا بهذا اللون من الشعر أي شعر الطبيعة والذين لم يعرفوا به منهم كان للطبيعة أثرها البالغ في سائر أغراضهم وموضوعاتهم وفي صيغ معانيهم وصورهم إلى درجة يمكننا أنْ نقول أنَّ وصف الطبيعة كان بمثابة وتراً أضافه الأُنَدلُسيون إلى جانب الأوتار الأخرى في غيثارة الشعر العربي وعزفوا من خلاله أبهج الألوان[١].

رابعاً : نماذج من الوصف في شعر الطبيعة

---

[١] تاريخ الفكر الأندلسي: ص١٩٥

[٢] الموشح الأندلسي : عبد الحميد شيحة : دار النهضة العربية القاهرة ١٩٩٦م

[١] الشعر الأندلسي : إميليو جارثيا : ترجمة حسين مؤنس، ٢٠٠٥، ، دار الثقافة العربية بيروت .

نعرض فيما يلي بعض الأصناف التي وصفها الشُّعَراء وصوروها في أشعارهم:

١- الرَّوضِياتُ :

وهو الشِّعر المختص في الرياض وما يتصل بها ومن أَمثله ذلك، الأبيات التي قالها أبو الحسن بن زنباع التي يصف فيها قصة الطبيعة وفعل السحاب والأمطار في الأرض قال :

أبدت لنا الأيامُ زهرة طيبها *** وتسربلت بنضيرها وقشيبها
واهتز عطفُ الأرض بعد خشوعها *** وبدت بها النعماءُ بعد سحوبها
وتطلعت في عنفوان شبابها *** من بعد ما بلغت عِتيَّ مشيبها
وقفتْ عليها السحبُ وقفة راحم *** فبكت لها بعيونها وقلوبها
فعجبتُ للأزهار كيف تضاحكت *** ببكائها وتبشرت بقطوبها
وتسربلت حللاً تجر ذيولها *** من لدمها فيها وشق جيوبها
فلقد أجاد المزنُ في أنجادها *** وأجاد حرَّ الشمس في تربيبها[٢]

يشخص الشاعر مفردات الطبيعة ويقلع عليها صفات غيرها إجلالاً لها فيصف السَّحابَ بالمنقذ لتلك الزهرة بعد أنْ أصابها الذبول وجنت عليها الطبيعة فقست بقساوتها فسلبت منها النضرة والجمال، وفي ذلك تصور واضح من الشاعر ويظهر الشاعر تعاطفه وانحيازه للزهره فيضحك لضحكها وكأنَّه يريد أنْ يبين لنا تعاون مفردات الطبيعة ومساعدة القوي منها الضعيف.

ومن ذلك قول الشَّاعر الوزير عبد الله بن سماك :

الرَّوض مخضرُ الرُّبى متجمل" *** للناظرين بأجمل الألوان
وكأنما بسطت هناك شوارها *** خود زهت بقلائد العقبان
والماء مطرد"يسيل لعابُه *** كسلاسلٍ من فضةٍ وجُمانِ
بهجات حسنٍ أكملت فكأنَّها *** حسن اليقين وبهجة الإيمان[١]

---

[٢] ديوان ابن زنباع: ص ١١٥، أبو الحسن بن زنباع الصنهاجي، ١٩٥٥م، ، طبعة المعارف العثمانية،

[١] ديوان ابن السماك: ص٢٧

يصف الشاعر الروض بالحسناء التي تظهر في أروع زينتها مستخدماً في ذلك الصور الخيالية المتكاملة بين عناصر الطبيعة وكأَنَّه ينشد روح التعاون الذي يراه من خلال استكمال صوره بترابط مفردات الطبيعة.

٢-الزهريات :

وهو الشّعر المختص بالأزهار، وقد وصف الأُنَدلُسيون الأزهار وأَكثروا في هذا النوع من الوصف، فوصفوا الورد والنرجس والشقائق والياسمين والقرنفل واللوز وغير ذلك مما وقعت عليه عيونهم في تلك الطبيعة الخلابة، فهذا ابن حمديس يـ ُرثي باقة ورد أصابها الذبول فتحرقت حزناً وآسًى يقول :

يا باقة في يميني بالردى ذبلت *** أذاب قلبي عليها الحزن والأسف

ألم تكوني لتاج الحسن جوهرة ***لما غرقت فهلاً صانك الصَّدفُ[٢]

يتخذ الشاعر من باقة الورد التي أصابها الذبول إنساناً مات من الأسى والحزن، وهو تشخيص بليغ ينم عن قدرة الشاعر الفائقة في عقد المقارنة بين الأشخاص والطبيعة كجامع الحياة والنضارة.

ومن ذلك أبيات في زهرة الياسمين للمعتضد بالله عباد بن محمد بن عباد يصفها مشبهاً إيَّاها بكواكب مبيضة في السماء، ويشبه الشعيرات الحمراء التي تنسرح في صفحتها نجد حسناء بدا ما بدا فيه من آثار فيقول :

كأَنَّما يا سميننا الغضَّ كواكب" في السماء تبيضُّ

و الطرقُ الحمُر في جوانبه كخد حسناء مسه عضُّ[١]

تتضح قدرة الشاعر التشبيهية التي تفوق الخيال وذلك من خلال التشبيه المركب إذ جعل من زهرة الياسمين لشدة بياضها بالكواكب التي تطل في آفاق السَّماء في ظلام الليل ثم يجعل من الشعيرات المتدلية على صفحتها بالحسناء وما ذلك إلا لارتباط الشاعر بالطبيعة، وهو ملمح غزلي لأن المرأة في الأُنَدلُس صورة من محاسن الطبيعة.

٣-الثمريات :

---

[٢] ديوان ابن حمديس: ص١٤٠

[١] ديوان المعتمد بن عباد ملك أشبلية :ص٤٥.

وهو الشِّعر المختص بالأثمار والبقول وما يتصل بها :

فقد وصف الأُنَدلُسيون الثمرة نفسها فوصفوا التفاحة والسفرجل والرمانة والعنب وحتى الباذجان وأَبدعوا في ذلك كثيراً، يقول أبو عثمان المصحفي وقد تأمل ثمرة السفرجل

ومصفرَّة تختال في ثوب نرجس *** وتعبق عن مسكٍ زكيِّ التنفس

لها ريحُ محبوبٍ وقسوة قلبه *** ولونُ محب حُلَّة السقم مكتسي

فصفرتها من صفرتي مستعارة *** وأَنفاسها في الطيب أنفاسُ مؤنس

فلما استتمت في القضيب شبابها *** وحاكت لها الأنواء ابراد سندس

مددتُ يدي باللطف أَبغي قطافها *** لأجعلها ريحانتي وسط مجلسي

وكان لها ثوب" من الزغب أغبر *** يرف على جسم من التبر أملس

فلما تعرَّت في يدي من لباسها *** ولم تبق إلا في غلالة نرجس

ذكرت بها من لا أبوح بذكره *** فأذبلها في الكف حرِّ تنفس[٢]

الذي يلاحظ أَنَّ شعراء الطبيعة يتخذون من وصف مكوناتها مَعْبراً لعقد عدة تشبيهات فيبثون صوراً من الخيال والتشخيص وملمح الغزل واضح فيها كما في حديث هذا الشاعر عن ثمرة السفرجل التي جعلها فتاةً وأقلع عليها كل صفات الدلال فهذه الصورة عبارة عن تاريخاً لحياة السفرجل منذ كانت تختال على شجرتها باللوانها وريحها وروحها إلى أَنْ ذبلت في كف الشاعر.

٤-المائيات :

وهو الشِّعر المختص بوصف الأنهار والبرك والسواقي ومن ذلك ما وصف به ابن حمديس بركة من الماء في أحدِ القصور وقد احتوت على تماثيل لأُسود تقذف الماء من أفواهها، ولعل لفن النقش والنحت والزخرفة الذي كان سائداً آنذاك أثر" كبير" في جمال هذه الصورة التي رسمها الشَّاعر بكل براعة.

إذ يقول :

---

[٢] ديوام المصحفي: ص٤٦

وضراغم سكنت عرين رياسة *** تركت خرير الماء فيه زئيراً
فكانما خشيَّ النضارُ جسومها *** وأذاب في افواهها البلورا
أسْد" كأَنَّ سكونها متحرك" في *** النفس لو وجدت هناك مُثيراً
وتذكرت فتكاتها فكأنَّما *** أقعت على أدبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها ناراً *** والسنتها اللواحس نورا
فكأَنَّما سلت سيوف جداولٍ *** ذابت بتلا نار فعدن خريرا
وكأَنَّما نسج النسيم لمائه درعاً *** فقدَّر سردها تقديراً
وبديعة الثمرات تعبر نحوها *** عيناي بحر عجائب مسجورا
شجريةٍ ذهبيةٍ نزعت إلى سحر يُؤثَّر في النُّهى تاثيراً
قد سرَّحت أغصانها فكأَنَّما قبضت بهن من الفضاء طيورا [1]

على الرغم من غرق الشاعر الأُنَدلُسي في لجج الطبيعة لكن لم يزل في أواخر مخيلته المكوِّن الأَوَّل لشخصية الشاعر العربي من إظهار القوة والاعتداد بالنفس وقد وجد الشاعر في هذا المنظر ما يعود به إلى عهده الأَوَّل.

٥-الثلجيات :

الشِّعر المختص في الثلج والبرد

ومن الأبيات الرائعة التي قيلت في الثلج تلك التي قالها أبو جعفر ابن سلام المعافري (ت ٥٥٠ م) إذ يقول :

لم أر مثل الثلج في حسن منظر *** تقرُّ به عين" وتشنوه نفسُ
فنار" بلا نورٍ يضيء له سناً *** وقطرُ بلا ماءٍ يقلبه اللمس
وأصبح ثغر الأرض يفترَّ ضاحكاً *** فقد ذاب خوفاً أن تقبَّله الشَّمسُ[1]

أكسبت الطبيعة الشاعر الأُنَدلُسي لونية من الخيال الخصب استطاع بها أنْ يصور كل حركة الحياة من حوله والتشبيه بين مفردات الطبيعة والإنسان حاضر في مخيلته فيجعل للأرض ثغراً كالإنسان تضحك به كما جعل لها شعوراً للخوف والفرح.

---

[1] ديوان ابن حمديس: ص٥٤

[1] ديوان المعافري: ص١١

ومن ذلك أبيات" للشاعر ابن زمرك يمدحُ فيها السلطان ويصف الثلج في نفس الوقت فيقول :

يا من به رتب الإمارة تُعْـلَـي*** ومعالُم الفَرَرِ المشيدةُ تَـبْـتَـنِـي
أزجر بـهذا الثلج حـالاً *** إنَّه ثلج اليقين بنصر مولانا الغني
بسط البياض كرامة لقدومه *** وافترَّ ثغراً عـن كرامةُ معتني
فالأرضُ جوهرة" تلوح لمعتلٍ*** والدوحُ مُزهرِة" تفوح لمجتني
سبحان من أَعطى الوجود وجوده *** ليدل منه على الجواد المُحسن
وبدائع الأكـوان في إتقانها *** أثر" يشيرُ إلى البديعِ المتقنِ [٢]

كثيراً ما يتخذ الشاعر الطبيعة رمزاً للقوةِ والانتصار فالشاعر هنا يتخذ من بياض الثلج مجالاً للتفاؤل وشارة للانتصار والتأمل في قدرة الله سبحانه وتعالى في إتقان الكون ونظمه[١].

ومن رواد شعر الطبيعة في الأَنْدَلُس الشَّاعر (ابن خفاجة) وقد قال في الجبل حين راح يتامله وهو يفضي إليه :

وأرعنَ طمَّاح الذؤابة بازخ" *** يطاول أَعنـانَ السَّماءِ بغاربِ
وقور" على ظـهر الفلاةِ كأَنَّه *** طوال الليالى مفكر" في العواقبِ
أصغت إِليه وهو أَخرس صامتٍ *** فحدثني ليل الثرى بالعجائبِ
وقال : ألا كم كنتُ ملجأ قاتلٍ *** وموطـن اواهٍ تبتل تائبُ[٢]

اتخذ الشاعر من هذا الجبل وهو من أشهر مكونات الطبيعة رمزاً للوقار والهيبة وأخذ يصوره وكأنه إنسان تراكمت عليه الخبرات والتجارب فيرشده ويتعلم منه أساليب الحياة.

وقال بظلي ... وكم مرَّ بي من مُدلِج ومأَوبِ

إِنَّ كلمة قال في قوله: قال بظلي "يقصد بها استراح بظلي وقت القيلولة وليس من القول).

---

[٢] ديوان ابن زمرك : ص٧٥

[١] www.alnosara,wahaa.com2011.

[٢] ديوان ابن خفاجة: ص١١٧.

فاسمعنى من وعظه كل عبرة *** يتجرعها عنه لسـان التجارب

فسلي بما أبكى وسر بما شجى *** وكان على ليل الثرى خير صاحب

فكان ابن خفاجة بارعاً في تصويره الجبل الذي شبهه بالأخرس، ومزج مشاعره به، مما جعل الصور التي عرضها له نابضة حيه تثير في المتلقى الخواطر والتأويلات، فإذا قارنا قول ابن خفاجة هذا بما قاله قيس العامري قبله في الحديث عن جبل التوباد – إذ يقول :

واجهشتُ للتوباد حين رأيتُه *** وكبَّر للرَّحْـمنِ حين رآني

فقال مضوا واستودعوني بلادهم *** ومن ذا الذي يبقى على الحَدَثَانِ[٣]

في تقديرنا أنَّ ابن خفاجه قد استكمل جوانب الصورة العامة للجبل وانفعل بكل الأحاسيس والخواطر والأفكار أما قيس فكان تصويره للجبل مجرد خاطرة عابرة ، فكأنَّ شعراء الأُنْدلُس قد غرقوا في الطبيعة وصارت جزءاً من حياتهم وأسر جلَّ تفكيرهم حتى أصبحوا يرون في مظاهر الطبيعة صفات من يحبون واتخذوا من مباهج الطبيعة أداة للتذكر، نلمس ذلك في قول (المالقي) في وصفه جارية تدعي " حسن الورد" .

تذكرت بالورد حسن الورد منبته ***حسناً وطيباً وعهداً غير مضمون

هيفاء لو بعتُ أيامي لرؤيتـها *** بساعة لم أكن فيها بمغبون

كالبدر ركّبه في الغصن خالقُه *** فما ترى حين تبدو غير مفتون

وجد الشاعر الأُنْدلُسي في شعر الطبيعة سهولة الانتقال ومعبراً إلى أغراضٍ شعريةٍ أُخرى، خاصة الغزل ذلك لقرب العلاقة بين المرأة والكثير من مكونات الطبيعة كالبدر مثلاً والورد والزهر .

نقفُ في ختام قولنا على تجربة ابن زيدون الذي يعده الكثيرون أهم شاعر وجداني في الأُنْدلُس ارتقت تجربته الشّعرية على جناح الطبيعة إلى مستوى فنّي رفيع لم نعهده في أدب المشرق وقتذاك .

وقصيدته القافية المشهورة تؤكد هذا الجانب الابداعي والتي منها:

---

[٣] ديوان قيس بن الملوح: ص١٤٠.

إني ذكرتك بالزهـراء مشتاقُ *** والأفق طلق" ووجه الأرض قد راق
وللنسيم اعتـلال" في أُصائله *** كأنَّه رقّ لي فاعتل إشفـاق
والروض عن حاله الفضي مبتسم"*** كما حللت عن اللبات أطـواق
يوم" كأيام لذات لنا انصـرمت *** بتنا لها حين نـام الدهر سـراق
نلهو بما يستميل العين من زهرٍ *** جال الندى فيه حتى مال أعناق[1]

الذاتية يمثل خطوة رائدة في أدب الطبيعة عند العرب ويعد مظهراً من أبرز مظاهر التجديد في شعر الطبيعة الأَنْدَلُسي.

الفَصلُ الرَّابع
نشأةُ النَّقد الأَدَبي في الأندلُس وتطوره

المبحثُ الأَوَّل: نشأةُ النَّقـــــــــــــــــــد الأَدَبي في الأندلُس

المَبْحثُ الثَّاني: أثرُ المذاهبِ النَّقديةِ المَشْرقية على تكوين النَّقد الأندلسيّ

المَبْحثُ الثَّالثُ: عواملُ تطـــــــــور النَّـــــــــقْدِ الأندلُسيِّ

---

[1] ديوان ابن زيدون: ص١٥.

الفَصلُ الرَّابعُ
نشأةُ النَّقْد الأَدبي في الأنْدلُس وتطوره
المَبْحَثُ الأَوَّلُ
نشأةُ النَّقْد الأَدبي في الأنْدلُس

لم يكن للنقد الأَدبي في الأُندلُس صورة واضحة بيِّنة المعالم تعد نقطة حاسمة لتحديد بداية النَّقْد الأُندلسّي قبل القرن الرابع الهجرى ، فالمصادر – على كثرتها – لم تشر إلى وجود حركةٍ نقديةٍ واضحةٍ يمكن الحديث عنها ودراسة نقادها فى الوقت الذي يشهد فيه المَشْرِق العربي نهضة نقدية كبرى، تمثلت تلك النهضة فى ظهور كباراالنُقَّاد أمثال ابن طباطبا العلوي، والآمدي والقاضي الجرجاني والجمحي وغيرهم، لذلك يجوز القول بأنَّ بدايات النَّقْد فى الأُندلس تقابلها حركة" نقدية" مزدهرة فى المَشْرِق تتجاذبها تيارات عقلية ورؤى واتجاهات مختلفة بمثابة الطاقة التى دفعت بها إلى الأمام ، والمتفق عليه بين كثير من المؤرخين هو أنَّ للمشرق أثراً كبيراً على الحركة الأَدبية والعلمية فى الأُندلس فقد وفد إلى الأُندلس خلال القرن الرابع من المَشْرِق عدد كبير من العلماء والأُدباء وخصص المَقَرِّي باباً كاملاً فى نفح الطيب لذكر الوافدين إلى الأُندلس من المَشْرِق قال:((أعلم أنَّ الداخلين للأندلس من المَشْرِق

قوم" كثيرون لا تحصر الأعيان منهم، فضلاً عن غيرهم ، ومنهم من اتخذها وطناً ، وصيرها سكناً ، إلى أنْ وافته مَنيتّه، ومنهم من عاد إلى الَمشْرِق بعد أنْ قضيت بـالأُندلس أُمنيتَّه)) [1] ومنهم إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي، وأبوعلي القالي وأبو العلاء صاعد بن الحسين البغدادي، والسرخسي وأبوالحسن البغدادي وكذلك لكثيرٍ من العلماء والمشايخ الأُندلسيين رحلات" علمية إلى الَمشْرِق بدافع الحرص على ملاقاة مشاهير الشيوخ المعاصرين والرغبة فى نيل الإجازة والحصول على الأسانيد العالية والاستكثار من الشيوخ، يقول ابن خلدون : ((إنَّ حصول الملكات عن المباشرين والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ، فالرحلة لابد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال)) [1]، ففي العصور الأَوَّلى من تاريخ الأُندلس للرحلة أثر" بالغ " في نقل مختلف فنون العلم والمعرفة السائدة فى الَمشْرِق ، وقد كانت الرغبات العلمية للمرتحلين متباينة ومتنوعة ، فمنهم من يؤثر رواية الحديث ، ومنهم من يُعنى بتفسير القرآن ، ومنهم من من يطلب الفقه ومنهم يلقى شعر المشارقة كما أنَّ منهم من يطلب اللغة والنحو وكثير"منهم من يجمع عدداً من هذه الفروع العلمية والأَدبية .

ونركز في هذه الدراسة على أَوَّلئك النفر الَّذين أسهموا في نقل الأَدب وشاركوا فى تكوين وصقل الَّذوق الأَدبي الأُندلسّي، وبين الأُندلسيين وأهل الَمشْرِق علاقة" من نوعٍ خاصٍ ، فقد تعددت الوشائج التى تربطهم بالمنبع ، أَوَّلها العامل الدينى، وشدّ الَمشْرِق أنظار الأُندلسيين بسياساته، ومذاهبه وعلومه، نجد ذلك واضحاً عند من صرَّح بإعجابه وهيامه بـ الَمشْرِق وبشكلٍ أكثر وضوحاً عند من سعى جاهداً لإبراز الشخصية الأُندلسية المتميزة .

يقول ابن بسام : ((إنَّ أهل هذا الأفق – أي الأُندلس –أبـُوْا إلا متابعة أهل الَمشْرِق ، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة، رجوع الحديث إلى قتادة ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب" ، أو ظنَّ بأقصى الشام والعراق ذباب لجْوا على هذا صنماً ،

---

[1] نفح الطيب :ج٣، ص١١٦

[1] المقدمة : ص٤٠٦

وتلوا ذلك كتاباً مُحْكماً وأخبارهم الباهرة وأشعارهم السائرة، مرمى القصية، ومناخ الرؤية)) [٢] .

وقال المَقَرِّي عن الراحلين إلى المَشْرِق من الأُندلسيين : ((أعلم أنَّ حَصْر أهل الإرتحال، لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال، ولو أطلقنا عنان الأقلام ممن عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام، لطال الكتاب وكثر الكلام)) [٣]، وذكر منهم: ((عالم الأُندلس عبدالملك بن حبيب السامي، ومنذر بن سعيد البلوطي ، وأبوالقاسم الشاطي وأبوبكر ابن العربي، واللخمي، والسرقسطي وغيرهم)) [١] .

شكل جامع قرطبة في أواخر القرن الثاني الهجري مدرسة جامعة لعلوم الدين واللغة والأَدب، يلتقي فيه العلماء على اختلاف اتجاهاتهم بطلاب العلم ودارسي الأَدب، وبمرور الزمن يصبح مسجد قرطبة مركزاً تبدأ منه رحلات طالبي العلم إلى المَشْرِق لتعود إليه برفد عظيم من اللغة والأَدب فيعكف عليه المؤدبون مع طلابهم فيأتون عليه درساً وشرحاً وتعليقاً ، ومع أنَّ المصادر لم تنقل إلينا بصورةٍ واضحةٍ ودقيقةٍطبيعةَ التعليق الذي كان يدور حول الشِّعر الوافد وما يدور في تلك الحلقات حتى يتبين لنا الخيوط الأَوَّلى لنشأة النَّقْد الأُندلسّي لكن ما نجده عن الزبيدي من نعوت يسحبه على بعض المؤدبين فيما تتعلق بعملهم مثل نعته للخشني بالبصر بكلام العرب[٢] ، والحنْيطي بأنه من أهل العلم بمعاني الشِّعر وحسن التكلم فيها[٣] ، ولأحمد بن يوسف بأنه من أحذق النَّاس بعلم العروض ، إضافة إلى وصف للملكات الشِّعْرية عند كثير منهم فإنَّ هذه النعوت مجتمعة تبين عن وعي واضح بمهمة الأَدب ورسالته لدى الأُندلسيين خلال تلك الفترة من تاريخ الأَدب والنَّقْد، وكذلك مما يدل على وعي الحركة النَّقْدية الأُندلسيةِ وتفتحها علىالتَيَّارات النَّقْدية المعاصرة لها

---

[٢] الذخيرة : ج١ ، ص ١ – ٢ .

[٣] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : ج٢ ، ص٥ .

[١] الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ص ٥ –٢٠

[٢] طبقات النحويين واللغويين : ص٢٩٠

[٣] المصدر السابق: ص ٣٠٥

في الَمشْرِق آنذاك نعتبره صدىً للنقد الأُندلسّي في نشأته في الفترة السابقة ما جاء ذكره في بعض المصادر أنَّ من الأُندلسيين من وضع كُتباً في طبقات أدباء الأُندلس.

فقد أورد ابن الفرضي[٤]: ((أنَّ عثمان بن ربيعة (ت٣١٠هـ) قد ألف طبقات الشُّعَراء بالأُندلس ، وأنَّ الأقشتين محمد بن موسى بن هاشم (ت٣٠١هـ)، وضع كتاب طبقات الكتاب في الأُندلس ، وألف تمام بن علقمة [٥] كتاباً يبدو أنَّه كان في التاريخ الأَدبي، وهو الكتاب الذي اعتمد عليه ابن دحية فى ترجمته ليحيى الغزال))[١].

وبالنظر إلى هذه المؤلفات يمكن القول بأنَّ للأندلسيين وعي" مبكر" بمبدأ المفاضلة بين الشُّعَراء تقوم على أساس الإجادة كما أخذوا بمنهج الطبقات في تقسيم الشُّعَراء والكتاب الَّذين وفدوا من الَمشْرِق .

وإذا نظرنا إلى هذه المؤلفات الأُندلسية نجدها تقوم على أساس المفاضلة بين الشُّعَراء فى جودة النظم ، وإنَّ منهج الطبقات في تقسيم الشُّعَراء والكتاب هو منهج وافد من الَمشْرِق ، فذلك دليل على أنَّ الحركة النَّقْدية الأُندلسية كانت مرتبطة بحركة النقد في الَمشْرِق.

وفي تقديري أن البذرة الأَوَّلى للنقد الأُندلسّي قد صدرت عن حلقات الدراسة في مجالس المؤدبين وحلقات التعليم والتدريب وكان النَّقْد وقته يتعلق بالألفاظ ويدور حول المشكلات النحوية كما قال بذلك إحسان عباس وكان المؤدبون خلال تلك الفترة يهتمون بتدريب تلاميذهم على التمكن من الاستخدام الصحيح للأداة العربية فى النَّقْد ، ونستدل على ذلك ببعض المواقف النَّقْدية والملاحظات التى ظهرت فيها نزعة تعليمية واضحة فقد ذكر الزبيدى[٢]: ((أنَّ جودي النحوي (ت ٢٩٨هـ) قد أنكر على عباس بن ناصح وقوله :

---

[٤] تاريخ علماء الأندلس: ج١ ، ص٤١١

[٥] المصدر السابق: ص٤١١

[١] المطرب من أشعار أهل المغرب : ص١٣٣ ، تحقيق ابراهيم الأبياري وزملائه ١٩٥٤م

[٢] النقد الأدبي في الأندلس: ج٤ ص ٥١٠

شْهَدُ بالاخلاص ذٌوتيهُّا *** لله فيها وهو نصراني

فلحن عندما لم يشدد ياء النسب ، وكان بين الحاضرين رجل" من أصحاب عباس، فساءه ذلك فقصد إلى عباس بالجزيرة الخضراء ، فلما قدم إليه قال له عباس ماأقدمك أعزك الله في هذا الأوان ؟ قال أقدمنيلَحْنُكَ .

قال عباس : وكيف ذلك ؟ فأعلمه بما جرى من القول في البيت السابق ، فقال : هلاّ أنشدتهم بيت عمران بن حطان .

يوماً يمانٍ إذا لاقيت ذا يَمنٍ *** وإِنْ لقيتُ مَعَدياً فعدناني

فقدم الرجلُ قرطبة فاجتمع بجودي وأصحابه فأعلمهم، وكذلك من المواقف والملاحظات النَّقْدية الدقيقة التى صدرت عن حلقات المؤدبين ما أورده شوقي ضيف[١] : أنَّ عباس بن ناصح وفد على قرطبة ، وأسمع الشُّعَراء قصيدةً له مطلعها:

لَعَمْرُكَ ما البلوى بعارٍ ولا العدْم *** إذا المرءلم يَعْدم تُقى اللهِ والكرْم[٢]

فلما ورد في تلك القصيدة البيتُ الذي يقول فيه :

تجافَ عن الدنيا فما لمعجِّز *** ولاعاجز إلاَّ الذيخُطَّ بالقلم[٣]

قال له يحيى الغزال –وكان وقته شاعراً صغيراً – : أيُّها الشيخ ، وما يصنع مُفَعِّلُ مع فاعل ؟ ((يعنى معجز مع عاجز)) فقال له ابن ناصح كيف تقول أنت فقال : أقول :

تجافَ عن الدنيا فليس لعاجزٍ ***ولا حازمٍ الاَّ الذيخُطَّ بالقلم[٤]

فقال له عباس : ((والله يا بُني لقد طلبها عمك فما وجدها)) .

وتتسع هذه الملاحظات والمواقف النَّقْدية عند نشأة النَّقْد الأَندلسّي لتشمل إلى جانب الأسس اللغوية ملامح نقدية عن المقاييس التى عرفت عن الرواة معتمدين فى ذلك على الذَّوق الأَدبي .

---

[١] طبقات النحويين واللغويين : ص ٢٥٦

[٢] تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري : ص ٤٧

[٣] المصدر السابق: ص٢٧

[٤] المصدر السابق: ص٢٩

ونستدل لهذا الموقف بما أورده شوقى ضيف[٥] أنَّ عثمان بن المثنى (ت ٢٧٣هـ) قد لقى أبا تمام وكان أَوَّل من أدخل شعره إلى الأُندلس ، فأنشده شعره الذي يقول فيه :

اللهُ أكبرُ جاء أكبر من مشى *** فتعثرت في كُنْهِه الأوهامُ

وكان هذا البيت مبتدأ الشِّعْر ، فقال له ابن المثنى : شعرُ حسنٌ لولا أنه لا ابتداء له ، فوقدت في نفس حبيب وابتدأ الشِّعْر بقوله :

مَن " ألمَّ بها فقال سلام *** كَمْ حَلَّ عُقْدَة صَوْه الإلمامُ

ثم أنشده الشِّعْر في اليوم التالي بهذا الابتداء إلي تمامه فقال له ابن المثنى: ((أنت أشعر النَّاس فعظم في نفس حبيب ، ثم لقيه في انصرافه ، وحبيب قد عظم قدره ، وجل خطره فكان يؤثره ويعرف له فضله)) [١]

وإذا تأملنا هذا الموقف نجد أنَّ أبا تمام على شهرته وعظم مكانته الشِّعْرية قد أخذ في الاعتبار ملاحظة المثنى الذي لم يعرف عنه الكثير في ذلك الوقت بدليل أنَّه غير من شعره وجعل له ابتداءً جرياً على مقاييس حسن المطلع أو حسن الابتداء وهو ما نادى به رواة الشِّعْر من النُّقَّاد ، وهذا الموقف يجعلنا نقول إنَّ هذا الأُندلسّي ((المثنى)) كان على قدر من المكانة الأَدبية والنَّقْدية مما جعل أبا تمام يؤثره ويعرف فضله، وكذلك من المواقف النَّقْدية الذي نتوقف عنده للإستدل على قوة انطلاقة النَّقْد الأَدبي الأُندلسّي عند مرحلة النشأة والتكوين ما ذكره الزبيدي[٢] بأنَّه لما سمع عباس بن ناصح الجزيري بظهور الحسن بن هاني في المَشْرِق واستمع إلى قصيدتين له إحداهما يقول فيها :

جربت من الصبا طلق الجموح ***.....

ويقول في الثاني :

أما ترى الشمس حلت الحمراء *** .....

---

[٥] المغرب في حلى المغرب: ج١ ص١١٢

[١] المغرب في حلي المغرب ج١ : ص٣٢٥-٣٢٥ ، تحقيق شوقي ضيف .

[٢] طبقات النحويين واللغويين: ص٢٦٢ .

قال عباس : ((إنه أشعر الجن والأنس ، والله لا حبسني عنه حابس فتجهز إلى المَشْرِق)) [٣] .

بإعادة النظر فى هذا الموقف النَّقْدي وإلقاء الضوء عليه يتبين لنا الآتي إبداء الإعجاب بشعر أبي نواس على الرغم من أنَّه كان يجري على مذهب المحدثين ويخالف بذلك طريقة عباس في الشِّعْر فهو على مذهب العرب الأوائل وأنَّه ((أي الموفق النَّقْد السابق)) يتفق مع الكثير منالنُّقَّاد الَّذين يرفضون التعصب النَّقْدي أمثال ابن طباطبا وابن قتيبة والصولي ، وأَنَّ هذه الملاحظة النَّقْديه – في تقديري – تعبر عن ذوق نقدي أصيل يحس بالجمال ويقرره بعيداً عن القدم أو الحداثة ، وكذلك نجد فيها الإشارات الأَوَّلى لنشأة النَّقْد الأَدبي في المَشْرِق عندما كان يصدرون الأحكام النَّقْدية دون تعليل ولا أرى في ذلك غرابة لأنَّ الأَدب والنَّقْد الأُندلسّي إنما هو خلية في جسم الأَدب العربي العام وعلى الرغم من اختلاف الزمان والمكان فقد ظلت العلاقة قوية والوشائح متينة متمثلة في رابط الدين والدم. إضافةً إلى اهتمام أدباء الأُندلس بدراسة الأَدب والنَّقْد المَشْرِقي وتفرغهم الكامل له واتخاذ أنموذجاً احتذوا به كل هذه العوامل مجتمعة أو جدت النَّقْد الأُندلس. وكذلك من المواقف النَّقْدية الذي يبين وضوح منهج النَّقْد الأُندلسّي وبروزه للسطح مبكراً ما أورده الزبيدي[١] وكذلك أحمد هيكل[٢] أنَّ أبا نواس طلب من عباس ابن ناصح أنْ ينشده من شعر أبي المخشي في العمى ، فلما بلغ عباس في إنشاده إلى قول أبي المخشي :

كنت أباً للدرى إلا الدرا***ما فقأت عيني الاَّ الدُّنا

قال أبو نواس : ((هذا الذي طلبته الشُّعَراء فأضلته)) [٣]

يتبين لنا من خلال الوقوف على الملاحظات والمواقف النَّقْدية السابقة دور المؤدبين في إرساء دعائم النَّقْد الأَدبي بالأُندلس ، وأنَّ كثيراً من هؤلاء المؤدبين قد تيمم المَشْرِق للقاء عدد من الرواة المشارقة والأخذ منهم ثم عادوا والتزموا سجادة

---

[٣] المغرب في حلي المغرب : ص٣٢١ .

[١] طبقات النحويين واللغويين: ص٢٦٢

[٢] الأدب الأندلسي: ص١٠٠

[٣] العقد الفريد : ج٥ ص٢٧٠ ، تحقيق أحمد أمين وإبراهيم الابيارى ط١ سنة ١٩٤٠م

التأديب ، ومن أمثلة ذلك ، نجد الغازي بن قبس (ت١٩٩هـ) قد رحل إلى الَمشْرِق ولقي في رحلته من رجال اللغة الأصمعي ونظراءه ، ثم رجع إلى الأُندلس والتزم التأديب بقرطبة ، وأن الأقشتين قد لقي في رحلته إلى الَمشْرِق أبا جعفر الدينوري ، كما لقي عثمان بن المثنى في رحلته جماعة من الرواة منهم ابن الإعرابي وأنّ محمد بن عبدالله الغازي فقد لقي الرياشي ، وأبا حاتم وإبراهيم بن خداش وجلب معه عدداً كبيراً من دواوين الشُّعَراء ، وهذا يجعلنا نقول أنَّ النَّقْد الأُندلُسي قد تأثر في نشأته بنقد الرواة المشارقة ، وتتأكد لنا هذه الفرضية أي تأثير الرواة المشارقة في رحلة النَّقْد الأُندلُسّي وبشكل واضح في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع بما أورده الناقد الأُندلسّي أحمد بن عبد ربه (٢٤٧ – ٣٢٨هـ) في عقده من قضايا النَّقْد الَمشْرِقي في عصر الرواه من خلال حديثه عن فضائل الشِّعْر وعيوبه وسرقاته ، وما يجوز في الشِّعْر وما لا يجوز في الكلام، وهو ما يُعرف بالضرائر الشِّعْرية .

وللوقوف على حجم التأثير والتأثير بين النَّقْد الَمشْرِقي والأُندلسّي في طور نشأته من الأفيد أنْ نلقي بعض الضوء على صورة النَّقْد الأَدبي في الَمشْرِق خلال تلك الفترة ليتبين لنا مدى استقلال النَّقْد الأُندلسّي عن النَّقْد الَمشْرِقي أو تبعيته له .

الَمبْحثُ الثاَّني
أثُر المذاهبِ النَّقْديةِ الَمشْرِقية على تكوين النَّقْد الأنْدلسّي

لاشك أنَّ النَّقْد تابع" للأدب ، فمتى ما ُوجِد أدب"ُوجِد نقد" ونقاد لهذا الأَدب، وقد بينا في موضع سابق بأنَّ العرب قد عرفوا شيئاً من النَّقْد منذ أقدم عصور الأَدب العربي، وأخذت هذه المعرفة في التطور مع تطور الحياة الأَدبية في المجتمع العربي، خاصة خلال القرن الرابع الهجري الذي شهد حركة انفتاح واسعة على ثقافات الأمم المجاورة وآدابها من فرس ويونان وغيرهم .

وقد لازم هذا الانفتاح حركة ترجمة مزدهرة شملت مختلف آداب اليونان والفرس وعلومهم ، فتركت حركة الترجمة هذه أثراً على الأَدب العربي ونقده الذي بدأ يتجه نحو المنهجية العلمية الدقيقة ، ويمكن ملاحظة ثلاث مجموعات أثرت على تطور النَّقْد الأَدبي وتحديد مساره هي: مجموعة الشُّعَراء والكتاب ، ومجموعة اللغويين ومجموعة المتكلمين .

فالشُّعَراء والكتاب تركوا أثراً كبيراً على تطور النَّقْد وتقدمه ، ونجد مثالاً لذلك الشاعر بشار بن برد الذي كانت له ملاحظات على شعر معاصريه تدل على امتلاكه ملكةً نقديةً وذوقٍ أدبي أملته حياة الحضارة الجديدة[1] ، وكذلك أبو نواس الذي أخذ يتمرد على التَيَّار القديم وأخذ يجاهر بالدعوة للخروج على نظام القصيدة العربية مما ترك أثراً أصبح مقياساً نقدياً لدى الكثير من النُقَّاد حتى عصور متأخرة، وكذلك من الشُّعَراء الكتاب نجد عبدالله بن المعتز الذي يعتبره الكثيرون صاحب أَوَّل كتاب نقدي عربي دافع فيه عن الأَدب العربي القديم ودحض آراء الشعوبية الَّذين

---

[1] تاريخ النقد الأدبي في الأندلس : ص٢٣٩ ط٢ مؤسسة الرسالة ١٩٨١م

زعموا أنَّ البديع دخيل" على الأَدب العربي وأنه من أصلٍ فارسي وقد بيِّن ذلك شوقي ضيف[٢] .

أما مجموعة اللغويين ، فقد كان لهم دور" كبير في جمع اللغة والشِّعْر، خاصة بعد أن دخل عدد" كبير من غير العرب في الإسلام ، فقد كانوا حُفاظاً للشعر العربي واللغة في وقت أصابت فيه اللسان العربي آفة اللحن ، كما كان لهم ملاحظات نقدية دقيقة ، ووقفوا أمام محأَوَّلات التجديد في الشِّعْر العربي بكل صلابة وقوة ، مقياسهم في ذلك الرجوع إلى الشواهد القديمة والقياس عليها ، وقد ساهم اللغويون في تطوير النَّقْد بمؤلفاتهم التى تعد من أهم مرتكزات النَّقْد فيما بعد ومثالاً لذلك كتاب (طبقات فحول الشُّعَراء) لابن سلام الجُمحي الذي يعدُ من أبرز وأقدم الدراسات النَّقْدية التى سارت على منهج واضح فى التأليف، فقد قسم فيه الشُّعَراء إلى طبقات، ولم نجده قط يتعرض فى طبقاته لواحد من الشُّعَراء المحدثين.

وكذلك اسهمت مجموعة المتكلمين اساهماً فاعلاً في تطور النقد الأدبي وتحديد مساره ، ويَقصد بعلم الكلام الجدل الديني في شؤون العقيدة عند المسلمين، ومن أشهر فُرق المتكلمة ، فرقة المعتزلة ومن زعمائها عمرو بن بحر "الجاحظ " الذي نقل لنا في كتابه البيان والتبيين ، وكتاب الحيوان ، شعراً للمحدثين، وعاب على اللغويين رفضهم شعر أَولئك ، كما أثنى على بشار بن برد ومسلم بن الوليد وأبي نواس ، وأبدى رأيه في بعض الشُّعَراء الجاهلين مثل زهير بن أبي سلمى ، مع بداية القرن الرابع الهجري ، اتجه النَّقْد الأَدبي إلى المنهجية والمقارنة ، وكان لانقسام النُّقَّاد بين مفضل لأبي تمام على البحتري والعكس دور" كبير" في دفع عجلة النَّقْد ونشطت حركة التأليف في هذا الميدان ، فألف أبوبكر الصولي كتابه أخبار أبي تمام ثم ظهر بعد ذلك كتاب الموازنة للآمدي ويُعد من أعظم كتب النَّقْد وأجلها ، ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل النَّاس وأثارت حوله خصومات عنيفة بعضها في عصره ، وأمتد بعضها الآخر إلى ما بعد عصره ، وأشهر كتاب لِأُف في هذا المجال كتاب الوساطة للقاضي الجرجاني ، هذه هى صورة النَّقْد الأَدبى بـ الَمشْرِق من بداية العصر

---

[٢] النقد الأندلسي : ص٣٧ ، ط٢ ، دار المعارف مصر ١٩٦٤م .

العباسي حتى القرن الرابع وعلى ضوء هذه الخلفيه عن النَّقْد الَمشْرِقي ننفذُ للإجابة عن الفرضية القائلة أنَّ للمذاهب والتَيَّارات النَّقْدية الَمشْرِقية أثر" على النَّقْد الأُندلسّي، خاصة في مرحلة التكوين والنشأة.

يرتبط النَّقْد ارتباطاً وثيقاً بـ الشِّعْر والنثر وهو لاحقاً لهما ، والأُندلسيون عرفوا الشِّعْر علىالمذهب العربي ومذهب المحدثين ، أما مذهب العرب فيُقصد به فخامة اللفظ ، وجزالته والإقتداء بصور العرب ومسلكهم في التعبير ، هذا ما أورده محمد رضوان الدايه عنه[١] ،أي أنهم يطلقون " مذهب العرب على شعر الشاعر الذي يكون متمسكاً بمقاييس النحويين واللغويين في شعره ، فلا يخرج عن نهج القصيدة العربية القديمة وصياغتها العامة من وقوف على الأطلال ، ووصف الحيوان ، ثم المدح أو الهجاء ، أو الفخر أو غيرها حسب غرض القصيدة التى قِيل فيها ، وهذا ما قصدوه عندما ذكروا أن الزبيدي رثا شيخه القالي بقصيدةٍ جزلة الألفاظ كثيرة الغريب ، صاغها صوغ فحول العرب[٢] ويوجد من الأُندلسيين من قال الأراجيز التي كانت شائعة في العصر الأُموي مثل ابن عثمان الأصم الذي قال عنه الزبيدي : ((كان لغوياً فصيح اللسان ، شاعراً مجوِّداً وأكثر أشعاره على مذاهب العرب)) [٣] ، وكذلك قال الحميدي : ((ومن الأُندلسين ممن نهج على طريقة العرب الأوائل في شعرهم أبو مروان عبد الملك بن زيادة الطيبَّي)) [٤] وكذلك أورد ابن حزم في رسالته عن فضل الأُندلس ، ونقل عنه الَمقَرِّي: ((أن أبا الأجرب جعونة الشَّاعر الأُندلسّي كان يجري في شعره على مذاهب الأوائل لاعلى طريقة المحدثين)) [٥].

مما سبق يتبين لنا أنَّه كان هناك تعصب" واضح" لمذاهب العرب وطريقتهم في الشِّعْر وإنْ كان محصوراً في فئةٍ قليلةٍ من المعجبين بـ الشِّعْر القديم وأهل اللغة

---

[١] تاريخ النقد الأدبي في الأندلسي : ص٦٣

[٢] يتيمية الدهر في محاسن أهل العصر: ج٢ ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط٢ مطبعة السعادة مصر ١٩٥٦م

[٣] طبقات النحويين واللغويين : ص ٢٨٤ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ١٩٥٤م

[٤] جذوة المقتبس: ص ٢٦٥

[٥] نفح الطيب : ج٢ ، ص ١٧٥

والنحو وتلاميذ القالي الذي نشر مقاييسه النَّقْدية القائمة على الإعجاب بالتراث القديم والاحتكام على اللغة والغريب .

أما مذهب المحدثين كما ذكره محمد رضوان الداية، فهو النهج على طريقة أبي نواس وأبي تمام وابن المعتز والأخذ بالتجديد في العصور البيانية والبديعية والإكثار من ذلك[١] ، وكان الاهتمام بمذهب المحدثين هو الأمر الشائع عند الأُندلسيين، وربما كان السبب وراء إعجاب أهل الأُندلس بشعر المحدثيين دون شعر العرب الأوائل هو أنَّ التَّوق الأُندلسّي تأثر أَوَّلاً بـالشِّعر المحدث ، شعر أبي تمام والبحتري وابن الرومي ، وابن المعتز وأبي العتاهية ، لذى أَنَّ بدايات الشِّعر الأُندلسّي كانت تعتبر شعر المحدثين هو المرجع الذي تستند إليه وتستمد منه أرثها الشِّعري ، وليس شعر العرب الأوائل كما كان الحال في المَشْرِق ، ولكن لا يعني تعصب أهل الأُندلس لمذهب معين دون غيره ، فالناظر في شعر الأُندلسيين يجد واضحاً المذهب المحدث جنباً إلى جنب مع مذهب العرب في شعر شاعر واحدٍ دون صراع بينهما ، ولذلك لم تشهد الساحة الأَدبية الأُندلسية معارك نقدية حادة بين نقاد الأُندلس حول التعصب للقديم أو المحدث كما بيَّن ذلك إحسان عباس[٢].

وعلى الرغم من أن الصراع كان على أشده في المَشْرِق حول أبي تمام والبحتري وقد تسرب هذا الصراع إلى الأُندلس ولكن لميحدث صراعاً نقدياً مثل الذي ثارت في المَشْرِق كما ذكر ذلك الزبيدي[٣]: ((أنَّ أبا حفص عمر بن يوسف الخيطي كان من أهل العلم بمعاني الشِّعر ، وكان يتعصب للبحتري ، وكان له حظ من علم العربية وهو شاعر" مطبوع ومجود)).

وقد عني أهل الأُندلس خلال هذه الفترة بشرح دواوين المحدثين والمشارقة، فشرح الطبيخي ديوان صريح الغواني مسلم بن الوليد ، كما شرح شعر أبي تمام الذي كان مشهوراً عند الأُندلسين عظيم الشأن ، ويمكن القول أنَّه لم تظهر حركة نقدية أدبية أُندلُسية واضحة الاتجاهات والمعالم كما كان الحال في المَشْرِق وقد يكون

---

[١] تاريخ النقد الأدبي في الأندلس : ص٢٤٥ ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ١٩٨١م

[٢] تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ص٤٨١ ط١ ، دار النشر والتوزيع عمان الاردن ١٩٩٣م

[٣] طبقات النحوين واللغويين : ص٣٣٠

السبب وراء ذلك أنَّ النَّقْد الأُندلُسّي كان في بداية نشأته ومع ظهور المتنبي وذيوع شعره في الَمشْرِق والمغرب ، أهتم به أدباء الأُندلس وشعراؤهالّذين حاكوه في معانيه وأغراضه ، حتى سمى ابن دراج القسطلي الشاعر الأُندلُسّي المعروف بمتنبي الغرب لشدة تأثره بالمتنبي وطريقته .

كما تأثر به شعراء آخرون مثل ابن عبدون ، وابن وهبون ، وانتشر شروح الأُندلُسيين لشعر المتنبي مثل شرح الأعلم الشنتمري وأبي القاسم الأفليلي وشرح ابن سيدة َمشْكل شعر المتنبي ، كل ذلك يبين مدى اهتمام أدباء الأُندلس بالمتنبي وشعره، ومثلما تأثر الأُندلُسيون بالمتنبي تأثروا بالمعري وانتقل كثير" من شعره إلى الأُندلُس وظهر أثره على الشُعَراء والكتاب.

مما سبق ذكره يمكن القول إنَّ الاتجاهات النَّقْدية الَمشْرِقية كان لها أثر" واضح وملموس في تكوين النَّقْد الأُندلُسّي هذا النَّقْد الذي بدأ يتضح أثره وبدأ في الاستقلال عن النَّقْد الَمشْرِقي على يد ابن حزم وابن شُهَّيْد الذي استطاع أنْ يرسم منهجاً واضحاً للنقد الأُندلُسّي.

الَمبْحثُ الثَّالثُ
عواملُ تطورِ النَّقْدِ الأنْدلُسيِّ

لقد عاش النَّقْد الأَدبي في الَمشْرِق وكذلك في ا لأُندلُس خلال القرنين الثاني والثالث الهجري صراعاً بين طريقتي العرب والمحدثين فضلاً عن حالة التردي التى شهدتها اللغة والتى أشار إليها الزبيدي[1] بقوله: ((إِنَّ الخطأ قد تفشى فضمنه الشُّعَراء أشعارهم واستعمله جملة الكتَّاب)) أما في القرن الرابع فقد أصاب النَّقْد الأُندلُسّي شيئاً من التطور اسهم في ذلك المؤدبون ومدرسة أبي علي القالي ومجالس الخلفاء والأمراء وهى ذات العوامل التي اسهمت في تكوين الَّذوق الأَدبي الأُندلُسّي والتى أشرنا إليها في موضع سابق من هذا البحث.

أوَّلاً : المؤدبون :

لقد ذكر ابن بسام أن المؤدبين هم نفر" من المعلمين الذين كانوا يقومون بتعليم الناشئة علوم العربية من النحو والصرف والعروض وغيرها وهي ظاهرة مشرقية تعود إلى العصر العباسي الأَوَّل ، وقد ذكر الجاحظ أنَّه بجانب معلمي أَولاد عامة الشعب من الطبقة الوسطى، معلمون لأبناء الخاصة من الخلفاء والوزراء والبيت العباسي وكان منهم اللغوي والأخباري والفقيه والَمقرِّيء ، وذكر منهم المفضل الضبي معلم المهدي واختار له مجموعته الشِّعرية الملقبه بالمفضليات، والكسائي مؤدب الرشيد وابنيه الأمين والمأمون وقطرب مؤدب الأمين وأبناء أبي دلف العجلي قائد المأمون المشهور، وعلي بن مبارك الأحمر أحد مؤدبي الأمين، واليزيدي يحيى بن المبارك مؤدب أبناء يزيد بن المنصور الحميري، المهدي، ومنهم الفراء مؤدب أبناء المأمون ، وأبوعبيد القاسم بن سلام مؤدب أبناء هرثمة قائد الرشيد والمأمون.

وكذلك لم تكن المساجد بيوتاً للعبادة فحسب بل كانت ساحات العلم الكبرى ومعاهد لتعليم الشباب يتحلقون حول الأساتذة، ويكتبون ما يلقونه أو يملونه، وكان

---

[1] البيان والتبيين: ج١ ، ص٤١٣

لكل فرع من المعرفة حلقته أو حلقاته الخاصة فحلقه للغة وحلقه للنحو وحلقه للفقه وهكذا[١] .

أكد الباحثون في الدراسات الأُندلسية بأنَّ المؤدبين قد اسهموا مساهمة كبيرة في دفع مسيرة النَّقْد الأَدبي في الأُندلس خلال القرنين الرابع والخامس وانقسم المؤدبون من خلال مساهمتهم في تطوير حركة النَّقْد إلى مجموعتين الأَوَّلى يمثلون تيار النَّقْد اللُّغَوِي ، إنَّ صلة اللغة بالنَّقْد الأَدبي تنصب في معظمها على صحة النص ، لأنَّ النص لا يتصف بالجمال الاّ إذا تحققت له الصحةأَوَّلاً ، فلا يمكن أنْ نصل إلى فهم صحيح للنص الأَدبي إذا تجاهلنا البناء اللغوي ، ومن هنا كان لعلم اللغة عطاؤه المميز في سياق النص وتركيب جمله وأسلوب أدائه وملاءمته لأحوال متلقيه، ذلك لأنَّ الهدف من العمل الأَدبي هو إيصاله إلى سامعيه وإبلاغهم به ، لذا لابد أنْ تكون هذه الرسالة واضحة خاليه من الأخطاء صحيحة التركيب، حتى لا يذهب أثرها الاتصالي وتأثيرها الفني ، يقول تمام حسان : ((إنَّ مخاطبة الذَّوق الفني للسامع أو القاريء بقصد استنباط المشاركة الوجدانية تتطلب من الأديب أنْ يجنِّد قدراته اللغوية في جميع النواحي بدءاً بالأصوات واختيارالكلمات المناسبة ذات الجرس والتأثير الموسيقي التى تتناسب مواقعها من اللفظ وقسطها من المعنى)) [٢] من أجل ذلك كانت معرفة اللغة ضرورة يحتاج إليها الأديب يقول ابن خلدون عن أهمية فقه اللغة : ((وأكثر ما يحتاج إلى ذلك الأديب في نظمه ونثره ، حذراً من أنْ يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتركيبها ، وهو أشرَّ من اللحن في الإعراب وأفحش)) [٣] .

وعلماء اللغة الذين مارسوا عملية التأديب في الأُندلُس من منطلق الحرص عليها كانوا يقفون بالمرصاد للأخطاء التى كانت تصدر من الأَباء والشُّعَراء كما اسندت إليهم مهمة تعليم التلامذة وتثقيفهم بلسان العرب وأدبهم وكان فريق منهم يجمع بين علوم الدين واللسان مماجعل سلطانهم واسعاً وعلمهم أشد عمقاً وأثراً ، ولقد

---

[١] البيان والتبيين: ج١ ص٤١٣

[٢] اللغة العربية والنقد : ص١١٦ ، مجلة فصول ، ج٤ العدد الأول ديسمبر ١٩٨٣م

[٣] المقدمة: ص٥٥٠

قامت طبقة المؤدبين والمعلمين ممن ارتحل منهم إلى الَمشْرِق واغترف من علمه وأدبه، بدور كبير في قيادة الحركة النَّقْدية في الأُندلس في بداياتها الأَوَّلى ، فكان لهم دور" في إدخال ضروب الثقافة الَمشْرِقية إلى بلاد الأُندلس من كتبٍ لغويةٍ ودواوين شعرية وفي مجالسهم تكونت نواة حركة النَّقْد ، فهم الَّذين يشرحون الشِّعْر لطلابهم ويوضحون معانيه ، ويتتبعون مافيها من المآخذ اللغوية والنحوية وفي ذلك يقول محمد رضوان الدايه: ((وكانت اهتماماتهم العربية ذات وجهين : الأَوَّل ضبط اللغة وروايتها ونقل كتبها المعتمدة من الَمشْرِق مع دراسات نحوية وصرفية ، والثاني : رواية الشِّعروالوقوف عليه تدريساً وشرحاً وتوثيقاً))[1].

وكان طبيعياً أنْ تُعنى الأُندلس بقيام مؤدبين على تعليم الناشئة الفصحى وقواعدها، وبدأ ذلك في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، وعلماء اللغة يعدون بالعشرات في كتاب طبقات النحويين للزبيدي ، ومن أوائل اللغويين الَّذين رحلوا إلى الَمشْرِق : الغازي بن قيس (ت١٩٩هـ) الذي رحل إلى الَمشْرِق ولقي الأصمعي وأخذ عن مالك الموطأ في الفقه ، ومنهم الهواري وله كتاب في القراءات ، ومن معاصريهما جودي بن عثمان الراحل إلى الَمشْرِق المتوفى سنه (١٩٨هـ) وكذلك عثمان بن المثنى تلميذ ابن الأعرابي ، الذي لقب أبا تمام وأخذ عنه ديوانه ، ومنهم ثابت بن عبد العزيز وابنه القاسم وهما أَوَّل من أدخل معجم العين إلى الأُندلُس.

قال الزبيدي : ((وتمت هذه النقلة اللغوية على يد محمد بن عبد السلام الأزدي (ت ٣٥٨هـ) الذي رحل إلى الَمشْرِق فلقي أبا جعفر النحاس فحمل عنه كتاب سيبويه ، وقدم قرطبة ولزم التأديب فيها))[2]. وبيَّن الزبيدي طبيعة عمله فقال: ((ولم يكن عند مؤدبي العربية ولاعند غيرهم من عني بالنحو كبير علم حتى ورد محمد بن يحيى الأزدي عليهم، وذلك أنَّ المؤدبين إنَّما كانوا يعانون إقامة الصناعة في تلقين تلاميذهم العوامل وما شاكلها وتقريب المعاني لهم في ذلك ، ثم كانوا لا ينظرون في إمالةٍ ولا إدغام، ولا تصريف، ولا أبنية ولا يجيبون في شيءٍ منها حتى

---

[1] تاريخ النقد الأدبي في الأندلس : ص١٠، ط٢ مؤسسة الرسالة ١٩٨١م

[2] طبقات النحويين واللغويين: ص٣٠١

نهج لهم سبيل النظر، وأعلهم بما عليه أهل هذا الشأن في الشرق من استقصاء الفن بوجوهه، واستيفائه على حدوده، وأنهم بذلك استحقوا اسم الرياسة)) [١] .

ومن العوامل التى ساعدت على إبراز هذا الجانب اللُّغَوي والذي بدوره ساعدت في دفع عجلة النَّقْد الأَدبي في الأُندلس موقف الحكام فكانت جهود عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر من بعده وكذلك المنصور ابن أبي عامر جهود" فعالة في تشجيع العلماء وحملهم على التأليف والترجمة والتدقيق العلمي في النسخ،ووضعت المكتبات العامة في خدمتهم ، مما جعل الاتجاه اللُّغَوي واضحاً وبارزاً في مسيرة النَّقْد والأَدَب الأُندلسّي[٢]

هذه العوامل وغيرها حققت تطوراً ملحوظاً في إذكاء الحوار اللُّغَوي بين المؤدبين أنفسهم تارة وبينهم وبين تلاميذهم تارة أخرى .

ومن الشواهد التى تدل على اسهام المؤدبين اللغوية في دفع مسيرة النَّقْد الأُندلُسّي وتطويره الحوار الذي جرى بين أبي الكوثر الخولاني ، وأبي محمد الإعرابي حول كلمة في عبارة أطلقها الثاني شكراً لإبراهيم بن حجاج في مجلسه والذي نقله الزبيدي في طبقاته يقول : ((تالله ما سيدتك العرب إلا بحقك)) ، فكتب أبو الكوثر إلى يزيد بن طلحة دعماً لقوله بأنَّ العرب تقول ((سودتك)) ، ودفعاً لقول إبراهيم ابن حجاج الذي انتصر للإعرابي رادعاً الخولاني بقوله ((أتتسور على الأعراب في لغاتهم ؟)) وجاء رد يزيد بن طلحة حين حضر ممهداً بقوله : ((ليس العلم من جهة المُغالبة ولكن من جهة الإنصاف والحقيقة)) منهياً المحاورة بإثبات أنَّ العرب تقول : ((سودتك)) اعتماداً على تعريف الفعل وكلمة عمر بن الخطاب : ((تفقهوا قبل أن تسودوا)) [٣].

في تقديري هذا النموذج يصلح دليلاً قاطعاً إذا اضفناه إلى غيره من النماذج على عظمة ومكانة الشخصية اللغوية التى تعهدها المؤدبون بالرعاية والاهتمام فلم ينحصر دورها في حفظ متون اللغة وتصاريفها بل كانت قادرة على توظيف

---

[١] طبقات النحويين واللغويين: ص٣١١

[٢] الحركة اللغوية في الأندلس: ص٨١ – ١٠٧

[٣] طبقات النحويين واللغويين : ص٢٢١

محصولها ومحفوظها من اللغة في تطوير النَّقْد الأَدبي والدفع به إلى الأمام حتى تضمن للقصيدة الأُندلسية سلامة البناء اللُّغَوي والبعد عن الخطأ ،وكذلك شاهداً آخراً نورده في هذا المقام وهو ما رُوى عن قاضي القضاة منذر بن سعيد البلوطي (ت٣٥٥هـ) . إذ يقول : أتيتُ ابن النحاس في مجلسه فألفيته يملي في أخبار الشُّعَراء شعر قيس بن معاذ المجنون حيث يقول :

خَليليَّ هل بالشام عين" حزينة" ** *تُبكَى على نجدٍ لعلي أُعينُ ها

قد أسلمها الباكون إلا حمـامة *** مطوقةً باتت وبات قرينـها

تُجاذِبُ ها أُخرى على خيْزرانةٍ *** يكاد يُدانيـها من الأرض ليَنها[1]

فلما بلغ هذا الموضع قلت : باتا يفعلان ماذا أعزك الله ، فقال لي : وكيف تقول أنت يا أندلسي قلت : ((بان وبان قرينها ، فسكت)) وفي رواية أخرى أنَّ أبا جعفر استبان ما قال وقال له ((ارتفع)) [2] ، قال القاضي فما زال يستثقلني بعدها حتى منعني العين وكنت ذهبت إلى الانتساخ من نسخه)).

علق مصطفى عليان على الموقف السابق فقال : ((هذه اللمحة النَّقْدية تكشف عن دراية وممارسة في مجال النَّقْد اللغوي عند منذر بن سعيد ، وتلمح أيضاً إلى حذق ومهارة لغوية في دفع الرواية التى يروي بها ابن النحاس على الرغم من مكانته العلمية التى شهد بها العلماُء آنذاك ، وعلى الرغم أيضاً من أَنَّ البلوطي ، كان تلميذاً في مجلس أستاذه)) [3].

وكذلك من الموافق التى تدل على ممارسة المؤدبين للنقد اللغوي ما قاله ابن الأفليلي (٣٥٢ – ٤٤١) مفسراً قول المتنبي :

فأفرخت المقاوِدُ نِفْيِها *** وصعَّر خَذها هذا العِذار

بقوله : ((ثم قال ولكنها ملكتها الغلبة وسكن شماسها المقدرة ، وصارت كالإبل المذللة التى أفرخت المقاود زفاريها ، وكالخيل المرتاحة التى تصعر للجم

---

[1] تيارات النَّقْد الأَدبي في الأُندلس: ص٥٩

[2] جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأُندلس : ص١٣، تحقيق محمد تاويت الطبخي مكتبة نشر الثقافة الأُندلسية القاهرة

[3] تيارات النَّقْد الأَدبي في الأُندلس في القرن الخامس الهجرى : ص٥٦

خدودها ، وأجرى هذا على سبيل الاستعارة مشيراً إلى ما أحاط بنزار من سلطان سيف الدولة الذي ضبط تأفرها وقمع مخالبها)) [١].

ويقول عبد الرحمن عثمان : ((وغاية مايُقالُ في نقد المؤدبين اللغوي أنه نقد مصادف" لما وعاه المؤدب من قواعد نحوية وماحصله من دراسات لغوية وبلاغية ، فهو نقد عملي تطبيقي يجعلُ جُلَّ همه البيت بل التركيب اللغوي للعبارة . على أنه ينبغي ألانهّون من عمل هؤلاء المؤدبين ، فالنَّقْد عند بعض علماء اللغة المشارقة من لغويين ونحاة في القرن الثانى والثالث الهجرى لم يذهب عن ذلك بعيداً ، إذ كان ينصب على مالم يجز على المذهب أو مايخالف القاعدة ويشذ عنها)) [٢] .

ولكن على الرغم من الجهود الكبيرة التى بذلها المؤدبون من علماء اللغة في تطوير النَّقْد وتهذيبه والارتقاء به لكنهم لم يسلموا من نقد الآخرين والاتهام بالقصور في خدمة النَّقْد ، نجد ذلك عند ابن شُهَّيْد والمعري ، فقد أورد ابن بسام[٣] أنَّ ابن شُهَّيْد حمل على المعلمين لأنهم وقفت بهم صنعتهم التى تقوم على الحفظ في اللغة دون الإبداع في مرتبة وسطى دون الإحسان ودون الإساءة ، وما ذلك إلا لأنهم يفتقدون الموهبة الفطرية في أدبهم ونقدهم ومضمون قول بن شُهَّيْد وكذلك يوافقه المعري أنَّه لا يجوز الاطمئنان لعمل المعلمين في الأَدب والنَّقْد، لافتقادهم لعنصر حيوي هام في هذا المجال وهو الموهبة الفطرية التى أبعدتهم عن سلامة التذوق النَّقْدي والإنتاج الأَدبي .

وكان المعري أكثر قسوة في محاسبة المعلمين فقد جردهم من الغريزة (الطبع) ورماهم بإفساد الشِّعْر واستدل لذلك بأنهم زادوا (الواو) وشددوا (الثاء) في قول امرىء القيس:

كأنَّ ذُرَى رأس الُمجْيمر غدوةً *** من السيل والُغثاء فَلْكةُ مِغْزَلِ

---

[١] شرح أبي القاسم الأفليلى على شعر أبي الطيب المتنبي: مخطوط مصدر عن الأصل الخزانة العامة بالرباط ص١٢٥

[٢] معالم النَّقْد الأَدبي: ص١٤٥

[٣] الذخيرة : ق١ ، م١ ، ص٢٣٤

قال المعري : ((في زيادة الواو إنَّهم أساؤا الرواية ، وإذا فعلوا ذلك فأي فرق يقع بين النظم والنثر، وإنَّما ذلك شيء فعله من لا غريزة له في معرفة ووزن القريض، فظنه المتأخرون أصلاً في المنظوم وهيهات هيهات)) [١] وفي تشديد الثاء يقول: ((إنَّ هذا لجهول، وهو نقيض الَّذين زادوا الواو في أوائل الأبيات ، أَوَّلئك أرادوا النسق فأفسدوا الوزن، وهذا البائس أراد أنْ يُصحح الزَّنة فأفسد اللفظ)) [٢]. ثم يقول : ((معرفة مايجري في الأوزان من تغيرات غريزة وهبة من الله يُفطر عليها الإنسان ، وقد كان إدراك الشاعر القديم لذلك سليقة وطبعاً ، كما عبر عن ذلك المعري بلسان امرىء القيس)) كنا نمر في البيت حتى نأتي إلى آخره ، فإذا فني وقارب تبين أمره للسامع ، وهذا يفتقده المعلمون إذ أنَّ ماعندهم علم" يتعلم)) [٣].

ولكن بعض الباحثين يرون أنَّ الدافع إلى هجوم المعلمين والتقليل من مكانتهم في خدمة النَّقْد من قبل ابن شُهَّيْد والمعري يعود إلى مسائل شخصية فَكُلّ قصة مع لغويي عصره [٤] فقد اتخذ ابن شُهَّيْد شاعريته الفذه وسيلة لإثبات موهبته في التفوق على المعلمين ، بينما وظف المعري ثقافته اللغوية العريضه في مقارعة اللغويين ونقص آرائهم .

أما المجموعة الثانية من المؤدبين الَّذين أسهموا في تطوير حركة النَّقْد الأُندلُسّي والدفع به إلى الإمام فهي التى اهتمت بمعاني الشِّعْر ، وقد ذكر لنا الزبيدي عدداً كبيراً من المؤدبين الذين عرفوا باهتمامهم بمعاني الشِّعْر فقال : ((فإنَّ فئة" أخرى من المؤدبين قد أخذت نفسها بمعاني الشِّعْر ، وقد شهر بعض هؤلاء المؤدبين بالبصر بمعانى الشِّعْر خاصة في أوائل القرن الرابع الهجري ، فأبو العباس بحوم كان ذكياً في معاني الشِّعْر ، حسن التقريب لها ، وكذلك محمد بن أصبغ كان ذا علم بالعربية وبصر بمعاني الشِّعْر حسن التأدية لها)) [٥].

وبالوقوف على مؤدبي القرن الرابع نجد من تخصص منهم في معاني شاعرٍ بعينه وبذل جهده في توضيح معانى شعره خاصة الغريب منه وابراز حسنه وجماله

---

[١] رسالة الغفران: ص٣١٤

[٢] المصدر السابق: ص٣١٥

[٣] المصدر السابق نفسه: ص٣١٦

[٤] تعريف القدماء بأبي العلاء المعري: ص١٦ ، ص٢٢٣

[٥] طبقات النحويين واللغويين : ص٢٨٩

للناس ، فيحدثنا الزبيدي بأن ابن الأصغر أبا عبدالله المكفوف كان مؤدباً بالقرآن و الشِّعْر والحديث والنحو ، وكان له حظ" من علم النحو وبصر" بمعاني شعر حبيب أبي تمام وغيره من أشعار المحدثين[١]، وأنَّ الحنيطي أبا حفص عمر بن يوسف (ت ٣٣٨هـ) من ذوي البصر بمعاني الشِّعْر خاصة شعر البحتري الذي كان يتعصب له أيضاً [٢] ، وأما شعر صريع الغواني فقد تخصص فيه الطبيخي ، أبو العباس وليد بن عيسى (ت٣٥٢هـ) الذي كان حسن التلقين للمعاني مع بصر بها ، وقد جمع إلى ذلك شرحاً لمعاني شعر حبيب وأخذ النَّاس عنه هذه المشروحات[٣]، وتخصص أبو القاسم الأفليلي في معاني الأقدمين والمحدثين مع حسن الاستنباط ويقول عنه الزبيدي: ((إنَّه بذّ أهل زمانه في قرطبة بعلم اللسان العربي، والضبط لغريب اللّغة في ألفاظ الأشعار الجاهلية والإسلامية ، والمشاركة في بعض معانيها))[٤]. وقال عنه ابن بشكوال : ((عظيم السلطان على شعر حبيب الطائي وأبي الطيب المتنبي كثير العناية بها خاصة)) [٥] وقال الحميدي: ((وله كتاب شرح فيه معاني شعر المتنبي ، وقد أخبر ابن حزم عنه بأنَّه كتاب حسن)) [٦] .

الشواهد السابقة تجعلنا نقول إنَّ المؤدبين إلى جانب اهتمامهم باللّغة وضبطها في سبيل الارتقاء بالنَّقْد الأَدبي في الأُندلس دفعوا من زاويةٍ أخرى ما ثقل شأناً واهميته في خدمة النَّقْد، وهى غرابة الشِّعْر وحسن معناه ، ولما كان النَّقْد ميدان تطبيقة الأَدب فإن هذه الزاوية أعني الاهتمام بمعاني الشِّعْر غريبة وواضحة وحسن معناه أَوَّلى بالاهتمام عن غيره دون أنْ يقلل ذلك من دور سلامة التركيب اللغوي في بناء النص الشِّعْرى فكل مكمل للآخر ، وهذا يعنى أن مؤدبي الأُندلس قد اتخذوا غرابة المعنى وحسنه مقياساً نقدياً يفضل به الشِّعْر وترتفع درجته عن غيره ولم يكن معيار الغرابة في المعنى محل اتفاق بين المؤدبين أنفسهم، فمنهم من اعتمده مقياساً

---

[١] طبقات النحويين واللغويين: ص٢٨٩

[٢] المصدر السابق : ص٣٠٣

[٣] المصدر السابق نفسه : ص٣٠٥

[٤] المصدر السابق : ص٣٠٥

[٥] الصلة : ج١ ، ص٩٣

[٦] جذوة المقتبس: ص١٥١

نقدياً ومنهم من قال بأفضليه وضوح المعنى، ونلاحظ هذا الإنقسام في تعصب الحنيطي للبحتري، وتخصص بعض المؤدبين في معاني أبي تمام ومسلم ابن الوليد ، والذي يجب ملاحظته في هذا المقام والوقوف عليه هو أنّ هذا الاختلاف والتضاد في اختيار الشِّعْر وتفضيله كان ملمحاً من ملامح خصومة أدبية نقدية في مقاييس الشِّعْر عند المؤدبين ، مثل فيه ابن أرقم والغابي مذهب الغرابة ، ومثل الحكم وابن فرج مذهب الوضوح.

يقول مصطفى عليان: ((أنَّه كان من الممكن أنْ تعمل هذه الخصومة على نماء النَّقْد ورفده بمسوغات الثراء النَّقْدي لو اتسمت هذه بالالتزام والحيدة التى كانت عليها في المَشْرِق)) [1]، وهذا يعني أنَّ الخصومة انحصرت في اطار الميل الفردي وقد ورد في شعر القرن الرابع ملامح هذه الخصومة الفردية ، فإنَّ من الشُّعَراء من فخر بمعانية ووصفها بالعمق والإبداع ، ومنهم من أعتد بمعانيه الواضحة الجلية، ونستدل على انقسام مؤدبي الأُندلس في القرن الرابع بالنسبة لمعاني الشِّعْر إلى غريبه وواضحه بما أورده الزبيدي إذ يقول: ((اجتمع محمد بن أرقم ، وكان من أهل العلم بالعربية ومعاني الشِّعْر ، وكان مؤدباً لأمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر، مع جماعة من الأَبناء منهم : موسى بن محمد الحاجب ، ومحمد بن يحيى، ابن فرح المعروف باليساري وذلك للنظر في إنتساخ شعر حبيب نزولاً عند رغبة عبد الرحمن الناصر ، وعندما شاورهم أمير المؤمنين في أي القصائد يقدم في صدر الكتاب قال ابن أرقم:((إنَّما يفضل الشِّعْر ويقدم لغرابته وحسن معناه وشعره الذي فيه وصف القلم لم يتقدمه عليه متقدم ولا لحقه فيه متأخر)) فدفعوا جميعاً عليه ذلك وقالوا الوضيع يتعصب للوضيع، يعنون ابن الزيات فأخجلوه، فبينما هم كذلك إذ استُؤذِنْ لأبي عبد الله الغابي فأذِن له. وحين سئل عما جرى من القول قال : ((أخبرني أبو الحسن المغني أنّ أهل بغداد لا يفضلون على شعره اللامي الذي فيه ذكر القلم شيئاً لغرابته))[1]

ثانياً : دور مدرسة القالي في تطوير حركة النَّقْد الأنْدلسّي

---

[1] تيارات النقد الادبي في الاندلس :١٩٨٤

[1] طبقات النحويين واللغويين : ص٢٩٨

ذكرت في موضع سابق دور أبي علي القالي في تكوين وبناء الذّوق الأَدبي الأُندلسّي وصقله ، وأقف هنا على ما اسهم به في دفع حركة النَّقْد وتطويره ، فمن هو أبو على القالي ؟

ذكر المَقرِّي أنه أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عَيْذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان ، وجده سليمان هذا مولى عبد الملك بن مروان ،لُقبَّ ((بالقالي))لأنَّه سافر إلى بغداد مع أهل قالِ يقلا وهى من أعمال ديار بكر . وُلِدَ بمناز جرْدَ من ديار بكر سنة ٢٨٨ وقيل سنة ٢٨٠ ، من مشايخه الَّذين أخذ عنهم الأَدب أبوبكر بن دُريد الأزدي . وأ بوبكر ابن الأنبارى ، وابن دُرُسْتَوَيْه وغيرهم ، ومن تلاميذه أبوبكر الزبيدى ، سافر إلى الموصل وأقام بها لسماع الحديث من أبي يعلي الموصلي ، ثم سافر إلى بغداد سنه (٣٠٣هـ) وأقام بها حتى سنه ٣٢٨هـ وكتب بها الحديث ، ومنها خرج إلى الأُندلس)) [٢].

قال بن خلكان : ((دخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلاثمئة أيام ولاية أمير المؤمنين عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر الذي حكم الأُندلس في الفترة ما بين (٣٠٠ – ٣٥٠هـ) بعد وفاة جده الأمير عبد الله ، عبد الرحمن الناصر أَوَّل من لقِّب بالخليفة الأُموي بالأُندلس)) [٣].

قال الصفدي : ((لما دخل أبو علي القالي الأُندلس قَصَدَ صاحب الأُندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن ، فأكرمه ، وصنف له ولولده الحكم تصانيف وبث علومه هناك))وكذلك ذكر ابن خلكان أنَّ أبا علي القالي لما دخل الأُندلس اجتمع به ابن القوطية وكان يبالغ في تعظيمه ، قال له الحكم ابن عبد الرحمن الناصر: مَنْ أذ بلُ مَنْ رأيته ببلدنا هذا في اللغة ؟ فقال : محمد بن القوطية، وكان بن القوطية من الُعباد النساك ، وكان جيِّد الشِّعْر ، صحيح الألفاظ ، حسن المطالع والمقاطع ، وكان الحكم المستنصر قبل ولايته الأمر وبعدها ينشط أبا علي ويعينه على التأليف بواسع العطاء ، ويشرح صدره بالإفراط في الإكرام ، وكانوا يسمونه ((البغدادي))[١] ،

---

[٢] نفح الطيب :ج٣، ص٧٢

[٣] وفيات الاعيان : ج٤ ، ص ٦٠٤ ، تحقيق احسان عباس (د ، ت).

[١] وفيات الاعيان : ج٤ ، ص ٦٠٤ ، تحقيق احسان عباس (د ، ت).

ويقال إنَّ الناصر هو الذي استدعاه من بغداد وفي ذلك دليل" على اهتمام الخلفاء ، خاصة الناصر وابنه المستنصر بالعلم والعلماء وبالتالي دورهم الفاعل في دفع حركة الأَدب والنَّقْد الأُندلسّي ، قال ابن خلكان : ((أَنَّه استوطن قرطبة إلى أنَّ توفي بها في شهر ربيع الآخر وقيل في جمادي الأَوَّلى سنه ٣٥٦هـ ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور ودفن في قرطبة))[٢] .

لقد شكَّل قدوم أبي علي القالي إلى الأُندلس في ٣٠٣هـ ، وأقامته بقرطبة مرحلة جديدة من مراحل ازدهار النَّقْد الأَدبي لما قام به من دور كبير في الارتقاء بالذَّوق الأَدبي، والنَّقْد فقد شهد له الأُندلسيون أنفسهم بأنه بذل جهوداً كبيرة في تعريف الأُندلسين بأدب المشارقة ولغتهم، بدليل كتابه الموسوم بالأمالي الذي أملاه على طلابه، وهو كتاب" متنوع المادة ، أورد فيه ما يتعلق بلغة العرب شرحاً وبياناً كما أورد فيه طائفة مقدرة من أمثالٍ، وأشعارٍ ، وأقوالٍ إلى جانب ما ذكره فيه من غريب اللغة ، فكان كتابه مستودعاً لجملة من الفنون وقدومه إلى قرطبة يعد فاتحه عهد لغوى بالأُندلس وترك القالي أسلوباً اتخذه المعلمون من بعد.[٣].

أدخل القالي إلى الأُندلس مجموعة من الدواوين الشِّعْوية للمشارقة عرَّفت أدباء الأُندلُس لأَوَّل مرة بالتَيَّارات الشِّعْوية المختلفة والمذاهب الأَدبية من مذهب القدماء ومذهب المحدثين ، وكان الميل إلى مذهب المحدثين أكبر بينما انحاز بعض اللغويين ونفر من تلامذة القالي إلى الإعجاب بالشِّعْر الذي هو على مذهب العرب يقول إحسان عباس : ((إِنَّ الشِّعْر المحدث لاشعر العرب الأوائل هو النموذج الأعلى الذي استوحوه في أشعارهم ، وليس معنى هذا أنَّهم لم يعرفوا شعر العرب الأوائل ، ولكن نماذج الشِّعْر المحدث نالت القسط الأكبر من إعجابهم ، وكانوا على وعيٍ مستمر بأنَّ الشِّعْر العربي الذي وصلهم من المَشْرِق يمثل هذين المذهبين : المذهب القديم ، والمذهب المحدث))[١] .

---

[٢] المصدر السابق : ص٦١٥

[٣] تيارات النقد الأدبي الأندلسي في العصر الخامس الهجري : ص ١٧٠

[١] تاريخ الأَدب الأُندلسين : ص٤٨

أسس القالي أَوَّل مدرسة للدراسات اللغوية بالأُندلس ، وبرز عدد من الأُندلسيين في الدراسات اللغوية مثل أبي بكر الزَّبيدي الذي تتلمذ على يده وهو صاحب كتاب (مختصر العين) كما ألف كتاب طبقات النحويين ، وكتاب لحن العامة وابن سيدة ، علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ) والذي قال عنه ابن سعيد : ((لا يعلم بالأُندلس أشد اعتناء من هذا الرجل باللغة ، ولا أعظم تأليفاً . تفخر مرسية به أعظم الفخر)) [٢] وله معجمان : ((المحيط الأعظم والمحكم)) ومن أهم ماقاله في اللغة أنه بيَّن أنَّ هناك قرابة لغوية بين اللغات السامية واللغة العربية إذ قال : ((كنعان بن سام بن نوح ، إليه يُنسب الكنعانيون ، وكانوا أمة يتكلمون بلغةٍ يضارع العربية)) [٣]، وإنَّ هذه المدرسة اللغوية التى أسسها القالي شكلت رقابة لغوية صارمة على الأَباء في تقديم النَّقْد الأَدبي وتوجيهه مما ساعد على الارتقاء بحركة النَّقْد .

وأحدث القالي حركةً نقديةً لغوية من خلال الانتقادات التي وجهت إلى كتابة الأمالي ، فقد ألف أبو عُبيدالله البكري كتاباً اسماه : ((التنبيه على أوهام القالي في أماليه)) أورد فيه تنبيهات متنوعة منها ما تتعلق باللغة ومن ذلك قول البكرى: قال أبو علي رحمه الله ((الأوقص)) الذي يدنو رأسه من صدره :

إذ يقول رؤبة بن الحجاج :

أذمُّه صياغةًوأرذلُه *** أُوقَصُ يجري الأقربين عَيْطله[٤].

قال : والعَيْطلَ : هو العنق .

ثم يعلق البكري بقوله : ((وهذا وصم" بيِّن" وتصحيفُ ظاهر" ، وكيف يكون أوقص طويل العنق ؟ إنَّا هو يُخْزي الأقربين عَطلهُ دون ياء أي عنقه ، ويريد يخزي الأقربين وقص عنقه . والعطل : العنق)) [١] .

ومن أمثله الملاحظات التى أوردها البكري في كتاب الأمالي : يقول البكري :

---

[٢] المخصص في اللغة : ج١٣ ، ص١٦٧ دار الفكر بيروت ١٩٧٨م

[٣] المغرب في حلى المغرب : ج٢ ، ص٢٥٩، تحقيق شوقى ضيف : ط٣ ، دار المعارف ، ١٩٧٠م

[٤] ديوان رؤبه بن الجراح : ص٧٥

[١] التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه : ص٨٣٦ ، تحقيق صلاح فتحي هلل ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ٢٠٠٦م

وأنشد أبو علي في الرجز .

أَشْكُو إلى الله عيالاً نَرْدقاً *** مُقْرقمينَ وعَجُوزاً شُمْلقا

وأنشد القالي شملقا بالشين المعجمية وهو تصحيف – وإنما هو سملقُ بالسين المهملة ، أي لاخير عندها ، مأخوذُ من الأرض السملق ، وهي التي لا نبات بها، قيل وهي التي لا تلدُ[٢]، وبنى أبو علي القالي مرتكزاته النَّقْدية على الملاحظات التي كانت تصدر عن مجالس الرواة والمتذوقين للشعر من الأمراء والخلفاء ، إضافة إلى ممارسته الشخصية للنقد من خلال حلقات دروسه ، فنقل عن الرواة مثلاً إعجابهم بالقيم المتوارثة عن العرب والتى أوردها في صفات الكثير من الأشياء كاهتمامهم بصفات الخيل فقد نقد الأَصْمَعِى وهو من الرواة ، أبا ذؤيب الذي كان مولعاً بصفات الخيل شأنه شأن طفيل الغنوى قال أبو ذؤيب :

قَصَرَ الصَّبُوحَ لها فشُرِّجُ لحْمُها *** بالنَّيِّ فهي تثوخ فيها الإِصْبَعُ

فقال الأَصْمَعِى: ((لم يكن لأبي ذؤيب بصر بالخيل ، وهذا عيب" في الفرس أنْ يكون رخو اللحم)) [٣]، وأورد القالي في أماليه فصلاً كاملاً عنوانه ما يُستحب من الفرس مع بيان لوجه المشابهة فيما ورد من التشبيهات يقول : ((مما يُستحبُ من الفرس طول وظيفي الرجلين ولذلك شبهت بالنعام في طول الوظيف ، لأنَّ ما يشبه من خلق الفرس بخلق النعام طول الوظيفين وقصر الساقين ، ويستحب قصر الظهر مع طول البطن)) [٤].

والذي يجب ملاحظته هنا هو أنَّ القالي يُولي المعاني الشِّعْرية اهتماماً كبيراً كذلك يمكن أنَّ أقول إنَّه كان يقصد بذلك تدريب تلاميذه على المقاييس النَّقْدية التى يسير على هديها معاني الشِّعْر عند العرب واتخذ من الفرس والخيل نموذجاً لذلك، وفي سبيل ترسيخ نقد معاني الشِّعْر في أذهان تلاميذه وصقل مواهبهم النقدية حتى يطمئن لهم في حمل لواء المدرسة القالية اللغوية كان يقدم نماذج تطبيقية عملية ، مثل تعقيبه على بيت مقصورة أبي صفوان الأسدي حيث قال : ((النفاث يجمع نفاثة

---

[٢] المصدر السابق : ص٨٣٧

[٣] الأمالي : ج١ ، ص١٨٢ ، ط دار الكتب المصرية ١٩٢٦م

[٤] الأمالي: ج٢ ، ص٢٤٨

وهو مانفثه من فيه ، وإنما شبهه بجمر الغضى لأن جمرها أشد حرارةً وأكثر بقاءً وأحسن منظراً ، لذلك أكثرت الشُّعَراء ذكرها في أشعارهم)) [1] ومن القضايا النَّقْدية التى أهتم بها القالي في دروسه مسألة السيرقات الأَدبية وهى من أشهر قضايا النَّقْد في قديمه وحديثه ، كتب عنها الكثير من الآراء ونال حظاً وافراً من النقاش والعرض، وتتصل مسألة السرقات الشِّعْرية اتصالاً وثيقاً بالموازنات بين قصائد الشُّعَراء في مختلف جوانبها إنْ اتحدت في الموضوع والوزن والقافية والتناول الصياغي، فالسرقات – إذن – تتصل أحياناً بالمعاني ويتصل بعضها باللفظ والصياغة والوزن والقافية.

أما القالي فقد كان معيار السرقة عنده أخذ المعاني ، واستخدام عبارة (وسْرق هذا المعنى) للدلالة على ذلك، ومن النماذج الذي أورده في الأمر قوله فيما أشده الشاعر:

طالبتُ من شرَّد نومي وذعر *** بقبلةٍ تحسن في القلب الأثر
فقال لي مستعجلاً وما انتظر *** ليس لغير العين حظ في القمر

يقول القالي[2] أنَّ علي بن الجهم أخذ منه قوله :

وقلن نحن الأهلة إنما *** نُضيء لم يسرِ بليل ولا نقري
فلا نَيْلَ إلاّ ما تزوَد ناظر" *** ولا وصلَ إلاّ بالخيال الذي يسري

ومع تتبع الفكرة عند القالي كثيراً ما تجده في أماليه ينص على موضع السرقات التى يميزها بقوله : ((قال أبو علي " للدلالة على صراحة رأيه في المسألة، ومن أمثلة ذلك قال[1] : ((أنشدنا محمد بن السري السراج :

بدا البرقُ من أرض الحجاز فشاقني *** وكل حجازي له البرقُ شائق
سرى مثل نَبْض العِرْق والليلُ دونه *** وأعْلامُ أُبلى كلها والأسالقُ

قال القالي : إنَّ الطائي أخذ من تلك الأبيات فقال :

إليكَ سرى بالمدح ركب " كأنَّهم *** على المِيس حَيَّاتُ اللصاب النضائض

---

[1] الأمالي: ص١٨٢

[2] المصدر السابق : ج١ ، ص٢٣٠

[1] الأمالي: ج١ ، ص٢٣١

تشيُم بروقاً من نَـدَاك كأنها *** وقد لاح أَوَّلاها عُـرق" نوابضُ[٢].

وكذلك من ملاحظات القالي النَّقْدية ما يدور حول أصالة المعنى ورصانة التعبير ومنها ما يتعلق بالبناء الفني للقصيدة ومدى قدرة الشاعر على إصابة غرضه بعيداً عن التطويل في المقدمات ، والذي يؤكد ما ذهبتُ إليه ما نقل في الأمالى قولاً لبعضهم : ((إنَّ أحدكم يأتينا يريدُ مدحنا فيشبب في قصيدته بخمسين بيتاً فيما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره)) ، وقد أتانا أبو العتاهية فشبب ببيتين ثم قال[٣].

بالنظر إلى جملة من الملاحظات يمكن القول إنَّ مذهب القالي النَّقْدي يقوم في أُسسِه النَّقْدية على الطريقة التى رسمها العرب التى لخصَّ مبدأها أحد الأعراب حين سُئل عن البلاغة قال : ((أنْ تظهُر المعنى صحيحاً واللفظ فصيحاً)) [٤].

لقد استطاع القالي بما بذله من جهود نقدية من خلال مجالسه أنْ يرسم لتلاميذه خطوط واضحة ومعالم بيِّنه يسيرون على هديه في تقويم الشِّعر فهو بذلك يساهم مساهمة كبيرة في إرساء دعائم النَّقْد الأَدبي في الأُندلس ، وأنَّ هذه القضايا وتلك المسائل التى أَولاها أبوعلي القالي جلَّ اهتمامه لم تكن جديدةً على الساحة الأَدبية فقد كان محل نقاشٍ وإبداء الآراء بين كثيرٍ من النُّقَّاد في المَشْرِق ، وأنَّ ما تبناه القالي يشكل قناعاته الشخصية وآرائه المحضة.

في تقديري أنَّه بقدومه إلى الأُندلس وجد أرضاً بكرةً وعقولاً خالية من آراء نقدية سابقة فضلاً عن القبول والمكانة الكبيرة التى حظي بها ، هذه العوامل مجتمعة أكسبته عدداً من المناصرين الذين تبنوا آراءه فيما بعد ، في بيئةٍ أدبية خصبة أنتجت محصولاً وافراً من الشِّعر بكل الوانه واتجاهاته في مختلف الأغراض فكان من الطبيعي أنْ يواكب هذا الإنتاج الأَدبي حركة نقدية تأخذ بيده ، فالنَّقْد في تقديري بمثابة العين الفاحصة التى تبيِّن مواطن الخلل في البناء الشِّعري لتداركه.

خلف القالي تلامذة ظلوا أوفياء لمذهبه النَّقْدي وحملوا بصدق لواء المدرسة القالية في الأُندلس من بعده منهم الزبيدي الذي يُعد حلقة وصل بينه وبين أتباعه من

---

[٢] الأمالي: ج٢ ، ص٢٤٨

[٣] المصدر السابق : ج١، ص١٧٩

[٤] المصدر السابق : ج١ ، ص٢٤٣

نقاد القرن الخامس الهجري أمثال الأعلم الشنتمري والأفليلي، والبكري وعاصم وغيرهم .

نجد في كتاب الزبيدي ((طبقات النحويين واللغويين)) مجموعة كبيرة من الأحكام النَّقْدية التي أصدرها على أشعار من ترجم لهم من النحاة واللغويين بذات المقاييس والمعايير النَّقْدية التي درب عليها القالي تلاميذه .

ومن أدلة ذلك ما أورده الزبيدي عن شعر أبي أيوب بن حجاج إذ يقول : قال الشِّعر بعدما أسنَّ فأحسن وجوَّد ، وله قصائد حسان جيِّدة المعاني حلوة الألفاظ، منها قصيدته الكافية التي يقولُ فيها :

كنتُ حراً فصرتُ عبداً وملكاً *** لظلوم لا أرتجي منه نسكاً

وقصيدة أخرى يقول فيها :

أقلي من اللوم أو أكثري *** سواء" على قلب مستهتر

يروحُ ويغدو على وصله *** بجهر مريب وسر بري[1]

فالحكم النَّقْدي الذي أصدره الزبيدي واضح" يتعلق بانسجام اللفظ والمعنى بدليل قوله : ((قصائد حسان جيِّدة المعاني حلوة الألفاظ)) . [2].

ثالثاً: دور مجالس الخلفاء في تطور حركة النَّقْد بالأنْدلس

لعبت مجالس الحكام بالأنْدلسمن أمراء وخلفاء دوراً مهماً وبارزاً في تطوير الحركة النَّقْدية لما كانت تضمه من مشاهير الشُّعَراء والأُدباء واللغويينالذ ُقَّاد، وكانوا يشاركون في التقويم النَّقْدي لما يعرضه الشُّعَراء من إنتاجهم الشِّعْرى عليهم ويصدرون عليها أَحكامهم النَّقْدية، وفي مقدمتهم الأمراء والخلفاء وأهم ما يميز النَّقْد في هذه المجالس التنافس الأَدبي والسياسي الذي أتخذ من النَّقْد وسيلة إلى إرضاء الخلفاء أو وسيلة لاقصاء المنافسين وكانت هذه المنتديات الأَدبية التى تعقد في حضرة الأمراء والخلفاء تشكل مصدراً مهماً من مصادر النَّقْد الأَدبي في الأُندلس خلال تلك الفترة لما تحتويها من أمزجة فنية مختلفة ، واتجاهات فكرية متباينة ، وآراء ومذاهب نقدية متقاطعة فضلاً عن كونها وسيلة إِعلامية وثقافية لمحبي الشِّعْر

---

[1] طبقات النحويين واللغويين: ص٥٤

[2] المصدر السابق : ص٥٥

ومتذوقيه، ومن الحكام الذين بذلوا جهداً كبيراً في تكوين الذَّوق الأَدبي الأُندلسّي من جانب وتطوير حركة النَّقْد في الأُندلس الخليفة عبد الرَّحمن الثالث الذي لقب بالناصر الذي امتدت فترة حكمه بالأُندلس حوالى الخمسين عاماً من سنه (٣٠٠هـ – ٣٥٠هـ) وقد تولى أمر الأُندلُس بعد موت جده الأمير عبد الله .

قال أحمد هيكل : ((تعودَ المؤرخون على تسمية الفترة التي تبدأ باتخاذ عبد الرحمن الثالث لقب الخليفة الناصر لدين الله في سنه (٣١٦هـ – ٤٢٢هـ) الموافق (٩٢٩ – ١٠٣١م) بفترة الخلافة الأموية بالأُندلس ، استطاع فيها الناصر أنْ يؤمن الأُندلس من الخارج كما وحدها من الداخل وأنْ يوسع رقعه الدولة الأُندلسية ، ويبسط نفوذها ، ويقيم في قرطبة أعظم حكومة عرفتها الأُندلس في عهدها المديد)) [1] وفي ظل هذا الاستقرار السياسي نهض المجتمع الأُندلسّي في كل جوانبيه الاجتماعي ، والاقتصادي والفكري والثقافي مما وفر بيئةً صالحة للانتاج الأَدبي ، فازدهر الشِّعْر وقويت روح التنافس بين الشُّعَراء والأُدباء ونتج عن ذلك ميلاد حركة نقدية قوية كانت بمثابة الحارس الأمين على رعاية الإنتاج الأَدبي شعراً ونثراً ، فُعُدَّ بذلك عهد عبد الرحمن الناصر العصر الذهبي للدولة الأُندلسية وأصبحت قرطبة حاضرة الخلافة الإسلامية في الأُندلُس مجمعاً للعلماء والأُدباء والشُّعَراء الذُ قَّاد وقبلتهم الأَوَّلى، واليها كانت الرحلة في رواية الشِّعْر والشُّعَراء .

وكان مجلس الخليفة يضم الصفوة من أهل العلم والأَدَب ، وكانت المناقشات التي تدور في هذه المجالس المنهل الذي تستقي منه الحركات الأَدبية والنَّقْدية موضوعاتها ، تحول أمر البلاد بعد الخليفة الناصر إلى أبنه الخليفة الحكم الثانى الذي لقب بالمستنصر آلت إليه شؤون الأُندلس بعد وفاة والده في سنه ٣٥٠هـ ، وكان عهده امتداداً لعهد أبيه وقد تقفى أثره في كثير من المواقف خاصة فيما يتعلق بشأن العلم والعلماء ، بل ربما كان يفوق أباه في محبة العلماء وتقريبهم إلى مجلسه والاهتمام بشئونهم وفي سبيل ذلك كون مكتبة ضخمة شملت ما يزيد عن الأربعمئة ألف مجلد كما ذكر ذلك المَقرِّي إذ يقول : ((وقلما يوجد كتاب من خزائنه إلا وله

---

[1] الأَدب الأُندلسيِّ من الفتح إلى سقوط الخلافة : ص١٧٩

وفيه قراءة" أو نظر" في أي فن كان ، ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ، ويأتى من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده لعنايته بهذا الشأن))[1].

لعلَّ من أهم الأعمال التى قام بها الخليفة الحكم المستنصر أهتم بتوجيه الأَباء والعلماء للتأليف، وتوثيق التاريخ والتراث الأُندلسّي وكتابته والترجمة للأعلام في شتى الميادين من شعراء وعلماء وأدباء ، وقضاة ونحويين وغيرهم من أعلام الثقافة والأُندلسية، فخلق بذلك حراكاً واسعاً في كل ميادين المعرفة بالأُندلس ، وجعل قرطبة بؤرة معرفية مشعة للأدب والشِّعر والنَّقد وقبلة تيممها القادمون من المَشْرِق بتشجيع من الخليفة وحرصه فوفد إليها عدد" كبير من العلماء والأَباء أمثال أبي القالي الذي يعد من أبرز الشخصيات الأَدبية واللغوية التى وفدت على الأُندلس في أيام الخليفة الناصر، وقال الضبي[2] كان قدومه بتشجيع ورغبة من المستنصر ومساهمة القالي في توجيه الذَّوق والنَّقد الأُندلسّي ذكرناه في موضع سابق .

الدور الذي قام به المستنصر أذكى في الأُندلسيين وطنية أندلسية أصيلة ، وأوجد فيهم رغبة أكيدة في توكيد دعائم الثقافة الأُندلسية ، فضلاً عن تحريك جذوة المنافسة مع المشارقة في الانتاج الأَدبي ، وكل هذه العوامل مجتمعة ساعدت على تطوير حركة النَّقد والتوجية والتقويم، بدليل نشاط حركة التأليف النوعي إذ شهده عصره إذا ألّف ابن فرج الجَّياني كتاب الحدائق، معارضاً به كتاب الزهرة لمحمد داود وذكر فيه فقط شعر الأُندلسيين، وألف الحارث الخشني كتابه قضاة قرطبة ، وألف الزبيدي كتابه طبقات النحويين واللغويين.

كما أمر الخليفة المستنصر محمد بن أبي الحسن، وهو عالم جليل باللغة والأَدب ، أنْ يقابل كتاب العين للخليل مع أبي علي القالي.

دخل الأُندلس مرحلة تاريخية جديدة بعد موت الخليفة الحكم المستنصر في (٣٦٦هـ) استمرت نحو اثنتين وثلاثين سنه من (٣٦٦هـ – ٣٩٩هـ) كان حاكم الأُندلس من الناحية الرسمية الخليفة هشام الثاني ابن الخليفة المستنصر، الذي بُويِع بالخلافة وهو في الثاني عشرة من عمره ، أما من الناحية الفعلية فقد كان حاكم الأُندلس محمد بن

---

[1] نفح الطيب : ج٣ ، ص٣٨٦

[2] بغية الملتمس : ص٢١٣

أبي عامر الملقب بالمنصور الذي كان حاجباً للخليفة ثم انتقل الحكم من بعده لابنيه المظفر والمأمون ، وقد اعتاد المؤرخون للأدب الأُندلسّي على تسمية هذه الفترة بفترة الحجابة كما قال بذلك أحمد هيكل[١] .

وكان المنصور بن أبي عامر حاكم الأُندلس في الفترة من (٣٦٦هـ . ٣٩٢هـ) من الحكام الَّذين تركوا أثراً كبيراً في الحياة الأَدبية ودفعوا بحركة النَّقْد في الأُندلس يقول الضبي : ((كان المنصور محباً للعلم مؤثراً للأدب مقدماً في أكرام من ينسب إليها ويفد متوسلاً بهما حظه منهما ، وكان له مجلس" معروف في الأسبوع يجتمع فيه أهل العلوم للكلام فيه بحضرته ما كان مقيماً بقرطبة ، وكان حريصاً على الاستماع لإنشاد الشِّعر فيه)) [٢].

عُرف المنصور بأنه كان مولعاً بتقليد الخلفاء والأمراء الأمويين الَّذين سبقوه في حكم الأُندلس ، بل كان ميالاً إلى منافستهم والتفوق عليهم ، ربما لإحساسه بأنه ليس من آل البيت الأُموي ويريد أنْ يلفت النَّاس إليه فشمل هذا التنافس كل مجالات الحياة الفنية والأَدبية وحتى العمارة ، بدليل أنه شيَّد مدينة الزاهرة ، ليقابل بها مدينة الزهراء التى بناها الناصر ، وكذلك أنشأ قصر الُمنْية العامرية ، ليباهي بها قصر مُنْية الرصافة التى أنشأها عبد الرحمن الداخل ، ووصل التنافس بالمنصور إلى أن أدخل إلى الأُندلس صاعداً البغدادي سنه (٣٨٠هـ) وهو أبو العلاء صاعد بن الحسين ابن عيسى البغدادي اللُّغَوي أصله من الموصل قال عنه المَقرِّي[١] وكذلك ابن بسام : ((ولما دخل صاعد قرطبة أيام المنصور بن أبي عامر عزم المنصور على أنْ يعفيَّ به آثار أبي علي البغدادي الوافد على بني أمية، فما وجد عنده ما يرتضيه ، وأعرض عنه أهلُ العلم وقدحوا في علمه وعقله ودينه ، ولم يأخذوا عنه شيئاً لقلة الثقة به، وكان ألف كتاباً سماه كتاب "الفصوص " فَنَحَضُوه ورفضوه ونبذه في النهر)) [٢] .

---

[١] الأَدب الأُندلسيِّ من الفتح إلى سقوط الخلافة : ص٢٦٤

[٢] بغية الملتمس: ص١١٥

[١] نفخ الطيب : ج٣ ، ص٧٥

[٢] الذخيرة :ج١ ، ص٣٠٢

وقال عنه الحميدي : ((كان عالماً باللغة والأداب والأخبار ، سريع الجواب حسن الشِّعْر ، طيب المعشر ، فكه المجالس ممتعاً ، فاكرمه المنصور ، وزاد في الإحسان إليه والإفضال عليه)) [٣] وقد جعله المنصور منافساً لأبي على القالي، وعرض عليه أنْ يؤلف كتاباً على غرار الأمالي ، فثار كبرياء صاعد ووعد المنصور بكتابٍ أجلَّ منه وأعظم ، لا يرد فيه خبر" مما ذكره القالي ، وفي ذلك يقول الحميدي : ((وجمع أبو العلاء للمنصور كتاباً سماه الفصوص في الآداب والأشعار والأخبار وأمره المنصور أنْ يتلوه الناس بالمسجد الجامع بالزهرة في عقب سنه خمس وثمانين وثلاثمئة ، واحتشد له من جماعة أهل الأَدب ووجوه النَّاس أمة)) [٤]. ترك صاعد البغدادي أثراً كبيراً في الثقافة الأُندلسية عامة، وأثار حركة علمية ونقدية واسعة النطاق شملت اللغة والنحو والأَدب، وأوجد نهضة أدبيةً شعرية عظيمة بإذكاء روح المنافسة بين الشُّعَراء في قول الشِّعْر بديهةً وارتجالاً، فأثر بذلك أثراً بالغاً في تهذيب الذَّوق الأَدبي الأُندلسّي ونقده، واستحدث صاعد طريقة جديدة لأَوَّل مرة بالأُندلس في تدريس الشِّعْر، بأنْ يلقي النص الشِّعْري تلاميذه ، فيكتبونه أَوَّلاً ، ويضبطونه بالشكل لغةً ونحواً ، ثم يقوم بشرح المعنى العام لهم ، وعلى الرغم من الخدمة الجليلة التى قدمها صاعد البغدادي لأهل الأُندلُسّي لكن هناك من ينكر فضله ويقول : إِنَّ البغدادي لم يُفلح فيما قدَم من أجله نسبة لعظم والهالة التى تركها القالي في نفوس طلابه ، ولكنهم يلتمسون له عذراً بأنه جاء في وقت أكملت فيه الروح الأُندلُسية سن الرشد واستنغنت عمن يأخذ بيده وأخذ أهل الأُندلُس يغضون عن المشارقة الوافدين .

يقول ابن بسام : ((ولما دخل قرطبة دمغوه بالجملة عن العلم واللغة ، وأبعدوه عن الثقة في علمه وعقله ، ودينه ، ولذلك مارضيه أحد" من أهلها أيام دخوله إليها ولا رأوه أهلاً للأخذ عنه ولا للاقتداء به)) [١]. ومع ذلك وجد البغدادي هوى في نفس المنصور، لأنَّه يتمتع بالبديهة، والقدرة على الارتجال، وهى المقاييس النَّقْدية التى كان ابن أبي عامر يعتمد عليها في تقويمه للأدباء فهذه المعايير النَّقْدية،

---

[٣] بغية الملتمس : ص٢٩٥

[٤] الصلة لابن بشكوال: ص٢٣٨

[١] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ج١ ، ص ٣٠٢ ، مطبعة التأليف والنشر القاهرة ١٩٣٦م

في نظره تترجم عن الطبع وتشف عن الأصالة الشِّعرية في التدفق والفطنة ، وعلى أساس البديهة والارتجال هذى تم تقسيم الشُّعَراء وتسجيلهم في دواوين المنصور الخاصة بـ الشُّعَراء .

فمنهم من يتصلُ بالمنصور مباشرة في مجالسه فيغدقُ عليهم النعم وهم أصحاب البديهة والارتجال ، ويمثلهم صاعد وابن العريف ، أما عامة الشُّعَراء فقد كان يشرف عليهم ناقد" من نقدة الشِّعر وهو عبد الله محمد بن سلمة ، وقال عنه الضبي : ((من أهل العلم والأَدب ، ناقد من نقاد الشِّعر ، كان رئيساً جليلاً ، وكاتباً في ديوان المنصور ، وكان زمام الشُّعَراء في تلك الدولة ، وعلى يديه كانت تخرج صلاتهم ورسومهم ، وعلى ترتيبه كانت تجري أمورهم)) [٢].

وعن ذلك الديوان الذي يضم عامة الشُّعَراء يقول إحسان عباس : ((إنشاء ديوان للشعراء لا يُقيد فيه اسم الشاعر لينال عطاءً إلا بعد أنْ يثبت تفوقه ، ونحن إنْ كنا نجهلُ الكثير من المقاييس النَّقْدية التي كان يستخدمها المحكّمون ، ولا نستطيع تبرءتهم من الإنسياق مع الذَّوق الذاتي ، فإننا نقدر أنَّ المنافسة وحدها كانت كافية – عن طريق الأخذ والرد – بإثارة الأذهان للنقد وأحياناً للتجريح والتهكم وفي كل ذلك تكمن تربة صالحة لنمو نقدٍ سليمٍ)) [١]. وعلى الرغم من المكانة الكبيرة التى حظي بها صاعد البغدادي في مجلس المنصور بن أبي عامر لكنه لم يسلم من بعض الاختبارات المتكررة لقياس مدى صدقه وعلمه ، وله في ذلك قصص عديدة منها : ذكر الضبى أنَّه دخل ذات يوم على المنصور وفي يده كتاب" أتاه من عامل له في بعض البلاد اسمه مَبْرَمان بن بُرِيد ، فقال له أبو العلاء: هل رأيت في ما وقع إليك من الكتب كتاب القوالب والدوالب لمبرمان بن بُرِيد فقال له : إِي والله يا مولانا رأيت في بغداد في نسخة لأبي بكر بن دريد بخطٍ كأكرع النمل في جوانبها علامات الواضع هكذا ، فقال له : ((أما تستحي أبا العلاء من الكذب ، هذا كتاب عاملنا ببلد كذا واسمه كذا)) [٢].

---

[٢] بغية المتلمس : ص٢٩٥

[١] النقد الأدبي في الأندلس : ص١١٧

[٢] بغية المتلمس: ص ٢٩٧

ومن ذلك أيضاً أنَّ المنصور قال له وقد قُدِّم طبق فيه تمر : ما التمركل في كلام العرب ؟ فقال: ((قال تمركل الرجل يتمركلُ تمركلاً إذا التفَّ في كسائه))[٣].

وكان البغدادي نفسه يختبر غيره من الأُدباء والشُّعَراء في مجالس المنصور ليشير إلى علمه واقتداره ، ومن ذلك أنَّه سأل جماعةً من أهل الأَدب عن قول الشماخ من البسيط ، إذ يقول :

دار الفتاةِ التي كُنَّا نقولُ لها *** يا ظَبْيةً عُطلاً حسّانة الجيد

تُدني الحمامةُ منها وهي لاهيةٌ *** مِنْ يانع الوُرْدِ قنوان العناقيدِ[٤]

فالعُطل يقصد بها المرأة التى ليس عليها حُليٌّ ، والحسَّانة" هى الشديد الحسن، واليانع يقصد به المثمر ، والغصن الوُرْدِ ما خلا من الورق ، أما القنوان: فجمع القنو العزقُ بما فيه من الرطب . قالوا : ((هى الحمامةُ تنزل على غصن الأراكةِ والكَرْم ، فتثقله فتمكن الظبية منه فترعاه ، أنكر صاعد البغدادي عليهم ذلك وقال : ((إنَّ الحمامة في هذا البيت هي المرأة أدنت المرآة منها في المنظر شعرها الذي هو كقنوات العناقيد ، من يانع الكرم أو المرد فرأته)) [١].

وهنا يمكننا أنْ نقول أنَّ محاورات أهل الأَندلس ومناظراتهم لصاعد البغدادي قد تركت أثراً كبيراً في تنشيط الحركة الأَدبية واللغوية وزادت من اهتماماتهم بالنَّقْد ، وإنْ كانت تلك المحاورات والمناظرات لا تخلو من كيدٍ وحقدٍ وحسدٍ . وأيضاً من القضايا النَّقْية التي وجدت اهتماماً كبيراً لدى الشاعر الأَندلسّي بصورة عامة وخاصة في عهد المنصور ، السرقة الأَدبية وهي كانت وسيلة ابن أبي عامر لمعرفة ذلك باختبار البديهة الشِّعْرية لدى الشُّعَراء : مثال ذلك ما جرى مع ابن دَرَّاج القسْطلي عندما مدح المنصور بقصيدةٍ عارض بها أبا العلاء صاعد البغدادي يقول فيها:

أضاءَ لها فجْرَ الثَّهى فتَهاهَا *** عن المُنْتق المُضْنَى بجرِّ هَواهَا

---

[٣] النقد الأدبي في الأندلس : ص١١٧

[٤] بغية المتلمس : ص٢٩٧

[١] بغية المتلمس : ص ٢٩٧

قال الضبي عن القصيدة: ((وهي طويلة " مستحسنة "، فساد الظن بجودة ما أتى به من الشِّعر، وأتهم فيه .. فسُعِي به إلى المنصور، بأنه منتحل" سارق" لا يستحق أنْ يثبت في ديوان العطاء الخاص بـ الشُّعَراء، فاستحضره المنصور واختبره واقترح عليه، فبرز وسبق وزالت التهمة عنه مفصله بمئة دينارٍ وأجرى عليه الرزق وأثبته في جملة الـ شُّعَراء)) [٢] .

وقد هزَّ ذلك في نفس ابن دراج ، فعظم على أنْ يؤكد شاعريته بما هو أكثر من ذلك ليقضي على مزاعم الحاسدين وكان ابن دراج معروف بتنقيح الشِّعر وتجويده ولكن لأنَّ الموفق يتطلب الرَّد المباشر على الاتهام بالسرقة لذلك قال مرتجلاً القصيدة المشهورة والتي يقول فيها :

حسبي رضال من الدهر الذي عتبا *** وعطف ذ ُ ْعاك للحظِّ الذي انْقَلبا

إلى أنْ يقول:

ولست أوَّل من اعيتْ بدايته *** فاستدْعت القول ممَّن ظنَّ أو حسبا
إنَّ امرأ القيس في بعضٍ لمتهم" *** وفي يديه لـواُء الشِّـعْر إنْ ركبا
و الشِّعْر قد أسر الأعشى وقيده *** دهراً وقد قيل :والأعشى إذا طربا
وكيف أظمأُ وَبحْري زاخر" وظما *** إلى خيالٍ من الضحضاح قد نضبا
فإنْ نأى الشَّكُ عني أو فها أنذاَ *** مهيَّا لجلي الخير مرتقبا
عبد" لنعماك في فكيه نجم هُدى*** سار بمدك يجلو الشَّكُ والريبا
إنْ شئتَمللَّي بديعَ الشِّعرأو كتبا *** أو شئت خاطب بالمنثورُ أو خطبا
كروضةِ الحزن أَهدى الَوشْيُ منظرها *** والماَء والزَّهرَ والأنوار والُعشُبا
أو سابق الخيل أعْطى الُحضر متِّداً *** والشَّد والكرَّ والتقْريب والخَببا[١]

هذه المحاورات في مجملها تصور لنا جانبا من الممارسات النَّقْدية التي كانت تدور في مجالس المنصور ابن أبي عامر ونستشف منه بعض المقاييس النَّقْدية التي كانت سائدة واعتمد عليها المنصور في إصدار حكمه على الشِّعْر .

---

[٢] المصدر السابق : ص٢٩٨

[١] جذوة الملتمس : ص ١٥٠

الفَصْلُ الخَامسُ
التيَّاراتُ والاتجاهاتُ النَّقْدِية في الأَنْدَلُس

المَبْحثُ الأوَّلُ: اتجاه النَّقد المنْهجي في الدِّفاعِ عن أدَب الأندلُس

المَبْحَثُ الثَّانيُ : اتجاه النَّقْدِ الخُلُـــــقي ((الشِّعْرُ والدِّينْ))

المَبْحَثُ الثَّالثُ : الموازنـــــــــــــات الأدبية في الأندلُس

الفَصْلُ الخَّامسُ
التَيَّاراتُ والاتجاهات النَّقْدية في الأَنْدَلُس
المَبْحثُ الأوَّلُ
اتجاه النَّقد المنْهجي في الدِّفاعِ عن أَدب الأَنْدلُس

يقـول أحمـد أمـين : ((إنْ قُلنـا : أنَّ الأدب العربـي نهـر" جـارٍ ، فالأُنـدلُس رافِدٌ من روافده ، لا نهر مستقل بذاته موازٍ لـه ، وبعبارةٍ أخرى : الأُندلُسيون وسعوا النهر الأصلي، ولم ينشئوا نهراً جديداً ولئن دفع الأدب الجاهلي ، الأدب المَشْرِقي، فالأدب المَشْرِقي دفع الأدب الأُندلُسّي)) [1]. ثم يمضي في عرض الفكرة ويوضحها أكثر فيقرر أنَّ:((الأُندلُسيين في أدبهم وسعوا الإنتاج أكثر مما كان نوعوه ، فبدل أنْ ينتجوا باءً بجوار الألف– وهو الأدب المَشْرِقي– أنتجوا ألفاً أخرى تتشابه مع الأولى في الموضوع، والوزن، والقافية، والسجع ونحو ذلك))[2] .

سـأجعل هـذه الوثيقـة الأدبيـة مـدخلاً للحـديث عـن أثـر التَيَّـارات النقديـة المَشْرِقية في إنشاء اتجاهات نقدية أندلسية جديدة ،غير التى عرفت بـ المَشْرِق ، ذلك

---

[1] ظهر الإسلام : ج٤ ، ص١١٦.

[2] المصدر السابق : ص١١٧

لأنَّ الحديث عن النقد لا ينفصل عن الحديث عن الأدب، فالأدب يسبق النقد في الوجود ، ثم يأتي النقد ليتدخل ويمارس مهنته في تقويم وتوجيه الأدب ، وإذا ألقينا الضوء كرة أخرى في ما أورده أحمد أمين عن العلاقة الأدبية بين الَمشْرِق والمغرب الأُندلُسيّ ، وأمعنا النظر في الصورة التى رسمها لتوضيح شكل العلاقة بين أدب القبلتين الَمشْرِق والأُندلُس مثل قوله : ((نهر جار متدفق ، ذو روافد ، منبعه الأدب الجاهلي ، ولا تزال خصائص هذا الأدب مترائية في روافده الشرقية والأُندلُسية . فالمتكأ الحضاري . للأدب العربي في الشرق والغرب واحد)) [٣]. هذه العبارات التي استخدمها في وصف الأدب تجعلنا نقول إنَّ التَيَّارات الأدبية والنقدية التي كانت في الَمشْرِق هى ذاتها تدفقت في إقليم الأُندلُس ، كيف لا ونحن نوافقه إذ يقول إنَّ الأدب العربي نهر جار ، والأُندلُسيّ من روافده ، لا نهر مستقل موازٍ له ، فالأدَبان – إذن – لا يختلفان لا في الطعم ولا في الرائحة ، ولكن على الرغم من وحدةالتَيَّار العام للأدب العربي في الَمشْرِق والمغرب جدت مستجدات فيما بعد أدت إلى خلق اتجاهات أدبية ونقدية في الأُندلُس سايرتالتَيَّار العام ولكنها امتازت بميزات محلية جعلت لها الخصوصية المحلية ومن ذلك الخصومات التى نشأت بين المشارقة والأُندلُسيين سواء كانت خصومات أدبية أو سياسية، وهنالك روابط أخرى زادت من إحكام الوثاق بين الَمشْرِق والأُندلُس، وهى لا تقل عن رابطالتَيَّار الأدبي العام، وهى وحدة اللغة والدين، وسهولة الاتصال وكثرته بين الطرفين، وقد بين المقَّرِي[١] ذلك في حديثه عن هجرة المشارقة إلى الأُندلُس، والأُندلُسيين إلى الَمشْرِق.

من الشواهد التاريخية التى نعتمد عليها في إثبات استمرارالتَيَّار الَمشْرِقي في الأدب والنقد وانسيابه إلى الأُندلُس دون انقطاع ما نقله ابن بسام بأن لطريقة التعليم الأُندلُسية التى التزمت تلقين الأطفال الشِّعْر والحكمة ، والُمثل ، والتاريخ الَمشْرِقي بجوار حفظ القرآن الكريم أثر" دون شك في حيوية هذا العامل واستمرار فاعليته ، وفي فهرسة ابن الخير ورد ذكر مؤلفات أدبية كثيرة وصلت من الَمشْرِق إلى الأُندلُس

---

[٣] المصدر السابق : ص ١١٦

[١] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب :ج٤، ص

منها المختارات، كالمعلقات، والمفضليات، والأصمعيات، وكتاب الحماسة لأبي تمام، وأشعار الهزليين، والنقائض بين جرير والفرذدق، وكتاب يتيمة الدهر للثعالبي وغيرها، ومنها الدواوين ، كديوان ذي الرمة والأعشي وأبي تمام، والمتنبي، والصنوبري ، وسقط الزند، واللزوميات للمعري، وديوان أبي العتاهية، والدواويين التى جلبها أبو علي القالي من الَمشْرِق ، ومنها كتب الطبقات، كطبقات ابن قتيبة ، وطبقات ابن الحيان ، ومنها كتب النوادر، ككتاب النوادر لعلي بن حزم اللحيانى، ونوادر أبي زياد الكلابي ، ونوادر الحصري، وغير ذلك.

قال ابن بسام : ((وصادف علم الأساتذة الوافدين من الَمشْرِق وثقافتهم هوى في نفوس الأُندلُسيين ، فجلسوا في جامع قرطبة ، ونقلوا أمهات الكتب لأعلام الشرق في العلم والأدب وإلى هؤلاء جلس كثير" من الشُّعَراء فانطبعوا باتجاهاتهم " وكان الغالب على أدواته علم اللسان ، وحفظ الغريب من الشِّعْر الجاهلي والإسلامى ، وهناك روافد مشرقية أخرى أفاد منها الأُندلُسيون إفادة جزئية ، وأخرى منهجية ، أما الجزئية فهى افادتهم من الاقتباس من القرآن الكريم ، وأما المنهجية فتتمثل في الطريقة التى سار عليها المشارقة وحاكاهم فيها الأُندلُسيون في افتتاح القصائد بالوقوف على الأطلال والنسيب ، أو الحديث عن الخمر والشراب أو انتهاجهم طريقة أبي تمام في البديع ، وطريقة المتنبي في تضمين الحكم أو أبي العلاء في النظريات الفلسفية ، وهم في ذلك يعمقون أدبهم . ويصلونه بالجذور الإنسانية العامة للتراث الأدبي ، وفي ذلك يقول جودت الركابي :" فعودتنا إلى أثارها القديمة إلى الشِّعْر الجاهلي والأُموي والعباسي ، إلى هذا الأدب الإنساني الواسع دليل" على رغبتنا في المحافظة على إنسانيتنا الأدبية ، والأدب الأُندلُسّي ، كأي أدب إنسانى أخذ يتطلع إلى هذا التراث القديم ويغذي فكره الإنساني بـ الشِّعْر القديم)) [1].

وسنقف فيما يلي على بعض الاتجاهات النقدية التى نشأت في الأُندلُس كرد فعل للخصومات التى تولدت بين المشارقة وأهل الأُندلُس وعمل نقاد الأُندلُس من خلالها على إبراز شخصية الأُندلُس الأدبية المستقلة ، ومن تلك الاتجاهات :

---

[1] في الأدب الاندلسي : ص٣٥، ط٧ ، دار المعارف القاهرة ٢٠٠٨م

اتجاه النقد المنهجى في الدفاع عن أدب الأنْدلُس:

لم يكن موقف المشارقة واضحاً تجاه الشِّعْر الأنْدلُسّي في مرحلة نشأته ، فقد ظل متأرجحاً بين الإشادة با لشِّعْر الأنْدلُسّيتارةً ، والتعصب للأدب الَمشْرِقي تارة أخرى ، نتج عن هذا الموقف المتأرجح ما عُوفت بالخصومة الأدبية بين المشارقة وأهل الأنَدلُس، تركت هذه الخصومة سمات بينة في الأدب الأنْدلُسّي بصورة عامة ، وفي إنتاجهم الشِّعْري بشكل أخص ، خاصة في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وأدت هذه الخصومه إلى تكوين اتجاه نقدي ممنهج تبلورت من خلاله الشخصيه النقديه الأنْدلُسيه تعمل على الدفاع عن الأدب الأنْدلُسى، وكان أبرز رموز هذا الاتجاه من الأنْدلُسّيين ، ابن حزم الظاهرى ، وابن شُهَّيْد.

ويهدف هذا الاتجاه إلى التصدي للتيارات الأدبية الوافدة ، وإبراز الأدب الأنْدلُسّي في ثوبه اللائق – والدفاع عنه ، إذن الرفض والدفاع كانا الأساس الذي انطلق منه هذا الاتجاه النقدي ، فانتظم الحركة الأدبية الأنْدلُسّية في القرن الخامس الهجري بشكل خاص مع الالتفات إلى أدب المراحل السابقة في الأنْدلُس[١] .

وفي سبيل تطبيق هذا الاتجاه والوقوف أمام الاتجاهات الوافدة اتخذ الأنْدلُسّيون الوسائل الآتية : الترجمة للأندلسيين، والمعارضات، والمقايسات الشِّعْرية، ثم الفنون الأدبية.

أما فكرة الترجمة والتأليف في طبقات الشُّعَراء وهي نفسها فكرة" وافدة" إلى الأنْدلُس من الَمشْرِق ، فقد شاعت في الأنْدلُس خلال القرنين الثالث والرابع ، ذكر المقري[٢]: ((أنَّ ابن حزم الظاهري وضع رسالة في فضل الأنْدلُس ، وخص الشُّعَراء بجزء كبير منها، التزم في هذه الرسالة بذكر الشُّعَراء ، والثناء عليهم ، والتنويه بشعرهم كما ذكر الحميدي بأنه ذكر محمد بن عبد الله بن بدر ، وسعيد بن فتحون السرقسطي في هذه الرسالة، وأثنى على عبد الرحمن بن أحمد أبو المطرف، وتخيره

---

[١] تيارات النقد الأدبي في الأندلس : ص٢٨٩

[٢] نفخ الطيب :ج٤ ، ص١٥٧، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط٢ ،القاهرة ١٩٤٩م

لأحمد بن عبد الملك بأنَّه من المتقدمين من الشُّعَراء ، وفضل أحمد بن دراج القسطلي بأنه أشعر أهل الأُندلُس)) [٣] .

في تقديري أنَّ ابن حزم عمد إلى هذه الترجمة والتأليف الممنهج عندما شعر بضرورة الوقوف أمام الزحف الَمشْرِقي ، وتوصيل صوت الأُندلُس الأدبي إلى الآخرين وأنَّهم لا يقلون شاناً عن الفحول في الَمشْرِق فأقدم إلى هذه الرسالة التي فصَّل وفضَّل فيها أكثر الشُّعَراء الأُندلُسّيين وذكر المقري أنَّه من وسائل ابن حزم في المفاخرة ، ربط حبل شعراء الأُندلُس بحبال الفحول من شعراء الَمشْرِق مع التمييز لمذاهبهم الشِّعرية ففي حق ابن دراج القسطلي كما يقول: ((لو لم يكن لنا من الفحول إلا أحمد بن دراج لما تأخر عن شأوِ حبيب والمتنبي ، فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب ، وأحمد بن عبد الملك بن مروان ، وأغلب بن شعيب ، ومحمد بن شخيص وأحمد بن فرج ، وعبد الملك بن سعيد المرادي ، وكل هؤلاء فحل " يهاب جانبه ، وحصان" ممسوح الغرة ...)) [١] .

ثم يقول الحميدي: ((والشَّاعر الطليق مروان بن عبد الرحمن أبو عبد الملك في بني أمية كابن المعتز في بني العباس ، ملاحة شعر وحسن تشبيه)) [٢]. ولكن نقل الحميدي قول ابن شُهَّيْد لنفس الغرض حيث قال: ((ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شُهَّيْد ، وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعبها مقدار" ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل))[٣] .

ومثلما حرص ابن حزم في ترجمته للأندلسيين على ربط شعراء الأُندلُس بالفحول من المشارقة كذلك نجد ابن شُهَّيْد قد حرص على ذلك في الوقوف أمام المشارقة للدفاع عن تراث الأُندلُس الأدبي ، فيقول في أبي المخشي: ((وأما أبو المخشي فإنه قديم الَحوْك والصفة عربي الدار والنشأة وإنما تردد بالأُندلُس غريباً طارئاً ، وهو من فحول الشُّعَراء القدماء المتقدمين) [٤] ، ويتبين لنا حرص ابن شُهَّيْد على إلحاق حركة النقد الأُندلُسّي بحركة الشِّعْر عند المشارقة في فترتها الذهبية

---

[٣] جذوة المقتبس : ص ١٠٦ تحقيق لجنة إحياء التراث دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٦٧م.

[١] نفخ الطيب:ج٤ ص١١٣

[٢] المصدر السابق : ج٤ ، ص ١٧٠

[٣] جذوة المقتبس : ص٣٤٣

[٤] بغية الملتمس : ص٥٢٨ .

،حيث أتجه الأُندلُسيّون إلى معارضة فحول المشارقة من خلال ترجمته لأبي المطرف عبد الرحمن بن أبي الفهد بقوله: ((وكان من أشعر من أنبتته الأُندلُس ووطئ تربتها بعد أبي المخشي أوّلاً وأحمد بن دراج ثانياً ، وكان من أبصر الناس لمحاسن الشّعر ، وأشدهم انتقاداً له ، وعلى معرفة بلطائف غرائبه وبدائع رقائقه ، يروين وهو غزير المادة ، واسع الصدر ، حتى أنَّه لم يبق شعراً جاهلياً ولا إسلامياً إلا عارضه وناقضه ، وفي كل ذلك تراه مثل الجواد إذا استولى على الأمد لا ينبي ولا يُقصر)) [٥] .

إذن يمكن القول بأنَّ ابن شُهَّيْد وهو من رواد هذا الاتجاه النقدي في الأُندلُس قد اتخذ في سبيل التصدي للمشارقة أسلوب المفاخرة بجانب الدفاع والتزم في مفاخرته المعايير الفنية التي حاول بها نقاد الأُندلُس الوقوف أمام المشارقة ، فيقول مفاخراً بابن دراج .

الفرق بين أبي عامر وغيره : ((أنَّ أبا عامر مطبوع النظام شديد أسر الكلام ، ثم زاد بما في أشعاره من الدليل على العلم بالخير واللغة والنسيب وما تراه من حَوْكة للكلام ، وملكة لأمرار الألفاظ ، وسعة صدره وجيشه بحده وصحة قدرته على البديع وطول طلقته في الوصف وبغيته للمعنى وترديده وتلاعبه به ، وتكريره وراحته بما يُتعب الناس وسعة نفه فيما يُضيق الناس))[١] .

بتدقيق النظر في ما أورده ابن شُهَّيْد في وصفه للشاعر الأُندلُسّي من باب المفاخرة خرج ابن بسام بالصفات الآتية : ((أنَّ الأُندلُسّي يوائم بين الأثر الأدبي ومضمونه ويجمع بين الطبع والصفة والتجويد الفني والتدفق الشّعري .طويلة النفس ، يهتدي إلى المعنى دون أنْ يُخلَّ بالألفاظ والأوزان وهي نفس الصفات التي أوردها الحميدي في وصفه لـ عبد الرحمن بن مهران بأنَّه شاعر مطبوع ، ويحدث عن يحيي الغزال بقوله : ((كثير القول مطبوع النظم في الحكم والجد والهزل ، وإنَّ عبد الرحمن بن الحكم شاعر منتجع طويل النفس عزير المادة))[٢] .

---

[٥] جذوة المقتبس : ص٢٧٧

[١] الذخيرة : ص٣٢٠

[٢] جذوة المقتبس : ص٢٧٨

في تقديري أنَّ هذا الاتجاه الذي سلكه نقاد الأَندلُس في الدفاع عن أشعارهم والذي يمكن تسميته بالنقد الدفاعي عبر التراجم ، قد عرفه الَمشْرِق قبلهم ولكنهم فقط اعادوا انتاج هذا الاتجاه بلون جديد ، فالدافع والمحرك لهذا الاتجاه هو الخصومات الأدبية ، ونحن نعلن أنَّ الخصومات التي أثارها أبو تمام وتبناه الصولي ، ومال فيه كثيراً إلى شعر أبي تمام ، كان أسبق في الوجود عن هذا الاتجاه الأَندلُسّي ، فالصولي كان يهاجم خصومه ، ويرد عليهم متخذاً أسلوب المفاخرة إذ نجده يقول: ((وهو رأس" في الشِّعر مبتديء لمذهب سلكه كل محسنٍ بعده ، فلم يبلغه فيه حتى قيل مذهب الطائي ، وكل حاذقٍ بعده ينتسب إليه ويقفي أثره)) [1] ، ثم يقول في موضع آخر: ((ومن تبحر شعر أبي تمام وجد كل محسن بعده لائذاً به ، كما أنَّ كل محسن بعد بشار لائذ" ببشار)) [2] إلى غير ذلك من العبارات التى أوردها الصولي وأنَّه كان يستند في ذلك على الإعجاب والهوى أكثر من استناده إلى المعايير والأسس الفنية وهذا يجعلنا نقول إنَّه حتى هذه الاتجاه الذي تبناه نقاد الأَندلُس في الدفاع عن أدبهم والمفاخرة به وفد من الَمشْرِق وهو ما يؤكد لنا فرضية أنَّ الاتجاهات النقدية التي نشأت في الأَندلُس ذات جذور في الَمشْرِق، ولكن الاختلاف بين نقاد القبلتين أنَّ نقاد الأَندلُس لم يقصدوا من ذلك التقليل من مكانة الآخرين كما نلحظه عند المشارقة ولم يتعصبوا لأدبهم ، وإنما كانوا يقصدون الحصول على الاعتراف بشاعريتهم لذلك اعتمدوا الأسس النقدية الَمشْرِقية في التجديد والتحسين ووضعوا أشعارهم في نفس الاتجاهات التي سلكها نظيره الَمشْرِقين.

١- **المعارضات** : أيضا أتخذ الأَندلُسّيون المعارضة كوسيلة أخرى للتصدي أمام التَيَّارات والاتجاهات الأدبية الوافدة من الَمشْرِق ، لذلك فقد حظيت المعارضات باهتمام كبير وأصبحت وسيلة منهجية في النقد ، وهي أيضا لم تكن وليدة العصر الأَندلُسّي بل كانت معروفة في الأدب الَمشْرِقي منذ نشأته غير أنَّ الأَندلُسّين اتخذوها سبيلاً إلى الرفض ومنهجاً في التحدي ووسيلة للتبريز والتفوق.

---

[1] أخبار أبي تمام : ص٣٧

[2] المصدر السابق : ص٣٩

نورد فيما يلي نماذجاً للمعارضات الأُندلُسّية ، يقول الحميدي : ((وكان ابن شُهَّيْد في هذا المنحى ناقداً رائداً فقد جعل عبد الرحمن بن أبي الفهد أبا المطرف الذي فاخر بمعارضاته للشعر الجاهلي والإسلامي كالجواد إذا استولى على الأمد))[٣]، فقد عارض ابن شُهَّيْد البحتري في قصيدته التي مطلعها:

ما على الرَّكب من وقوفِي الرَّكاب *** في مغاني الصبا ورسم التصابي[٤] .

بقصيدته منها قوله :

وارتكضنا حتى مضى الليل يسعى ***وأتى الصبح قاطع الأسباب

فكأنَّ النجوم في الليل جيش" ***دخلوا لِـكُمُونِ في جوفِ غاب[١]

ونقل عن الأُندلُسّيين أخذ معاني الشرقيين الممثلة في البيت أو أقل من أو أكثر وقد بذل ابن بسام جهداً في تتبع المعنى الواحد لدى عدد من الشُّعَراء ، وكثيراً ما يرد المعنى الأُندلُسّي إلى أصله المَشْرِقي فيقول كان لامريء القيس أمير شعراء الجاهلية مكانة عالية عند شعراء الأُندلُس أقبلوا على لاميته واولعوا بتضمينها ، قال عبد المجيد بن عبدون في دارٍ أنزله بها المتوكل بن الأفطس وسقفها قديم:

أيا سامياً من جانبيه إلى العلا *** سموَّ حباب الماء حالاً إلى حال

لعبدك دار" حل فيها كأنها *** ديار لسلمى عافيات بذي الخال

يقولا لما رأى دثورها *** ألا عِم صباحاً أيها الطلل البالي

فقالت ولم تعبأ برد جوابه *** وهل يعٍ من كان في العُصر الخالي[٢]

وعلي هذا النحو من تضمين الأشعار ضمن أبو محمد علي بن حزم قصيدته لِـطرفه أشعارها الأولى له والثانية لهذا الشاعر منها قوله :

تذكرتُ وداً للحبيب كأنه *** لخولة أطلال ببرقة ثمهد

وعهدي بعهود كان لي منه ثابت *** يلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

إلى أن أطال الناس عذلي وأكثروا *** يقولون لا تهلك أسى وتجلد [٣]

---

[٣] جذوة المقتبس : ص٢٧٨

[٤] ديوان المتنبي :ص١٤٠

[١] ديوان ابن شهيد :٧٢

[٢] ديوان عبد المجيد بن عبدون:ص١٢٣

[٣] ديوان ابن حزم :ص٥٥

وإذا انتقلنا إلى العصر العباسي وجدنا من أَعلام شعراء العصر أمثال أبي نواس وأبي تمام ، وأبي العتاهية ، وبشار، والمتنبي، وأبي العلاء وقد شكلوا مورداً مهماً للثقافة الَمشْرِقِة ترك أثراً كبيراً على شعراء الأُندلُس ، تأثيراً جزئياً ومنهجياً، قال ابن زيدون يخاطب ابن جهور وهو في المعتقل :

للشفيع الثناء والحمد في صوب *** الحيا للرياح لا للغيوم [٤]

قال ابن بسام هذا البيت يشير إلى معنى البحتري

حاز حمدي والرياح اللواتي*** تجلب الغيث مثل حمد الغيوم[١]

والبحتري أخذه من قول أبي تمام :

وإذا امرؤ أهدى إليك صنيعة *** من جاهه فكأنها من ماله [٢]

فإذا أخذ ابن زيدون من البحتري لا يقلل من شأنه وهو شاعر أندلسي وليس في ذلك عيب" فها هو البحتري بشهرته الواسعة يأخذ من أبي تمام .

---

[٤] ديوان ابن زيدون :ص٨٦

[١] ديوان البحتري : ص١٠٠

[٢] ديوان أبي تمام : ص٣٨

الَمْبَحثُ الثَّانُي
اتجاه النَّقْدِ الخُلْقي ((الشِّعْر والدِّينُ))

عندما أشرقت شمس الإسلام بالجزيرة العربية حرص على أنْ يسير الشِّعْر على هدي الدعوة الإسلامية ، وأنقسم النقاد حول الدعوة إلى ربط الشِّعْر بالدين إلى قسمين ، مؤيد ورافض فأبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) ينتقد شعر لبيد بن ربيعة بقوله: ((ما من أحدٍ أحب إليَّ شعراً من لبيد بن ربيعة لذكره لله عز وجل ، ولإسلامه، ولذكره الدين والخير ، ولكنه رحى بذر)) [١] ، ويعلق الأصمعي على مقولة أبي عمرو فيقول:((إنه يجعل من شعر لبيد جيداً الصفة ، ولكنه ليست له حلاوة ، أو أَنَّه عالي النبرة قليل الفائدة إلا أنَّه لا ينفي المقياس الخلقي الذي نظر من خلاله))[٢].

والأصمعي نفسه (ت٢١٤ هـ) وكان له موقف من ربط الشِّعْر بالدين ، وإِنَّ موقفه أوضح من موقف أستاذه أبي عمرو بن العلاء ، فقد أطلق أحكامه في المسألة من منظور جمالي ، نجد ذلك في قوله: ((طريق الشِّعْر إذا أدخلته في باب الخير لآن ، آلا ترى حسان بن ثابت كان علماً في الجاهلية والإسلام ، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي صلى الله عليه وسلم ، وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيره لآن شعره ، وطريق الشِّعْر طريق الفحول مثل امرىء القيس ، وزهير ،

---

[١] الموشح : ص ٦٤.

[٢] فحول الشعراء : ص٢٨

والنابغة ، من صفات الديار والرحل ، والهجاء ، والمدح ، والتشبيب بالنساء ، وصفه الخمر والخيل والحروب والافتخار ، إذا أدخلته في باب الخير لآن)) [٣].

هكذا ظلت المسألة متارجحة بين القبول والرفض وظلت مواقف النقاد حولها متباينة خلال القرنين الأول والثاني إلى أنْ شهدت في القرن الثالث اتجاهين مختلفين، مَثَّل الاتجاه الأول أبوبكر محمد بن قاسم الأنباري ومن ذهب مذهبه وهم ينادون بضرورة ربط الشِّعْر بالدين ، أما الاتجاه الثاني وهو ينادي بفصل الشِّعْر عن الدين ، وقد تزعم هذا الاتجاه ابن المعتز ومن أخذ برأيه ، وأحتج الفريق الثاني لِرأيهم، بأنَّ الشِّعْر لم يؤسس على أنْ يكون المُبرِّز في ميدانه من اقتصر على الصدق ، ولم يتجاوز في مدح ولم يغرق في ذم ، فلو سُلك بالشِّعْر هذا المسلك لكان صاحب لوائه من المتقدمين أمية بن أبي الصلت الثقفي ، وعُدي بن زيد العيادي ، إذ كانا أكثر تحذيراً وتذكيراً ووعظاً من امرىء القيس والنابغة وغيرهم، ومع ذلك فالمتقدم باتفاق الجميع هو امرؤ القيس وأقرانه [١] .

أمَّا نقاد القرن الرابع فقد تبنوا بصراحة نظرية فصل الشِّعْر عن الدين، فالصولي يقول: ((وما ظننتُ أنَّكفراً ينقص من شعرٍ ، ولا إيماناً يزيد فيه))[٢]، ثم يقول: ((ولو كان على حال الديانة لأغروا من الشُّعَراء بلعن من هو صحيح الكفر وأضح الأمر ممن قتله الخلفاء صلوات الله عليهم ، بإقرار وبينة وما نقصت بذلك رتب أشعارهم ولا ذهبت جودتها ، وإنَّما نقصوا هم أنفسهم وشقوا بكفرهم)) [٣]. وكذلك يستشهد الصولي بأقوال العلماء في تقديم امرىء القيس والنابغة ، وزهير والأعشى وكذلك تقديم الأخطل على جرير والفرزدق ، فما ضرَّ هؤلاء كفرهم في شعرهم وإنَّما ضرهم في أنفسهم [٤] .

---

[٣] المصدر السابق: ص ٤٢

[١] جمع الجواهر في الملح والنوادر : ص ٣٢-٣٣ ، تحقيق محمد الأمين الخانجي ، القاهرة ١٣٥٣ هـ.

[٢] اخبار أبي تمام : ج١ ص١٣٢، تحقيق محمد عبد الله عزام وزملائه ط مصر ١٩٣٦م

[٣] المصدر السابق : ص١٧٤

[٤] المصدر السابق : ص١٧٥

وكذلك قدامة بن جعفر يقول : ((وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشِّعْر فيه ، كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب رداءته في ذاته)) [٥]، أما القاضي الجرجاني فيعلن صراحةً قرار الفصل بين الشِّعْر والدين ويجاهر به فيقول: ((... والدين بمعزل عن الشِّعْر)) [٦] .

هذه بعض" من ملامح النقد الخلقي أي الشِّعْر والدين في الأدب الَمشْرِقي ، فلننظر هل سار النقد الأُندلُسّي في الاتجاه نفسه نتيجة الأثر الَمشْرِقي أم أتخذ خطاً مغايراً برزت فيه شخصية الناقد الأُندلُسّي، كان موقف النقد الأُندلُسّي تجاه المسألة واضحاً وصريحاً من الوهلة الأولى بإعلانه الارتباط الوثيق بين الشِّعْر والدين، نلتمس هذا الرأي الأُندلُسّي ممثلاً في ما رسمه ابن حزم الذي يقول: ((أنَّه ينبغي أنْ يكون الشِّعْر في الحكم والخير، مثل شعر حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحه(شعراء الدعوة الإسلامية) فإنها نعم العون على تنبيه النفس))[١]، ولكن ما ورد عن ابن حزم لا يعني إجازة الربط مطلقاً بل قيد ذلك بإخراجه بعض الأغراض الشِّعْرية مثل الغزل وشعر التصعلك، وذكر الحروب والهجاء فيحظر ابن حزم كل ذلك على الشاعر ولا يجيز تناولها والقول فيها كما يكره للشاعر الخوض في المدح والرثاء ، إذا بُنيا على الكذب [٢].

مما سبق يتبين لنا موقف النقد الأُندلُسّي تجاه الشِّعْر الُخلْقي فإنه يجمع بين الشِّعْر والدين ويسير في هذا الاتجاه يخالف فيه الكثير من المشارقة وعلى الرغم من أنَّ هناك أصوات داخل الاتجاه الأُندلُسّي تنادي بالفصل بين الدين و الشِّعْر مثل قول ابن شُهَّيْد في إعجابه بأبي نواس إذ يقول: ((فأدركتني مهابة وأخذتُ فيه إجلاله لمكانه من العلم و الشِّعْر))[٣]. ولكن هذه الأصوات لا تضعف منالتَيَّار العام في السير تجاه الربط .وإنَّ ابن حزم في تحديده للربط يقصد الحرص على تماسك

---

[٥] نقد الشعر: ص١٤، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ،(د.ط) دار الكتب العالمية ، بيروت (د.ت)

[٦] رسائل ابن حزم : رسالة العلوم:ص١٧٧

[١] رسائل ابن حزم : ص ١٧٨

[٢] المصدر السابق: ص ١٧٨

[٣] الذخيرة : ص٥١٦

المجتمع المسلم في الأَندلُس وبناء جيل صالح بعيداً عن ما يضعف فيهالتَ يَّار الديني من أجل ذلك كان لنقاد الأَندلُس موقف" وأضح تجاه شعر الهجاء فقد كادت مؤلفاتهم الأدبية والنقدية أنْ تخلو من هذا الغرض الشَّعوي إلا ممن كان الهجاء عنده طبيعة فنية والتزاماً شعرياً مثل محمد بن عبد الله الشنتمري الذي قال عنه ابن بسام: ((وقد رأيت له عدة مقطوعات في الهجاء تربي على حصى الدهناء ، وهو فيه صائب السهم نافذ الحكم ، طويت عليه كشحاً وأضربت عن ذكره صفحاً إِنَّه بالجملة نابغة محاجاة في صاعقة مهاجاة))[٤] .

وأتفق معظم نقاد الأَندلُس خاصةً في القرون الأخيرة بأنَّه يمكن أتخاذ التعريض بديلاً للهجاء وأباحوا القول فيه، فأبن شُهَّيْد مثلاً نجده يرفض الهجاء ويستقبحه ولكنه يبارك التعريض ويعده مظهراً من مظاهر الجمال والإحسان ، بدليل قوله : ((وأخبروا أنَّ أبا جعفر لم يرض ما جئنا به من البديهية ، وسألوني أنْ أحمل الكلام على حثاره ، وذكروا أنَّ إدريس هجاه فأفحش ، فلم استحسن الأفحاش ، فقلت فيه معرضاً إذ التعريض من محاسن القول)) [١] ولكن بالوقوف على تحليل ابن بسام للهجاء يظهر لنا أنَّه يتخذ موقفً وسطاً بين قبول التعريض ورفضه، ويرى أنَّ من الهجاء ما لا يبلغ درجة السباب فهو عنده بمنزلة التوبيخ والتعيير وتقديم وتأخير كقول النجاشي في بني العجلان ((وشهرة شعره تغني عن ذكره)) [٢]، والثاني هو السباب الذي ابتدعه جرير وطبقته ، وكان يقول: ((إذا هجوتم فاضحكوا))[٣]، ولكن القاعدة العامة في قبول الهجاء واستحسانه عند نقاد الأَندلُس أنْ لا يمس الإنسان في ذاته وفي عرضه ، وألا يكون فاحشاً مثيراً للعداوة منبهاً للاحقاد، لذلك رفض ابن سيدة بيت المتنبي:

فجاءت بنا إِنْسانُ عين زمانه *** وخلت بياضاً خلفه ومآقيا [٤]

---

[٤] الذخيرة : ص٥١٧

[١] المقامات اللزومية: ص٧٢

[٢] الذخيرة : ص٦١.

[٣] المصدر السابق : ص٦٣

[٤] ديوان المتنبي: ص١١٤

وكان سبب الرفض أنه مس بذاته كافور في تعريضه فيه بلونه ، لذلك فإنَّ نقاد الأُندلُس في قبولهم لهذا النوع من الهجاء يمثلون امتداداً لاتجاه رواد المدرسة العربية الجادة في النقد ، فقد كان الأصمعي في مجال رواية شعر الهجاء لا ينشد ولا يفسر شعراً فيه هجاء ، كما كان لا ينشد ولا يفسر ما كان فيه ذكر" للألنواء عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا))[٥] ، كما كان أبو عمرو بن العلاء يستحسن الهجاء الذي لا يخدش حياءًولا يقبح بقوله : ((خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلها)) [٦]. وكذلك يوافق رأي الأُندلُسّيين ما قال به القاضي الجرجاني: ((الذي يعتبر القذف والفحش من السباب المحض وأنَّ "أبلغ الهجاء "ما جرى مجرى الهزل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض)).[١]

وتظهر قوةالتَيَّار الخلقي عند الأُندلُسّيين في نقدهم للمعاني الشِّعْرية التي تتعلق بالعقيدة الإسلامية وتعاليمها سواء كان ذلك يمس المبادئ بشكل مباشر أو في شكل إيماء إليها من بعيد ، ولم يكتف نقاد الأُندلُس بأَنْ يكونوا رقباء على ذلك فيما ينتج من شعر بل فحصوا ما قيل في هذا الاتجاه من قبل المشارقة في إنتاجهم السابق ، فوقفوا عند قول أبي نواس:

باح لساني بمضمر السر *** وذلك أني أقول بالدهر
وليس بعد الممات مُنقلب *** وإِنَّما الموت بيضة الُقر[٢]

فقالوا هذا شعُر دهري زنديق وكذلك وقفوا عند قول المتنبي:

وكم لظلام الليل عندك من يدٍ *** تخبر أنَّ المانوية تكذب [٣]

---

[٥] رواه الطبراني في "الكبير"(٢ / ٩٦). والحديث : صححه الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٣٤).

[٦] العمدة : ج٢ ، ص١٥٠

[١] الوساطة : ص ٢٤.

[٢] ديوان أبي نواس : ص١٦

[٣] ديوان المتنبي : ص٣٢

فقالوا إنَّ هذا من مقابلة الفاسد بالفاسد، وإلا فالفاعل حقيقة هو الله تعالى[٤].

وقد ركز نقاد الأُندلُس في هذا على شعر المتنبي وأبي العلاء المعري لأثرهما الكبير على شُعراء الأُنَدلُس – فيقول ابن سيدة في قول المتنبي

أني يكون أبا البرية آدم *** وأبوك والثقلان أنت محمد [٥]

هذا محمل من القول وسنه أبي إنك أنت الأنس والجن وأبوك محمد هذا يعني أبا الممدوح فما لهذه البرية وادعائها آدم أباها وهذا من قبح الضعف وطريق السخف أما من شعر أبي العلاء في هذا الاتجاه فقوله :

الروح تنأى ولايُ ْدري بموضعها *** وفي التراب لعمري يرفث الجسد

والعيش كالماء يغشاه حوائمنا *** فصادرون وقوم إثرهم وردوا

ومدَّ وقتي مثل القصر غايته ***وفي الهلاك تُساوى الدُر والبرد [١]

فقالوا : ((هذا كلام" من الإلحاد على غاية الاضمحلال والفساد ، فليس تساوي الناس في الموت والعناء حجة في عدم البقاء والمراتب في دار الجزاء)) [٢]

هذه المقُولات النقدية السابقة تعكس بجلاء موقف نقاد الأُنَدلُس تجاه الشِّعْر الخلقي الذي شكل تياراً نقدياً قوياً يدفع بـالشِّعْر العربي في الاتجاه الموجب ، وقد تبنى علماء الأُندلُس هذه الاتجاه بدافع الحرص على الدين وموقفهم من الشِّعْر لارتباطه في أكثر الأحوال بالكذب والتمويه والبعد عن الصدق الحقيقي ، وذلك ما أكده ابن السيد البطليوسي في قوله: ((والشِّعْر عند العلماء أدنى مراتب الأدب لأنَّه باطل يجلي في معرض حق ،كذب بصورة صدق ، وهذا الذم إنَّما يتعلق بمن ظن صناعة الشِّعْر غاية الفضل وأفضل حلي أهل النبل ، فأما من كان الشِّعْر بعض حلاوة وكانت له فضائل سواه ، ولم يتخذه مكسباً وصناعة ، ولم يرضه لنفسه حرفة وبضاعة ، فإنَّه زائد في جلال قدره ونباهة ذكره)).

---

[٤] سرقات المتنبي : ص١٣

[٥] ديوان المتنبي : ص١٤

[١] ديوان أبي العلاء المعري: ص ٤٠

[٢] الذخيرة : ص٣١٣-٣١٦.

الَمْبحَثُ الثَّالثُ
الموازنات الأدبية في الأنْدلُس

وقد عرف النقد الأدبي عبر تاريخه الموازنات الأدبية بين الشُّعَراء منذ أنْ نشأ في العصر الجاهلي ، وقد لازمت هذه الظاهرة النقد خلال مراحل تطوره في القرون الأولى ، واستمر التَيَّار قديماً في هذا الاتجاه إلى أنْ بلغ العصر الأموي ثم أخذ النقد يميل إلى تناول الأغراض التي طرقها الشُّعَراقلةً وكثرةً أو تناول قصيدتين اتحدتا في الموضوع ، والوزن والروي أو بين بيتين يجمعهما غرض" شعري واحد[١] ، وبلغت الموازنات أوجها عندما وصلت إلى عقد موازنات شعراء المذهب الشِّعْوي الواحد [٢] ، وتطور النقد في القرن الثالث تطوراً ملحوظاً بفضل مساهمة علماء اللغة والأدباء عندما اتخذوا جودة الشِّعْر وكثرته مقياساً لذلك [٣]. وبحلول القرن الرابع

---

[١] تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ص ٤٧ ، ط١ بيروت ، لبنان ١٩٧٢م .

[٢] معالم النقد الأدبي : ص٤٠

[٣] تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ص ٦٧

أحاط النقد بالنص الأدبي من كل جوانبه اللغوية والنحوية والبلاغية والفلسفية والذوقية وأخذ يقوم بعرض آراء نقدية جديدة تتعلق بجودة الشِّعر ورداءته [٤] .

بالنظر إلى الموازنة عند نقاد الأُندلُس خلال هذه الفترة نجدها أخذت بالاتجاهات السابقة في مقاييسها ويتبين لنا ذلك من المحاور الاتية :

الموازنة بين الأدباء :

تحدث النقاد الأُندلُسيّون عن موازنة طبقات الأدباء فقال ابن بسام في الموازنة بين ابن دراج القسطلي وغيره من الشُّعَراء: ((إِنَّ عامر مطبوع النظام ، شديد أسر الكلام)) وأبو علي ابن رشيق يفضل عبد الله بن شرف القيرواني فيما تعاوراه من قصائد في مناقضات شعرية وعلل ابن بسام سبب تفضيل أبي علي على ابن شرف بأنَّه: ((أوسع نفساً وأوسع ملتمساً ، أما ابن شرف فتسمع في شعره جعجعة ووعوعة على الرغم من متانة لفظه وسعة حفظه))[١] . ومع ذلك فإنَّ ابن شرف القيرواني يأتي في مقدمة طبقة شعراء القيروان الوافدين إلى الأُندلُس في منظور ابن حيان النقدي إذ يقول : ((وكان ابن شرف أحق بالتقديم على محمد السوس وسائر طبقته)) وكذلك يقول ابن بسام : ((إِنَّ ابن دراج يتفوق على غيره ببغيته للمعنى وترديده وتلاعبه به وتكريره)) [٢] ، وأبو الوليد محمد بن يحيي ابن حزم أحلى الناس شعراً ولا سيما إذا عاتب أو عتب ، جعل هذا الغرض هجيراه ، فقل ما يتجاوزه إلى سواه ، وكلما أبدى فيه وأعاد أحسن ما شاء وأجاد ، وفي ذلك معنىٍ حُسن أكثر ما يمكن ولكن رأيته في جواب العتاب يُعلّ بأمره ويعرب عن ذات صدره [٣].

هذه الموازنة التي أوردها ابن بسام قريب" من الموازنة التي كانت تعقد بين شعراء النقائض في عصر الدولة الأُموية بـ المَشْرِق، وقد أورد الكلاعي مثالاً لذلك بأنَّه كان الفرزدق أفضل من جرير؛ لأنَّ جريراً لا يهجو بأكثر من خمسة أشياء يكررها منها : القيون، وجر أخته، والزنا، ونفي عمر بن عبد العزيز له من المسجد ،

---

[٤] معالم النقد الأدبي : ص٦٧

[١] الذخيرة : ص٢٠٥.

[٢] المصدر السابق : ص٢١٧

[٣] تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ص ٦٧

وضربه الرومي ، ورأيتُ الفرزدق لا يخلو في كل قصيدة له من أنْ يرميه بسهام شتى غير مكررة ولا معادة وفي هذا من الفضل ما لا يخفى[٤].

إذن يمكن القول إنَّ الموازنة في الأدب الأُندلُسّي لم تكن عرفت لأوَّل مرة فيه وإنَّما هو مد" طبيعي للاتجاه الذي كان يسود في أدب المشارقة ، واستمر تياره عبر العصور الأدبية ولقي قبولاً لدى نقاد الأُندلُس ، فالأُندلُسيون متاثرون لا محال بكل ما كان يجري بـ المَشْرِق ، وقد ظلت أعين الأُندلُسيين مفتوحة لمراقبة كل ما يجري في المَشْرِق إلى أنْ استقر له الأمر .

الموازنات التاريخية :

المقصود بالموازنة التاريخية، السير وراء المعاني والعبارات التي استخدمها الشُعراُء جيلاً بعد جيل ، والقيام بمفاضلة النصوص الشِّعرية ليتبين لنا مَنْ زاد فأحسن، ومن منهم كان أكثر إبداعاً، ثم الوقوف على المقارنات بين شُعراءِ المشرق وشُعراءِ الأُندلُس، وقد انحصر جهود الأندلسيين في مجال الموازنات الفنية في الآتي :

١-إظهار جودة المعنى الأصلي ، وثباته على الرغم من تداوله بين الكثير من الشُعراءِ ، ومن أمثلة ذلك طرق الخيال الذي قال فيه المؤمل :

أتاني الكرى ليلاً بشخصٍ أحبه*** أضاءت له الآفاق والليلُ مظلُم

قال أبو تمام :

استزارته فكرتي في المنام *** فأتاها في خُفيةٍ واكتتام

يا لها ليلةً تزاورت الأرواحُ *** فيها سرّاً من الأجسام[١]

ويمكن القول بإنَّ الذي فتح للشعراء باب القول في طروق الخيال هو قيس بن الخطيم بقوله :

أنَّى سَرَيْتِ وكنتِ غيرَ سروبٍ *** وتقرِّبَ الأحـلام غير قريب

---

[٤] الذخيرة : ص٢٠٥

[١] ديوان أبو تمام: ص٤٨

ما تمنعني يقظي فقد تُولِيـ ْنه *** في النوم غيرَ مُصرَّدٍ محسوب
كان المني بلقائها فلقـيتُها *** فلهوتُ من لهو امرىءٍ مكذوب
فرأيت مثل الشمس عند طلوعها ***في الحسن أو كدنُوها لغروب[٢]

كذلك من أمثلة الموازنات التاريخية التي وقف عليها شعراُء الأندلس ، تحديد المذهب الأحمد فيما تناوله الشُّعراُء بالمشرق من معانٍ مع المفاضلة بينهم في هذا المعنى وذلك ، فوقفوا عند قول عمرو بن كلثوم :

ألاُهبي بصحنك فأصبحينا ***ولا تُبقي خُمَر الأندرينا
مشعشعة" كأنَّ الُحصَّ فيها *** إذا ما الماُء خالطها سخينا
تجور بذي اللُبانة عن هواه *** إذا ما ذاقها حتى يلينا
ترى اللُّحز الشحيح إذا أمِرَّت *** عليه لماله فيها مهينا

ومن ذلك قول حسان بن ثابت:((ونشربها فتتركنا ملوكاً ...)).

وقول طرفة بن العبد: ((إذا ما شربوا ثم انتشوا...)).

فقال: هذا كله مذهب" غير محمود ، إنما المحمود أنْ يوصف الممدوح بالجود والحياء في حاليه من الصحو والانتشاء كما قال امرؤ القيس ،

وتُعرفُ فيه من أبيه شمائلاً *** ومن خاله ومن يزيد ومن حجْر
سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا *** ونائل ذا إذا صحا وإذا سَكِرْ

وقول عنترة :

وإذا سكرتُ فأنني مستـهلك" *** ما لي وعرضي وافر"لم يـُكلمِ
وإذا صحوتُ فما أقصرَّ عن ندى *** وكما علمت شمائلي وتكرمي

وقال البحتري فأحسن :

تكرمتُ من قبل الكؤوس عليهم *** فما استطعن أنْ يحدثن منك تكرما

وقال أبو الطيب فأربى عليه :

لا تجدُ الكأسُ في مكارمه *** إذا انْتشى خلَّة تلافاها
تصاحبُ الرَّاحُ أُريحيَّته *** فتسقطُ الرَّاح دون أدناها[١]

---

[٢] ديوان قيس بن الخطيم: ص١٢٠

[١] اللائي في شرح أمالي القالي ج١، ص٣١٩، تحقيق عبد العزيز الميمني

ومن الأمثلة التي على ذلك قول ذي الرَّمة

إذا ابن أبي موسى بلالاً بلغتهُ *** فقام بفأس بين وصْلَيْكِ جازر

يخاطب بهذا ناقته ، وبئس ما جزاها بها ، وإنما تتبع ذي الرمة في هذا الشماخ، فإنه قال يمدح عرابه بن أوس:

إذا بلغتني وحملتِ رحلي *** عرابة فاشرقي بدم الوتين

فنعم المرتجى رحلت إليه *** رحى حيزومها كرحي الطحين

ثم قالوا : المذهب الأحمد في ذلك قول عبد الله بن رواحة ، حين خرج في جيش مؤته:

إذا بلغتني وحملتِ رحلي *** مسيرة أربع بعد الحساء

فشأنك فأنعمي وخلاك ذم*** ولا أرجع إلي أهلي ورائي

وتتبعه أبو نواس فقال وأحسن:

إذا المطي بنا بلغن محمداً *** فظهورهنَّ على الرجال حرام

قربنا مِنْ خيرِ مَنْ وطيّء الثرى *** فلها علينا حُرمة" وذمام

وقال مصطفى عليان في شأن الموازنة التاريخية: ((وتتبع النقاد معاني الشُّعراء، والمفاضلة بينهما في المنهج التاريخي إنما يكشف عن قضيتين هامتين من قضايا النقد الأدبي الأَنْدَلُسي أولاهما: أن المحدثين في تناولهم لمعاني الأقدمين إنما ينتقلون بها غالباً إلى مراتب من الإحسان والإبداع كل" حسب ما أوتي من البيان ، وثانيهما :أَنَّ تناول المعاني والزيادة فيها لا يُعد من السرق))[1]

كذلك من الموازنات التي اعتمد عليها نقاد الأدب الأَنْدَلُسي ، الموازنة الفنية وتمثلت هذه الموازنة في الموازنة بين معني ومعني، ثم الموازنة بين شاعر وشاعر، أما الموازنة بين معني ومعني فنجدها في طريقة العرب المعروف بعمود الشِّعر، ومذهب المحدثين المعروف بالبديع ، فقد جعل الآمدي عمود الشِّعر مذهب المتقدمين في تفضيل الشِّعر، على ذلك مضى في تحديد الأسس والمعايير التي

[1] اللائي في شرح أمالي القالي: المصدر السابق :ص٣٣٧

يُعتمد عليه في تفضيل الشِّعر، والإلمام بالمعاني الجيدة وأخذ العفو منها مع سلامة السبك وقرب المقصد.

وفصل القاضي الجرجاني ما أورده الآمدي بقوله : ((كانت العرب إنما تفاضل بين الشُّعراءِ في الجودة ، والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته وتسلم السبقُ لمن وصف لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب ، وبدأ فأغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشِّعر ونظام القريض))[٢] .

وتطرق المرزوقي للمسألة وسعى إلى تحديد عيار كل ركن وأساسٍ استناداً على المحصول العام الذي اجتمع لديه من آراء سابقيه ، فجاءت صياغته خلاصة لتلك الآراء النقدية التي ظهرت في القرن الرابع الهجري[١]، ولأن تلك الآراء قد تركت دون تطبيق نقدي على الشِّعر فقد اختلفت الآراء وتضاربت في فهم المقصود الدقيق لكل ركن ومعيار، فوجد الناقد الأُنَدلُسي الباب واسعاً لذلك جاء التطبيق النقدي في الموازنات الأُنَدلُسية متمشياً مع أظهر هذه المفاهيم وأكثرها وضوحاً، وتمثلت ذلك في الآتي: شرف المعنى وصحته مثل السهولة والوضوح وقرب التناول والابتكار الكلي أو الجزئي والايحاء وكانوا يعتبرون تخطي الحدود المعقول ، والمقبول والمبالغة من عيون شرف المعني وكذلك من المفاهيم جزالة اللفظ واستقامته ، فقد نفر الأندلسيون في أحكامهم النقدية من ابتذال اللفظ الذي أخلقه تداول الشُّعراءِ .

يظهر ذلك في قول ابن بسام معقباً على قول ابن فتوح في قوله :

ريم" أورُم الدهر منه على *** رغم العِدَا قربا فما أقْدُر
كأنما غُـرَّته تحتها *** ماء" عليه صارم"يُـشْهُر
كأنما حُمْرتُـه إذا بـدت *** من فوقها نار بها تُسْعَر

قال ابن بسام : ((وتشبيهه صفاء الوجه وحُمْرتُه بصفاء الماء وحمرة النار من مبتذلات الألفاظ ومتداولات المعاني))[٢].

---

[٢] الوساطة، ص٣٣-٣٤

[١] تاريخ النقد الأدبي عند العرب :ص٤٠٥

[٢] الذخيرة: ص٢٧٧

وأيضا من المفاهيم التحام أجزاء النظم والتئامه والإصابة في الوصف والمقارنة في التشبيه ثم الإيجاز .

أما في تيار مذهب المحدثين المعروف بالبديع فأنه على الرغم من وضوح تيار عمود الشعر في الموازنة بين المعاني إلا أنه مال بعض النقاد إلى اعتماد بعض الأسس التي قام عليها مذهب الُمحْدِثين المتمثل في البديع وغرابة المعنى ، وندرته فقد أهتم الأُنَدلُيون بالمحسنات البديعية وابرزوا قدرة الشُّعراءُ في إجادة ذلك وإتقانها وكان ذلك عندهم مظهر هام من مظاهر البراعة الشعرية ، وكان ابن بسام أكثر النقاد اهتماماً بالبديع فهو عنده معيار الشعر وميزانه [٣].

وكذلك أهتم الأندلسيون – جرياً وراء تيار البديع – بغرابة المعني ، فكانوا يحكمون بتقديم من تحققت له الغرابة بطريقة من طرق إبداع المعاني واختراعها وتطبيقاً لذلك نجدهم فضلوا المتنبي في قوله :

ناعمةُ الجسم لا عظاَم لها *** لها بنات" وما لها رَحُم

فضلوا ذلك على قول ابن الرومي :

وبناتُ دجلة في قِبائكم *** مأسورة في كل معترك

فعلى الرغم من أنَّ المتنبي قد ألم بقول ابن الرومي ، إلا أنه زاد عليه ، بقوله ما لها رَحُم ولدتهن [١] ، فخلف المتنبي مقصودة بما قدم له من وصفٍ لماء البركة بالنعومة والخلو من العظام ، مما جعل السامع يستشرف إلى معرفة هذه المولودة التي جاءت من غير رحم ، ومع ملاحظة وضوح بين ابن الرومي ، إذ يتبادر إلى الذهن من كلام المتنبي أن البنات في البركة هن السمك ، وابن الرومي جعل في تصويره سبايا أُوقعت في المعارك .

وبإعادة النظر في تياري عمود الشعر، ومذهب المحدثين يلحظ المتأمل في نقد الأندلس أن نقاده كأمثال ابن بسام والحميري وغيرهم تتداخل عندهم التيارات ومرد ذلك في تقديرنا تؤمة التذوق الشعري لدى الناقد وكذلك الشاعر،فعدم التزام الشاعر بطريقة واحدة حتى على مستوى أبيات القصيدة الواحدة ، يفرض على الناقد التمايز

---

[٣] الذخيرة: ص٢٤٤

[١] تاريخ النقد الأدبي عند العرب :ص٤٠٥

والتناسب بين النماذج وبين المعيار النقدي في القصائد ، لذلك نجد عمود الشعر كمقياس نقدي محصوراً في التطبيق النقدي فقط ، ولم يكن له أثر واضح في إصدار حكم على المذهب الكلي للشاعر في كامل إنتاجه .

أما الموازنة بين شاعرٍ وشاعرٍ ، فهي موازنة ضمنية لا نجد فيها التصريح بما يقصده الناقد لكننا بالوقوف على موازنة البطليوسي بين المتنبي والمعري يجعلنا نقول أن هذه طريقة" أُخرى في الموازنة غير التي أتخذها الآمدي في موازنته بين الطائيين ، فقد جعل البطليوسي منها قضيةً نقديةً على الرغم من أنهما شاعران من اتجاه واحد – القديم المحدث – ولكن هنالك ثمة تقارب ذهني بينهما ، وقد حدد البطليوسي الموازنة وحصرها في النقاط الآتية :

تحديد المعاني التي اعتمد فيها المعري على شعر المتنبي والذي عرف بين النقاد بالسرقات الأدبية ، معاني رَدَّها المعري من شعر المتنبي. ويرى البطليوسي في ذلك أنَّ الشَّاعر الحاذق يكفيه الايماء والتلويح لتوليد المعاني بعضها من بعض ، معانٍ تفرد بها المعري وتفوق فيها على المتنبي وغيره ومنها وما تناوله المعري لأول مرة سابقاً غيره فهو مخترع" لها ، ومعانٍ تناولها الشُّعراُء ولكن المعري تناولها تناولاً خاصة ، ثم التشبيه في شعر أبي العلاء ، وهو جانب آخر لشاعرية المعري قارن فيه البطليوسي بين تشبيهات المعري والتشبيه الموروث فأبان فضل المعرى وتفوقه فيه، وعلى الرغم من عناية البطليوسي بأثر المتنبي في شعر المعري في موازنته بينهما لكنه لم يغفل تتلمذ المعري على يد المتنبي.

الخاتمة:

الحمدُ لله الأَوَّل والآخرُ والظاهرُ والباطنُ والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَبيِّ الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى صحبه الغُر الميامين وآل بيته الطَّاهرين الطيبين ، صلاةً تَمتدُ إلى يوم الدِّين .

وبعدُ :

فقد تكونت الرسالة من مقدمةٍ اشتملت على الإطار العام للدراسة ثم تمهيد وفصولٍ خمسةٍ ، خصصتُ الأَوَّل للدراسة نشأة النَّقْد الأدبي في المشرق وتطوره ، والفصل الثَّاني للتيارات والاتجاهات النَّقْدية في المشرق ، والثالث عن الذوق الأدبي في الأَنْدَلُس والتأثيرات المشرقية عليه، ثم الفصل الرَّابع عن نشأة النَّقْد الأدبي في الأَنْدَلُس وعوامل تطوره والخامس عن التَيَّارات والاتجاهات النَّقْدية في الأَنْدَلُس، ونقف فيما يلي على أهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال معايشي لهذا الموضوع لمدة طويلة وهي :

أولاً : النتائج :

١-إِنَّ أَوَّل ما يجده الباحث ويلحظه واضحاً في تاريخ الحياة العلمية ببلاد الأَنْدَلُس اهتمام أهلها الكبير بالعلوم بشكل عام، والتركيز على العلوم اللغوية بشكل أخص، فقد تفرغ الأَنْدَلُسين للدِّرس اللُّغوي وشغفوا به في وقتٍ مبكرٍ.

٢- امتاز الأَنْدَلُسين بحفظ الكثير من دواوين العرب وأشعارهم ، إضافة إلى كثير من أمهات الكتب في مختلف الفنون، والأمثلة على ذلك الظاهرة كثيرة ومثبوته في كتب التراجم .

٣- لعل من النتائج المهمة التي يقف عليها الباحث في التراث الأدبي والنَّقْدي الأَنْدَلُسي أهمية الرحلات في نقل العلوم من المشرق حتى كادت أنْ تكون ظاهرة في وقتها ، فقد عرف لكثير من المشايخ والعلماء الأَنْدَلُسيين رحلات علمية إلى المشرق بدافع الحرص على ملاقاة مشاهير الشيوخ المعاصرين هنالك ، والتلمذة لهم، ونيل الاجازات والحصول على الأسانيد العالية ، إضافة إلى الاستكثار من الشيوخ.

٤- إنَّ الذوق الأدبي الأَنْدَلُسي تكوَّن نتيجة لعدة عوامل ومؤثرات ، شارك في ذلك حكام الأَنْدَلُس من أمراء وخلفاء ، إضافة إلى جهود علماء اللغة والمؤدبيين، وكانت مساهمة علماء اللغة في تكوين الذوق الأدبي الأَنْدَلُسي جاءت بدافع الحرص على اللغة وفصاحة التركيب ، وكذلك من العوامل التي ساعدت في رقي الذوق الأدبي الأَنْدَلُسي ما تركه أثر أبي تمام وأبي علي القالي في الساحة الأَنْدَلُسية، فضلاً عن المتنبي وأبي العلاء المعري.

٥- أنَّ الاتجاهات الشعرية في الأَنْدَلُس جاءت مطابقة لاتجاهات الشعر المشرقي ، مما يدل على أنَّ الاتجاهات الشعرية الأَنْدَلُسية قد وفدت من المشرق ضمن المؤثرات المشرقية على الأدب الأَنْدَلُسي، وإنَّ تأُخر هذه الاتجاهات ناتجة عن عدم الاستقرار السياسي بالأَنْدَلُس في الفترة الأَوَّلى.

٦- إنَّ الحركة النَّقْدية الأَنْدَلُسية بدأت متاخرة عن النَّقْد المشرقي وكانت البدايات الأَوَّلى لنشأته تتمثل في اللقاءات التي كانت تجمع بين مختلف أهل العلم بجامع قرطبة بدافع العلم والدراسة على أيدي القادمين من المشرق والذاهبين إليه .

٧-إنَّ ارتباط شعراء الأَنْدَلُس برصفائهم في المشرق مرده إلى روابط الدم والعروبة واللغة والدين بينهم.

٨- إنَّ المذاهب والاتجاهات النَّقْدية الأَنْدَلُسية تأثرت تأثيراً كبيراً بالمذاهب والاتجاهات الأدبية والنَّقْدية المشرقية ، وإنَّ العوامل التي ساعدت سابقاً في تكوين الذوق الأدبي الأَنْدَلُسي هي نفسها أسهمت في تطوير حركة النَّقْد في الأَنْدَلُس خاصة في القرنين الخامس والسادس الهجريين .

ثانياً: التوصيات:

١- يحتاجُ الأدبُ الأَنْدَلُسي بشكل عام أنْ يُخضع إلى مزيد من الدراسات ليظهر على حقيقته لدى الدارسين والمهتمين بالدراسات الأَنْدَلُسية ويُبعد عنه الظنون والاتهامات بأنَّه مجرد إعادة إنتاج للأدب المشرقي .

٢-تحديد علاقة الأدب الأَنْدَلُسي، بقرينه المشرقي ومواطن الاتفاق والاختلاف بين الأدبين، وأنْ يكون الباحث في موقف محايد ولا يُعد نفسه قاضياً لمحاكمه الأدب الأَنْدَلُسي في محاولة انسلاخه عن الأدب الأم وأنَّ لا ننسي أنَّ أصول الأدبين وجزورهما واحد" "اللغة والدين" وأنَّ الاختلافات التي يلحظها هنا وهناك ناتجة عن اختلاف المكان والفرق الزمني فهي علاقة السابق باللاحق.

٣-أنْ لا يغرق الباحث في البيئة الأَنْدَلُسية حتي يظن أنَّ الأدب الأَنْدَلُسي فقط ما تحدثوا فيه عن الطبيعة وأنْ يترك مساحة للنظر فيما كتبه الأَنْدَلُسيون في الاغراض الشعرية الأخرى .

٤-أنْ يركز الباحثون على الجانب الفكري والفلسفي في الإنتاج الأدبي الأَنْدَلُسي دراسة أثر الأدبي الأَنْدَلُسي على البلدان الأوربية المجاورة وصموده أمام التَيَّارات الوافدة .

٥- دراسة الوسائل والطرق التي اتخذها الأَنْدَلُسيون في الدفاع عن أدبهم.

٦- تصنيف الأغراض الشعرية الأَنْدَلُسية لمعرفة أكثر الاغراض طغياناً على الشعر الأَنْدَلُسي وتحليل ذلك .

٧- دراسةُ الأثر النفسي لدى شعراء الأَنْدَلُس وهم يسعون لإثبات الهوية الأَنْدَلُسية وإظهار شخصية الأَنْدَلُس المستقلة من خلال إنتاجهم الشعري .

الُمسْتَخْلص

تناول البَحْثُ التَيَّارات النَّقْدية الَمشْرِقية ، وأثَرها في تكوين اتجاهات نقدية بالأَنْدَلُس، وتظهر مشكلة البحث في السعي إلى تحديد أثر هذه التيارات في تطوين اتجاهات نقدية أندلسية مستقلة عن المشرق ، وتتمثل أهميته في معرفة الاتجاهات النَّقْدية التي نشأ ت في الأَنْدَلُس وعلاقتها بالَمشْرِق والوقوف على مدى الأثر المشرقي في تكوين هذه الاتجاهات النَّقْدية لمعرفة أصالة الأدب الأَنْدَلُسي واستقلاله عن الَمشْرِق أو تبعيته له ، ويهدف البحث في مجمله إلى الوصول إلى بيان أصالة الأدب الأَنْدَلُسي شعراً ونقداً في الجانب الفني مع تبعيته للمشرق في الإطار العام مع وجود علاقات قوية بينهما، واتخذت التَيَّارات والاتجاهات النَّقْدية بين المشرق والأندلس مجالاً لتوضيح التأثير والتاثر ، واتخذتُ شعر الطبيعة مجالاً للتطبيق في حدود إقليم الأَنْدَلُس في الفترة ما بين القرنين الثاني والخامس الهجري .

ولتحقيق أهداف البحث أتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي بجمع الملاحظات النَّقْدية ومناقشتها على ضوء المباديء والمقاييس النَّقْدية الَمشْرِقية لإصدار الأحكام والدلالة على أوجه الشبه أو المفارقة ، قسمتُ على إِثره البحث إلى خمسة فصول لكلَّ فصل عدد من المباحث .

وتوصلت إلى النتائج الآتية :

١-إِنَّ الذوق الأدبي الأَنْدَلُسي تكون نتيجة لعدة عوامل ومؤثرات ، محلية ومشرقية منها أثر حكام الأَنْدَلُس من إمراء وخلفاء وعلماء اللغة

والمودبين، ثم أثر الوافدين من المشرق كأبي علي القالي وأبي تمام والمتنبي وأبي علاء المعري .

٢-إِنَّ الاتجاهات الأدبية (الشعرية والنَّقْدية) الأَنْدَلُسية وفدت من المشرق ضمن المؤثرات الَمشْرِقية على الأدب الأَنْدَلُسي.

٣-إِنَّ الحركة النَّقْدية واتجاهاتها وتياراتها في الأَنْدَلُس بدأت متاخرة عن الَمشْرِق لعدم استقرار الأَنْدَلُس سياسياً في المرحلة الأولى وكان مسجد قرطبة نقطة الانطلاق للنَّقْد الأَنْدَلُسي.

٤-إِنَّ الأدب الأَنْدَلُسي مستقل عن المشرق في تكوينه الفني ، وتربطه بالمشرق وشائج متينة وأنَّ مذاهبه واتجاهاته النَّقْدية تأثر كثيراً بالمذاهب والاتجاهات النَّقْدية الَمشْرِقية.

الباحث

Abstract

The research discussed the cash currents oriental and its impact in the formation of monetary trends in Andalusia, the research 's problems appeared in finding the effects of these results in establishing the formation of monetary trends in Andalusia in dependent from the orient.

It id importance represented in knowing the movement and the monetary trends which appeared in Andalusia and it's relation with orient and finding the impact of orient in forming these monetary trends to know the authenticity of the Andalusia literary whether independent or dependant from orient.

The research focuses on finding Indonesian authenticity in poetry and momentary in technical side and it's independent to orient in general frame with existence of strong relation between.

The trends and directions between two sides to explain the effect and effect and nature's poetry and apply it in the border of Andalusia province between the second and fifth century of Hjra.

The research followed the analysis descriptive method to achieve the goals of the research by gathering the monetary comments and discussing it according to the principles and measures of orient monetary to find out judgment between compare or contrast.

The research divided in to five chapters and each one has many topics .

The research reached to the following points:

1- The clarification of the Andalusia literary formed according to many factors and indicators , locally and oriental such as the scientist of language Khoolfaa Amrraa and governors.
2- Then those who came from orient suchas Abi Ali Algali, Abi Tamamm , Al montenabi and Abi Alalaa also affect.
3- The monetary movement and it's trends in Andalusia started late from orient according to the in constancy of Andalusia politically an the first stage and Gurtoba mosque was the first point for the Andalusia monetary .
4- The Andalusia monetary independent from orient in it's technical formation and has stringties with orient and it's doctrines and trends effects with oriental monetary trends.

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	السورة	رقمها	اسم السورة	الصفحة
١.	وَالشُّعَراء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ	٢٢٤	الشعراء	٢٧
٢.	أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ	٢٢٥	الشعراء	٢٧
٣.	وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ	٢٢٦	الشعراء	٢٧
٤.	إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ	٢٢٧	الشعراء	٢٧

الرقم	الحديث	الصفحة

فهرس الأحاديث النَّبوية

١.	قال رسول ا ض ومغاربها ، و	١٠
٢.	عن عائشة قالت : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : ((هَجَاهُمْ حَسَّانٌ فَشَفَى وَاشْتَشْفَى))	٢٨
٣.	عن أنس رضي الله عنه أنَّ أصحاب رسول الله كانوا يقولون يوم الخندق، نحن الَّذين بايعوا محمداً – على الجهاد ما بقينا أبداً والنبي يرد عليهم متمثلاً بهذا البيت: ((اللهم إنَّ الخير خير الآخرة فأغفر للأنصار والمهاجرة))	٢٩
٤.	عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إذا نُكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا))	١٦١